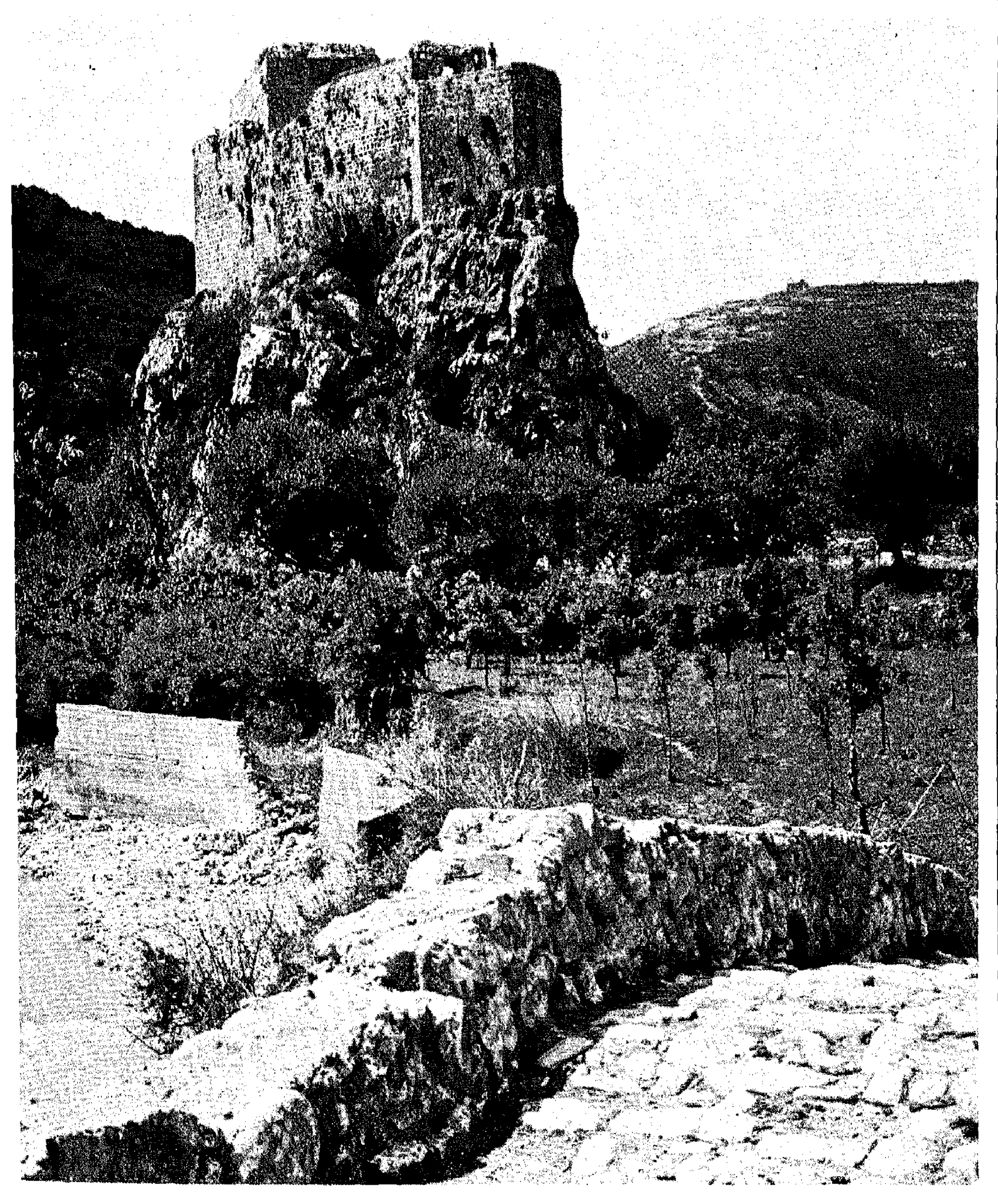
تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصوّرة تبحث في التاريخ العربي
السنة الثالثة ـ العدد السابع والعشرون ـ كانون الثاني (يناير) ١٩٨١ ـ الموافق ربيع الأول ١٤٠١هـ

- نجيب عازوري والقومية العربية
- المدنية الفينيقية
- الموقف اللبناني والدولي من المؤتمر السوري العام ١٩٢٠م



- النقود العربية
- عصر محمد علي في الملاكمة
- تجسس: الطوربيدات البشرية في جبل طارق



معركة عين جالوت: قلعة المسيلحة - البترون - لبنان

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الثالثة - العدد السابع والعشرون - كانون الثاني (يناير) ١٩٨١ - الموافق ربيع الأول ١٤٠١هـ

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

رئيس التحرير : فاروق البربير

المستشار : د. أنيس صايغ

المدير المسؤول : محمد مشموشي

الإنتاج : مطبعة المتوسط ش.م.ل. ● التوزيع : الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ثمن النسخة

لبنان :	٥ ل.ل.	سوريا :	٦ ل.س
العراق :	٨٠٠ فلس	ليبيا :	١ دينار
السعودية :	٨ ريال	الكويت :	٧٠٠ فلس
الاردن :	٥٠٠ فلس	أبوظبي :	٨ درهم
دبي :	٨ درهم	قطر :	٨ ريال
البحرين :	٨٠٠ فلس	عدن :	٨ شلنات
مسقط :	٨٠٠ بيزة	المغرب :	٦ درهم
فرنسا :	١٠ فرنكات	بريطانيا :	جنيه استرليني
		اميركا :	٣ دولارات

الإشتراكات

(بما فيها أجور البريد الجوي)

في لبنان : للأفراد	٧٥ ل.ل.
للمؤسسات والدوائر الحكومية	٢٠٠ ل.ل.
في الوطن العربي : للأفراد	١٠٠ ل.ل.
للمؤسسات والدوائر الحكومية	٢٥٠ ل.ل.
خارج الوطن العربي : للأفراد	١٥٠ ل.ل.
للمؤسسات والدوائر الحكومية	٣٠٠ ل.ل.

تدفع قيمة الإشتراك مقدماً نقداً أو حوالة مصرفية أو بريدية .

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت، لبنان • بناية أبو هليل - شقة ١١ • شارع السادات - تلفون : ٨٠٠٧٨٣

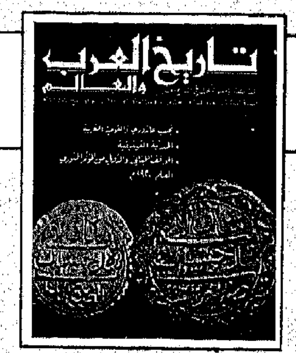
HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
PERIODICAL PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. 800783
BEIRUT, LEBANON

Vol. 3 No. 27. jan 1981.
ANNUAL SUBSCRIPTION
$ 75 (INCLUDING $ 25 FOR
ADDITIONAL AIR MAIL CHARGES)
MAIL ALL COMMUNICATIONS,
INCLUDING SUBSCRIPTIONS TO:
«HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD»



في هذا العدد



النقود العربية..
(راجع المقالة ص ٤٤).

■ المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الإجتماعية للكتاب. تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط ■



عصر محمد علي كلاي
(راجع المقالة ص ٤٨).

الموضوع — الصفحة

● المقالات والدراسات ترسل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة: ص. ب ٥٩٠٥ في بيروت.

● المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبر بالضرورة عن آراء المجلة.

● المواد الواردة إلى المجلة لا ترد إذا لم تنشر.

د. نبيه عاقل

بعض من ملامح مرحلة الأصول في التاريخ العربي الإسلامي

د. نبيه العاقل: عميد كلية الآداب في الجامعة السورية، دمشق

مرحلة الأصول، موضوع هذا البحث، هي المرحلة التي تمتد بين ما اصطلح على تسميته بالعصر الجاهلي ونهاية العصر الأموي. وقد أسميناها مرحلة الأصول لأنها المرحلة التي تكونت منها ملامح الشخصية العربية التي أقامت الدولة وحققت المنجزات الحضارية الرائعة على أرض صلبة من إرث الماضي ومنجزات الحاضر الذي توجته معجزة الإسلام التي هي التعبير الحي عن أصالة هذه الأمة وقدرتها على العطاء. وهي مرحلة الأصول أيضاً لأنها كانت الأساس المتين والمتطور لما اتصل من مساهمة الأمة العربية في إغناء الحضارة الإنسانية ودفع مسيرتها إلى الإمام. ففيها أرسيت الملامح الأساسية للشخصية الحضارية العربية وتبلورت مقومات هذه الشخصية وتحدد مسارها. وهي أيضاً مرحلة متصلة متكاملة، كان الإنسان العربي في بداياتها الجاهلية يعيش مأساة عصره الفكرية ويتطلع إلى هتك ستر الظلام لينطلق إلى الآفاق الفسيحة التي تحرره من ربقة التخلف. وجاء الإسلام ليرسم الطريق ويقدم الحافز ويوجه المسيرة ويحدد الأطر التي ستنتظم حياة الجماعة والمجتمع. وكانت بدايات التطبيق في عصر الرسول الكريم، وجاء الخلفاء الراشدون ليتابعوا المسيرة على هديه وليسلكوا الدرب نفسه، ولكن غير غافلين عما فرضته الظروف التي نجمت بعد عصر الفتوح واتساع رقعة دولة الإسلام وإنضواء قوميات وشعوب عديدة تحت ظلالها. وحين آل الأمر إلى بني أمية، وانتقلت حاضرة الخلافة إلى الشام، وتوقفت الموجة الأولى من الفتوح إلى حين، واستقرت ملامح الحكم وأخذت الدولة سمتها العربية فتعربت جميع أجهزتها وأرسيت قواعد النظام الإداري وتوضحت ملامح النظام الإجتماعي والإقتصادي من خلال الممارسة والتطبيق، إذ ذاك تكاملت أبعاد وملامح شخصية الجبار العربي الذي انطلق من الجزيرة تلفه رمالها وتحرقه شمسها، ويدفعه كل ما في العقيدة والمثل التي بشرّ بها محمد بن عبد الله وأقام دولته على أساسه من خير وقدرة على إرساء قواعد المجتمع الفاضل القوي الخلاق. وإذ ذاك تكاملت أيضاً هذه المرحلة من حياة أمتنا التي أسميناها مرحلة الأصول وغدت الأرض الصلبة التي انطلقت منها وثبة أمتنا في مختلف ميادين الحياة والحضارة والفكر، والإطار الذي انتظم مسيرة تاريخنا في مختلف مراحله.

وطبيعي بعد هذا وعلى أساس منه، أن ننظر إلى هذه المرحلة نظرة فحص وتدقيق لنستجلي بعض ملامحها ونبرز شيئاً من خصائصها التي رسمت أحداث ماضينا بميسمها، واثرت على مسيرته، وبالتالي كانت الخلفية للكثير من مظاهر حاضرنا وماضينا القريب.

وأول ما يجب أن نتحدث عنه في مرحلة الأصول هذه البيئة الجغرافية التي عاش الإنسان العربي في ظلها. فالحضارة، كما هو معروف، هي نتاج لتفاعل الإنسان والبيئة بمظاهرها ومؤثراتها المختلفة. وليس يهمنا في هذه المقدمة أن نتحدث عن أثر البيئة في الإنسان، أو أثر الإنسان في البيئة على وجهه المطلق، ولكن لابد من القول ان تاريخ أمة من الأمم لا يفهم دون فهم بيئتها الطبيعية. والجزيرة العربية في غالبيتها صحراء ليس فيها ما يساعد على حياة الإستقرار، الأمر الذي أدى إلى قلة التمازج البشري بين سكانها، من جهة، أو بين سكانها والعناصر الأجنبية من جهة أخرى.

وقلب الجزيرة صحراء واسعة، الأمر الذي أدى إلى إنتشار الإقتصاد البدوي الذي يعتمد المرعى والقطيع والماء القليل، وما يؤدي إليه كل ذلك من صراع وكفاح مستمر من أجل البقاء. وهذا الصراع من أجل البقاء لوّن حياة العرب في الجاهلية بلونه الأحمر الدامي، فكانت أيام العرب التي لا نشك بأنها تعبر عن واقع إقتصادي واجتماعي مرتبطين إرتباطاً وثيقاً بالواقع الجغرافي. يضاف إلى هذا أن البيئة الصحراوية تتسم بميسم التكرار وقلة التبدل، الأمر الذي ينجم عنه تمسك شديد بالتقاليد والعادات، ومحافظة على ما هو مألوف، وكل ذلك يؤدي في النهاية إلى شيوع الأعراف والعادات كقوانين ثابتة تتحكم في الحياة.

ولكن موقع الجزيرة العربية الجغرافي بين دول العالم القديم وإحاطة البحر بها من ثلاث جهات أديا إلى ظهور التجارة كعامل هام في

نموذج من الكتابة القرآنية غير المعجمة

الحياة ونشأة الدول من جهة، وإلى دخول الجزيرة في لعبة السياسة الدولية آنذاك. وليس يهمنا هنا أن ندخل في تفاصيل الحديث عن الدول التجارية التي قامت في جنوب الجزيرة وغربها وشمالها وبعض من شرقها، ولكن لابد لنا أن نذكر بازدهار مكة كموقع هام على الطريق التجاري المار بغرب الجزيرة، وتطلع أنظار الدول العظمى آنذاك (فارس وبيزنطة) إليها. كما لابد أن ننوه بأن مكة استطاعت في مرحلة إزدهارها هذه أن تظل بعيدة عن اللعبة السياسية الدولية وأن تقيم في أغلب الأحيان التوازن في علاقاتها مع القوى العظمى، ولكنها كانت في أحيان قليلة تجر إلى مجابهة مع إحداها (حرب النجار) بسبب من مطامع تتهددها بشكل لا يمكن السكوت عليه. وهكذا تأثرت حضارة عرب الجزيرة المستقرين بحركة التجارة الدولية، واتصلوا بشعوب الأمم المجاورة وابتعدوا عن البداوة واتصلوا بالمنجزات المادية والروحية والفكرية لحضارات هذه الأمم. وإذا كان هذا الموقع الجغرافي بالنسبة لبعض عرب الجزيرة نعمة لأنه جعلهم ينعمون بخيرات التجارة، فإنه كان نقمة بالنسبة لغالبيتهم. فسعة الرقعة الصحراوية في وسط الجزيرة، وصعوبة المواصلات، وشيوع حياة البداوة، عللت نشوء دولة عربية واحدة

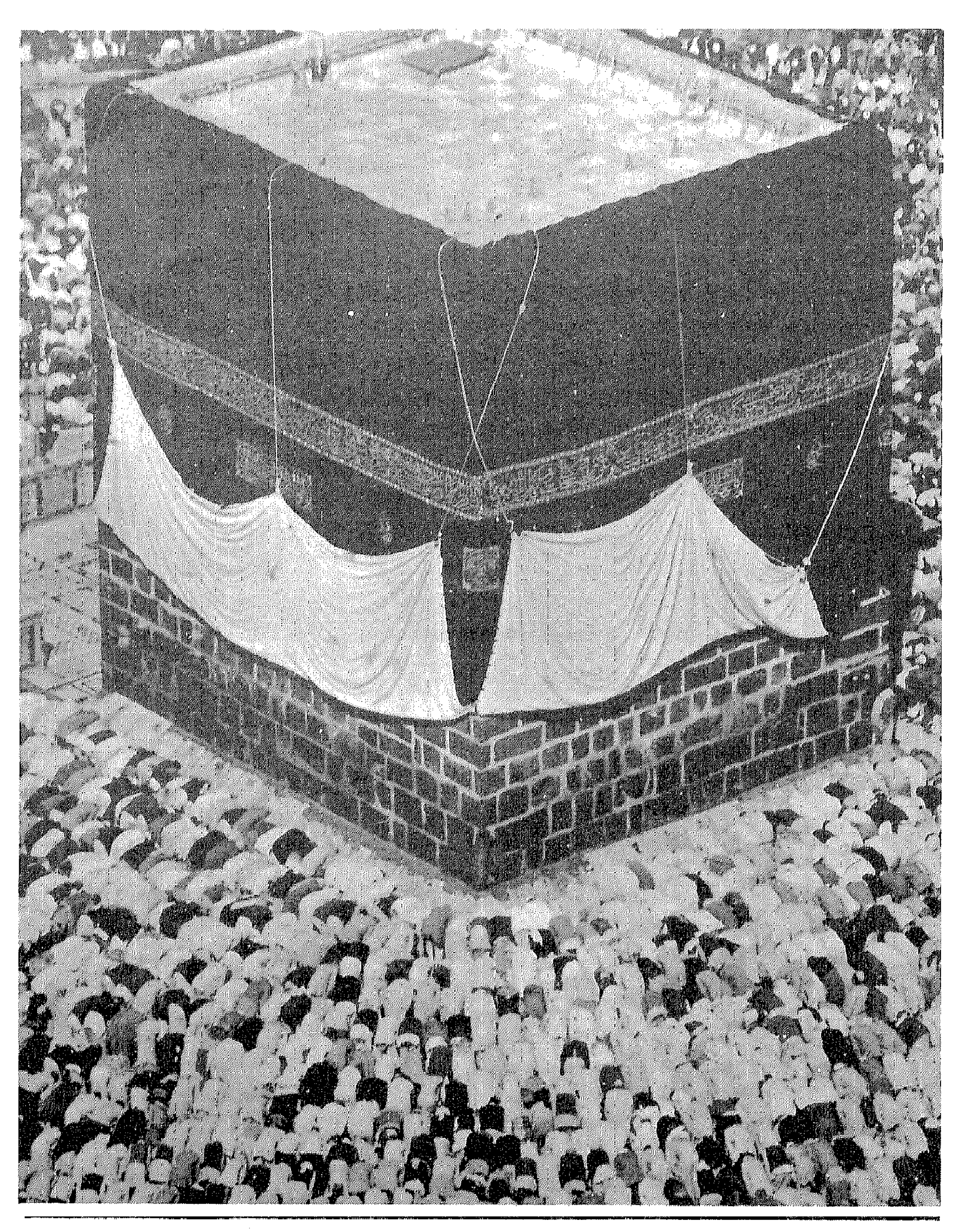
قادرة على إقامة تنظيم سياسي يستطيع أن يلم شعث العرب ويوحد كلمتهم. وذلك لأن أهم مقومات الدولة هو الولاء للأرض، لا يمكن تحقيقه بسبب الترحل والانتجاع الذي تفرضه البداوة، ولأن وحدة الهدف والنزوع إلى التعاون يمنعه الصراع من أجل البقاء في مجتمع يقل مخزونه الغذائي عن حاجة الأفواه الآكلة. هذا فضلاً عما تفرضه البداوة من عصبية قبلية تمنع ذوبان الفرد في الجماعة. وهكذا عاشت الجزيرة في هذه المرحلة من تاريخها فوضى سياسية لم يكن لها يد في صنعها، ونجم عنها فوضى اقتصادية واجتماعية وفكرية. وقد تمثلت هذه الفوضى أكثر ما تمثلت، وبأبشع صورة، في الموقف الديني، فنمت وثنية بدائية تعبد فيها الأحجار وتقدس الأصنام والأزلام، إلى بذور توحيد صافية كالحنيفية، إلى نصرانية ويهودية ومجوسية وسواها. على أنه من المهم أن نلاحظ أن الوثنية العربية تطورت مع الزمن حتى غدت نوعاً فريداً من الوثنية ارتبط بالتوحيد على نحو ليس هنا مجال شرحه (وما نعبدهم إلا ليقربونا من الله زلفى). وفي هذا دليل واضح على تطور النظرة العربية وارتقائها عن حدود المحسوس إلى المجرد، الأمر الذي ساعد على فهم دعوة محمد وتقبلها من قبل الكثيرين، حتى أنه يمكننا القول أن معارضة قريش لمحمد، لم تكن لإيمانها بوثنيتها، بل لوعيها التام لما سيؤدي إليه إنتصار الدين الجديد من قلب للقيم والموازين في المجتمع الذي يتبّوأون فيه مكان الصدارة، وما سينجم عن هذا التغيير من انتقال السيادة في المجتمع الجديد إلى سواهم من رجال هذا الدين.

على أن هذا الوعي الديني لم يكن عاماً، وربما كان في الحجاز أقوى منه في بقية أنحاء الجزيرة بسبب ما كان للحجاز من صلات تجارية وحضارية مع دول وحضارات العالم القديم من جهة، ولأنه يضم الكعبة محج العرب وملتقى أسواق تجاراتهم. وترافق هذا الوعي الديني بوعي سياسي، بل ربما كان سابقاً له، فقد ظهر في بعض أنحاء الجزيرة ميل إلى التكتل والإتحاد، وقامت في وسط الجزيرة مملكة تضم شمل عدد من القبائل يرأسها رئيس واحد، هي مملكة كندة. ولكن لم يتح لهذه الظاهرة الصحية أن تدوم، وما لبثت مملكة كندة أن تصدعت لنفس الأسباب التي دعت إلى قيامها. ولكنها كانت نواة صالحة ظلت العيون تتطلع إليها وإلى ما حققته في وحدتها.

أما في المجال الإجتماعي، فلم تكن الحال بأفضل، وإذا خرجنا خارج حدود النظام القبلي، لوجدنا طبقية اجتماعية مبنية على أساس من الثورة والجاه تتمثل بأوضح شكل في المجتمع الملكي، وفي مجتمع الطائف بشكل أقل وضوحاً.

وظهر الإسلام بعد ذلك في بيئة مكة الحضرية، وكان واضحاً منذ بداية دعوة الرسول أن تعاليم هذا الدين تعاليم حضرية تشجب البداوة وتسعى لإرساء قواعد مجتمع مستقر هادف لا مكان فيه للعصبية القبلية أو لبعض تقاليدها وأعرافها التي لا تنسجم مع فكرة الدولة التي يسودها القانون. وبمعنى آخر كان الهدف الأول للإسلام كدين أن يحل فكرة الدولة والقانون محل فكرة القبيلة والعرف، وأن يقيم الدولة التي يأخذ فيها الله بزمام السلطة ويجعل الشريعة القانون الذي ينظم حياة الناس لأنها القانون الإلهي. ولم تكن الدولة في نظر الرسول والإسلام هي الرقعة من الأرض التي يقوم عليها سلطان المؤسسة السياسية الإسلامية، بل هي الهيئة الإجتماعية التي أطلق عليها اسم «الأمة» والتي تتألف من جميع الناس الذين تربطهم عقيدة الإسلام برباط فكري موحد وبذاك يتميزون عن سواهم ممن لا يدينون بالإسلام. وهكذا تكون «الأمة» جسداً سياسيا واجتماعيا وعقائديا يتلازم فيه الجانب السياسي والجانب الديني تلازما كلياً بحيث لا يميز بين مؤسسة دينية ومؤسسة سياسية، بل تتكامل المؤسستان، لأن المؤسسة السياسية نشأت في الأساس كمكمّل ومدعمٍ ومحقق لأهداف المؤسسة الدينية. فالدين والدولة كل متكامل، ولكن الدين هو الذي يعطي «الأمة» وحدتها ومقوم وجودها.

وليس هنا مكان شرح وتفصيل تعاليم الإسلام، ولكن لابد من الإشارة إلى أن أهم ما هدف إليه الدين الجديد على الصعيد العملي هو توحيد الجزيرة سياسيا ودينياً وإزالة عوامل الفرقة والإنقسام وإشاعة كل ما من شأنه



إضعاف التيار القبلي الذي أدى في الماضي إلى الضعف والتفكك، وإقامة الدولة المركزية القادرة على توجيه الطاقة العربية في اتجاه موحد قادر على تخليص مجتمع الجزيرة من أمراضه، ورص صفوفه ليخرج من مواقعه المغلقة إلى آفاق العالم الرحبة، يحمل رسالة هذه الأمة ويبني مجدها. وطبيعي أن يؤدي هذا الإتجاه إلى صدام شديد بين القبلية وفكرة الحكم المركزي، هذا الصدام الذي تجلى بأحسن صورة في حروب الردة بعد وفاة الرسول الكريم، وكان النصر فيه لفكرة الدولة ولابد من القول أن الكثير من الولاء الذي لقيه الرسول بعد فتح مكة وعام الوفود كان ولاءً لشخصه، ولن تلبث النعرات القبلية أن تطل برأسها بعد إنتقاله إلى جوار ربه، إذ تفجرت النزعات المكبوتة، وفتح باب الصراع بين التيارين القبلي والإسلامي على مصراعيه، في حروب الردة التي انقسمت فيها القبائل العربية إلى قبائل مسلمة ترى في دفع الزكاة إهانة لها وهي تقبل

أن تستمر على إسلامها ولكن دون أن تدفع هذه الضريبة لقريش، وقبائل رفضت الإسلام كلية واعتبرت نفسها في حل من ولاء محضته محمد ابن عبد الله شخصياً وزال بزواله،. ومن هذه الفئة بعض قبائل شمالي الحجاز التي كانت تربطها بالرسول معاهدات اعتبرتها باطلة بعد وفاته، ولم ترَ مبدأ للخضوع لأبي بكر الذي خلفه في زعامة الجماعة الإسلامية، وتمثل موقفها هذا في قول الشاعر:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا

فيا لعباد الله ما لأبي بكر

أيورثها بكراً إذا مات بعده

وتلك لعمر الله قاصمة الظهر.

وهكذا انقسمت قبائل العرب بعد وفاة الرسول، وزاد انقسامها حدة نوازعها العصبية التي ما زالت أصيلة في نفوس الكثيرين من أفرادها من جهة، وعدم خضوع بعضها أساساً للرسول دينيا أو سياسياً (كبعض قبائل اليمامة) من جهة أخرى. وهكذا كانت الردة سلسلة من الحروب السياسية والدينية والقبلية، تهدف إلى إخضاع القبائل التي شقت عصا الطاعة وخرجت عن الجماعة، ورفضت فكرة مركزية الحكم. لاعادتها إلى حظيرة الدولة، وكانت محنة حقيقية خرجت منها دولة المدينة منتصرة موحدة الصف بعد الإنقسامات التي خلفتها معركة انتخاب الخليفة الأول أبي بكر الصديق.

وكانت النتيجة الهامة التي أعقبت نصر أبي بكر والمدينة في معارك الردة، قيام عصر الفتوح الذي حمل العرب كدعاة حضارة وفكر، وحملة لواء عتق وتحرير إلى أطراف الجزيرة وخارجها، فارتفعت راية الإسلام والعروبة خفاقة في أرجاء الأرض.

ولست أريد أن يمر الحديث عن حركة الفتوح دون أن أناقش موضوع العامل الإقتصادي وأثره في خلق حافز دفع العرب إلى الإستبسال بالقتال للخروج مما هم فيه من فقر ومسغبة فبعض الباحثين الغربيين المحدثين يرون في الفتوح العربية في عهد الراشدين استعماراً إقتصادياً مبكراً هدف أول ما هدف إلى إيجاد ما يسد الأفواه العربية الجائعة على حساب ما تنتجه أرض الغير من غلات وميزات، ويستشهدون على ذلك ببعض الأخبار والأحاديث التي يجدونها في بعض المصادر. ولست أريد في هذه العجالة أن أناقش تفاصيل هذا الأمر، وأن أرد على جميع ما استشهدوا به، وأن أرده إلى حجمه الحقيقي والمعاني الصحيحة التي ينطوي عليها، لا ما أراد أصحاب هذه النظرة استشفافه من هذه الأخبار والإشارات، ولكن لابد من الاعتراف بأمرين ووضعهما في نفس المكانة والأهمية. أولهما: إني لا أستبعد العامل الإقتصادي من حوافز الفتح، ولكني لا أحله المحل الأول. وثانيهما: هو أن الأرض المفتوحة ولا سيما في عهد الراشدين لم تكن أرضا أجنبية، بل أرضا عربية حررت من ربقة الإستعمارين الفارسي والبيزنطي اللذين جثما على صدر هذه الأرض ردحا طويلاً من الزمن، وحاول عربها منذ الجاهلية التحرر منه، وليس أدل على صحة ما ندعيه ما كان من أمر ذي قار بين عرب العراق وحكامه الفرس، والصداقة المستمرة بين المناذرة والغساسنة والسلطتين الفارسية والبيزنطية في العراق والشام.

ويمكننا في هذه المرحلة من حديثنا أن نقرر أنه بانتهاء حروب الردة وخروج العرب المسلمين فاتحين توقفت مرحلة الصراع السافر والعداء الشديد بين القبلية والحكم المركزي إلى حين وتوحدت الجهود لدعم الدولة في كفاحها للبقاء والنماء. وقد أدى تدفق الشعوب المغلوبة على حاضرة الدولة وتمازج عرب الجزيرة بهم داخل الجزيرة وفي الأمصار المفتوحة إلى بداية عصر جديد اتسم بصراعات دينية وقومية من جهة، وبتزاوج حضاري أعطى ثماراً يانعة من جهة أخرى.

وتنتهي هذه الفترة من فترات مرحلة الأصول التي نحن بصدد الحديث عنها بحادث ضخم غيرّ وجه التاريخ السياسي لخلافة الراشدين، وانحرف بمسيرة التاريخ العربي عن الطريق الذي كانت تسلكه، وهو الفتنة الأولى التي جرت زمن الخليفة عثمان والتي انتهت بمقتله وقيام حكم بني أمية. وقد ترتب على هذه الفتنة نتائج ضخمة، وكانت هي في حد ذاتها من فعل عوامل متعددة، فالفتنة الأولى عند المؤرخين

الجامع الأموي، دمشق.



التقليديين ثورة على عثمان الخليفة المترف المستتر بأمور الدين المحب للملاذ والحياة اللينة، المقرّب لأهله وأقربائه، الضعيف الشخصية الذي أوكل الأمور لأشخاص مغموض عليهم في دينهم ودنياهم، المتصرف بأموال بيت المسلمين على غير ما أوجبه الشرع. وعندي أن هذه الأسباب ما هي إلا مظاهر لما طرأ على المجتمع العربي من تغيرات بعد عصر الفتوح ورثها عثمان عمن سلفه، ولكن لم يستطع، أو لم يفعل شيئاً لتغييرها أو لتوجيهها الوجهة التي تجنب «الأمة» الوليدة ما مرت به من محن وأزمات نتيجة لتفجر هذه الأزمة. فقد ورث عثمان عمن سلفه من الخلفاء مشكلة الإتجاهات القبلية المتصارعة، كما ورث صراع هذا الإتجاه بشكل عام مع الإتجاه الإسلامي، وورث الآثار التي ترتبت على قيام عملية الفتوح وما أحدثه إنتقال مركز الثقل السياسي للدولة من المدينة إلى الأمصار، وهجرة القبائل للسكنى في هذه الأمصار المفتوحة، ونشوء عصبية جديدة هي عصبية الأمصار نتيجة إنتقال الوحدات القبلية إلى أماكن سكناها الجديدة. وقد زاد في تفجر الأزمة أنه في خلافة عثمان سكنت حركة الفتوح وقل مردود الغنائم على المقاتلين، فتفكروا في أمور الدولة، واعتبروا أنه ما في بيت المال ليس من حق الدولة ولكن من حقهم، وأن الدولة اغتصبت ما أوجبه الله لهم.

وقد تبددت عصبية الأمصار في غضب سكان هذه الأمصار من سلطة المدينة ورجالاتها، وتفردهم بشؤون السلطتين السياسية والإقتصادية. ولعل في الأصول والأعراف القبلية تفسيراً لهذه العصبية الجديدة. ففي الماضي كان اقتصاد القبيلة يعتمد على مرعاها وحماها، وحل المصر، بعد الفتح، محل الحمى والمرعى، فكان طبيعياً أن ترى أن لها الحق الأكمل في التصرف بهذا المصر وخيراته الذي حل محل الحمى والمرعى الذي كان لها قبل انتقالها إلى دار الهجرة. ولعل أفصح تعبير عن هذين الموقفين، موقف حكام المدينة زمن عثمان، وسكان الأمصار المفتوحة من القبائل، هذا الحوار بين سعيد بن العاص والي الكوفة الذي قال: «هذا السواد بستان قريش» فعلت صيحة رجال القبائل مجلجلة: ويحك، أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستاناً لك ولقومك.».

وهكذا يظهر لنا أثر الجانب الإقتصادي جلياً في موضوع الفتنة، لا سيما إذا أخذنا بعين الإعتبار ما تضمنته دعوة الإسلام من حض على مكافحة الاستغلال، وحث على التعاون والتكافل، وما جرى زمن أبي بكر من تسوية في قسمة الغنائم، وما فاض بين أيدي المقاتلة. ولكن عثمان الذي سار على نهج عمر، شاء له سوء حظه أن تتوقف الفتوح في عهده، فيقل وارد المقاتلة من

الغنائم فتهيج أشجانهم، لتجد خليفة ضعيفاً كثرت المطاعن فيه، ولا يملك ما كان يملكه عمر من سلطان وجبروت.

هذا فضلاً عن الثراء الفاحش الذي أصابه بعض رجالات قريش نتيجة لخبرتهم التجارية والمالية الموروثة عن ماضيهم قبل الإسلام، وما أتاحته لهم خلافة عثمان من فرصة للانسياح في الأرض واستغلال خيرات البلاد بما منح لهم من امتيازات لم تمنح لسواهم من رجالات القبائل. وهكذا يمكن القول أن الثورة على عثمان تمثل في الكثير من جوانبها ثورة القبائل على مسلسل التسلط القرشي الذي بدأ قبل الإسلام وخبا زمن الرسول وأبي بكر وعمر، ثم عاد ليطل برأسه بشكل حاد زمن عثمان الذي لم يستطع أن يوقفه ودفع حياته ثمناً له. ولم يؤد مقتل عثمان إلى انتصار التيار القبلي إذ جاء انتخاب علي تعبيراً عن سيادة التيار الإسلامي من جهة، وسيادة قريش من جهة أخرى. وجاءت خلافة ابن أبي طالب في ظروف صعبة، فهو مرشح القبائل القائدة لهذا المنصب، وهو في الوقت نفسه قرشي لا ترضى عن خلافته فئة رجال المال والأعمال والنفوذ من بني أمية وسواهم من بطون قريش التي هي قبيلته والتي يفترض أن تمنحه الدعم والتأييد. وهكذا أمضى علي خلافته لا يكاد يطفىء نار أزمة حتى تندلع نيران أزمة جديدة. ويلاحظ المرء أن أهم قضية واجهته تتلخص في أنه وهو ممثل التيار الإسلامي والمدافع عنه دفاع المستميت، كان عليه أن يحارب التيار القبلي بالأوجه الجديدة التي برزت له والتي رغم تعارضها وافتراقها لا يمكن تصنيفها إلا في زمرة واحدة هي الزمرة القبلية. فخروج معاوية ومن معه من بني أمية للمطالبة بدم عثمان، مظهر من مظاهر القبلية، لأن واجب الأخذ بثأر عثمان يقع على عاتق الدولة وليس على عاتق أقربائه، وخروج أقربائه مظهر من مظاهر القبلية. وكذلك حركة الخوارج التي كانت الشوكة الثانية الممضّة في جنب الخليفة الجديد هي من أوضح مظاهر التيار القبلي، إذ أن عامة الخوارج كانوا من رجال القبائل الذين استقروا في الكوفة والبصرة بعد الفتح وساءهم، على ما يدعون، موقف علي من التحكيم، فخرجوا من جيشه ورفعوا لواء العصيان وظلوا كذلك حتى قتلوه. وثالث مظاهر هذه القبلية القاتلة التي واجهها علي ابن أبي طالب وشغلت خلافته بأقسى الأزمات هي عصبية الأقاليم التي تمثلت في الصراع بين الشام والعراق: العراق بقبائله العديدة الناقمة على بني أمية وزعيمهم في الشام معاوية، والشام التي توحدت بمن نزلها من قبائل قيس وسواها في ظل زعامة البيت الأموي وأخذت تعمل جاهدة لنقل مركز السلطة إليها وحرمان العراق منه، وكان لها النصر في النهاية. في هذه البيئة التي استفحلت فيها القبلية بأشكالها ومظاهرها المتناقضة التي عددنا بعضها، أراد علي بن أبي طالب أن يرفع لواء التيار الإسلامي، فكانت النتيجة سلسلة طويلة من الأزمات والحروب والمحن، ودفع الخليفة الراشدي الرابع والأخير حياته ثمناً لما آمن به من مبادىء.

ولعل أهم ما نجم عن هذا المخاض الطويل من الأحداث الذي بدأ بالخلاف الذي وقع في إجتماع السقيفة وانتهى بمقتل علي بن أبي طالب على يد الخارجي ابن ملجم هو ظهور الحزبية السياسية في المجتمع العربي الإسلامي والتي تمثلت أول الأمر بأنصار ومهاجرين، ثم ما لبثت أن ظهرت العثمانية والخوارج والذين اعتزلوا الفتنة وجماعة القدرية الذين يؤكدون حرية الارادة ومسؤولية البشر هذا فضلاً عن النزعات الإقليمية والتحركات القومية التي بدأت تباشيرها تتمثل ببعض تكتلات الموالي الذين سيظهر دورهم بشكل واضح في العصر الأموي. كما أن مقتل علي أدى إلى نشوء حركة التشيع التي بدأت حركة سياسية، ثم ما لبثت أن غدت حركة سياسية دينية فاعلة لعبت الدور الأساسي في العصر الأموي، وساهمت مع حركة الخوارج وتحركات الموالي في طبع فترة الحكم الجديدة بطابعها، وعملت في نفس الوقت على إسقاط هذا الحكم الأموي، وكان ذلك حين انتصرت الدعوة العباسية التي كانت للرضا من آل البيت دونما تفريق بين آل علي وآل العباس.

وهكذا تكونت التيارات وتبلورت الملامح، وانتهت مرحلة الأصول هذه بنصر مؤزر لآل العباس لتتطور الإتجاهات وجهة تتناسب وظروف الحكم الجديد. ◘



نجيب عازوري والقومية العربية

د. زاهية قدورة (الحلقة الثانية)

استعرضت الدكتورة زاهية قدورة في الحلقة الأولى احوال الدولة العثمانية المتدهورة في اواخر ايامها حتى مؤتمر باريس سنة١٩١٣، وفصلت محاولات الاصلاح التي قام بها بعض السلاطين والتي لم تكن كافية لتنشر العدل والاطمئنان، بخاصة في البلاد التابعة للدولة، وهكذا ظهرت فكرة القومية العربية بين اتجاهات سياسية متعددة، كفعل وردة فعل، وتألب حولها كل من اعتقدها شافية، وفي هذه الحلقة نطلع على هذه الاتجاهات السياسية وبخاصة فكرة القومية العربية ومساهمة عازوري في نشرها وتمكينها.

هذا هو الجو العام قبيل، وفي زمن نجيب عازوري، والذي تبلور في عدة اتجاهات سياسية. حركة إسلامية، وحركة عثمانية، وحركة قومية[1] (عربية). ونستطيع القول أن حركة أخرى أخذت بالظهور، وهي حركة قومية (عربية) متحفظة، تلك الحركة التي غرستها المدارس والمعاهد التبشيرية ورعتها الأدوات والأجهزة الإستعمارية المتعددة بحجة المد العربي «الاسلامي».

أما الجو الخاص الذي عاش فيه نجيب، وانطلق منه، فكان من بيئته الثقافية من مدرسة الفرير في بيروت، ثم انتقل إلى فرنسا لاتمام دراسته واطلاعه على حركات التحرر الغربية، وعلى فكرة القومية بالذات التي كانت سائدة آنذاك، ثم عاد إلى الوطن حيث تولى منصب نائب حاكم فلسطين من سنة ١٨٩٨ - ١٩٠٤، فأتاحت له هذه الوظيفة الاطلاع على الادارة التركية مباشرة، وعلى باكورة الهجرة اليهودية.

وقد اصطدم عازوري مع الحكومة التركية، فاستبعد من الوظيفة واتجه نحو مصر وفرنسا حيث واصل نشاطه وأسس حزباً قومياً عربياً أسماه حزب «جامعة الوطن العربي»[٢].

واصل العازوري نشاطه في الكتابة في الصحف الفرنسية بمقالات عن فكرته القومية في (L'echo de paris) و (Le Figaro) إبتداء من عام ١٩٠٥. وقد نشر كتابا باللغة الفرنسية بعنوان «يقظة الأمة العربية في آسيا التركية Le réveil de la nation arabe dans l'asie-turque.) وفي مقدمة كتابه هذا ذكر العازوري أنه في صدد إصدار كتاب آخر متمم لكتابه المذكور بعنوان «الخطر اليهودي العالمي»[٣]. وفي عام ١٩٠٧ أصدر العازوري مجلة شهرية سياسية تاريخية أدبية اقتصادية (L'independance Arabe).

وبازدياد الآمال المعلقة على «الجامعة» بلغت نشاطاته ذروتها وبخاصة في فرع باريس الذي يلعب دور «حث لأوروبا للالتفات إلى شعب يناضل من أجل حريته»[٤].

وعلى أثر انقلاب ١٩٠٨، وسقوط السلطان عبد الحميد، تعاون عازوري مع تركيا الفتاة ونشر بيانا [٥] في مجلته «الاستقلال العربي» تلك المجلة التي أسسها للتعريف بالقضية العربية[٦]، وكان شعارها «بلاد العرب للعرب» وقد أسند رئاسة تحريرها إلى (Eugéne Gung) عاد بعد ذلك إلى فلسطين يحدوه الأمل للاشتراك في الانتخابات (مجلس المبعوثان) لكن ذلك لم يتحقق إذ استغل جماعة «تركيا الفتاة» حكماً سابقاً عليه بالسجن لمدة ١٥ سنة كان قد صدر بحقه من قبل حاكم القدس عام ١٩٠٢، فمنع من ترشيح نفسه بانتظار إعادة النظر بالحكم. وهرب إلى مصر، وواصل نشاطه السياسي والصحافي وشارك مع الأحرار الذين هاجروا إلى بلاد النيل، في إصدار المجلات والجرائد وتأسيس الجمعيات والأحزاب وإقامة العلاقات مع الدول الأجنبية عبر قناصلها. وقد ترأس في مصر تحرير جريدة يومية «مصر» (La quotidien d'egypt) كما أسس المحفل الماسوني في مصر، وظل يعمل في الصحافة وأيد ثورة الشريف حسين وساعد على تأمين السلاح إلى الثوار العرب عبر سينا[٧]. وظل



الشريف حسين بن علي

عازوري يعمل جاهداً إلى أن شارك في تنظيم المؤتمر السوري العربي في باريس عام ١٩١٣. توفي العازوري في القاهرة على أثر نوبة قلبية عام ١٩١٦.

سبق القول بأن العازوري عاش في عصر تفتح القوميات، ولذا عالج موضوع الشعوب التابعة للسلطنة العثمانية على أساس قومي فقال: «منذ أن اغتصب الأتراك الخلافة أضاعت هذه الشعوب وعيها لقومياتها وسربلتها الجهالة في عبودية واحدة»[٨] ولذا طالب باستقلال هذه الشعوب على أساس قومي بعد أن استيقظت ووعت ذاتها «وهي تحلم بالاستقلال. يتهيأ الأرمن والأكراد والعرب معاً لخلع عبودية الأتراك المقوتة بغية تكوين ممالك حرة دستورية»[٩].

وما دامت فكرة القومية العربية[١٠] هي الفكرة التي يدعو إليها العازوري، بشكل عام فمن الطبيعي أن يكون له تصور لقوميته التي ينتمي إليها، ولذا فهو يرى «أن العرب الأسيويين أكثر شعوب العالم هدوءاً»[١١]، وهم مع أنهم

رزحـوا تحت عبء التبعيـة إلا أنهم يظلـون يتميزون ويحتفظون بفضائل سامية معينة فيقول «ومـع أن العرب أعتـرتهم الأخطاء المـلازمـة للشعوب التي أفقرت وأرهقت بعبودية طـويلة فأنهم ما زالوا يحتفظون ببقايا الفضائل السامية التي تميزهم منذ زمن هارون الرشيد وصلاح الدين»[١٢] ويتميز العـرب بروحهم السمحـة: «ودعت الأمة العربية ذاتها من دجلة إلى برزخ السويس ومن البحر المتوسط الى بحر عمان الى ثورة قومية تدهش العالم بسرعتهـا وبالـروح السلمية التي تحركها»[١٣].

وقد أعلن العازوري رؤيتـه القوميـة في تحديد أهـداف حزبـه «حزب جـامعة الـوطن العربي» بالبيان الذي صدر عن المؤتمر العربي الأول في باريس عام ١٩٠٥، «أن امبراطورية عربية أو اتحاداً كونفدراليا لـلأقطار العـربية سيضمن ازدهار الملايين وسعادتهم ويضع حداً للاضطهاد الـذي يمارسـه الموظفـون الأتراك، وتسمـح ببعث الحضارة القـديمـة التي ألّقت العربية في القرون الوسطى. نريد بوحدتنا أن نحكم أنفسنـا بـأنفسنـا، بلغتنـا، وحسـب عاداتنا»[١٤].

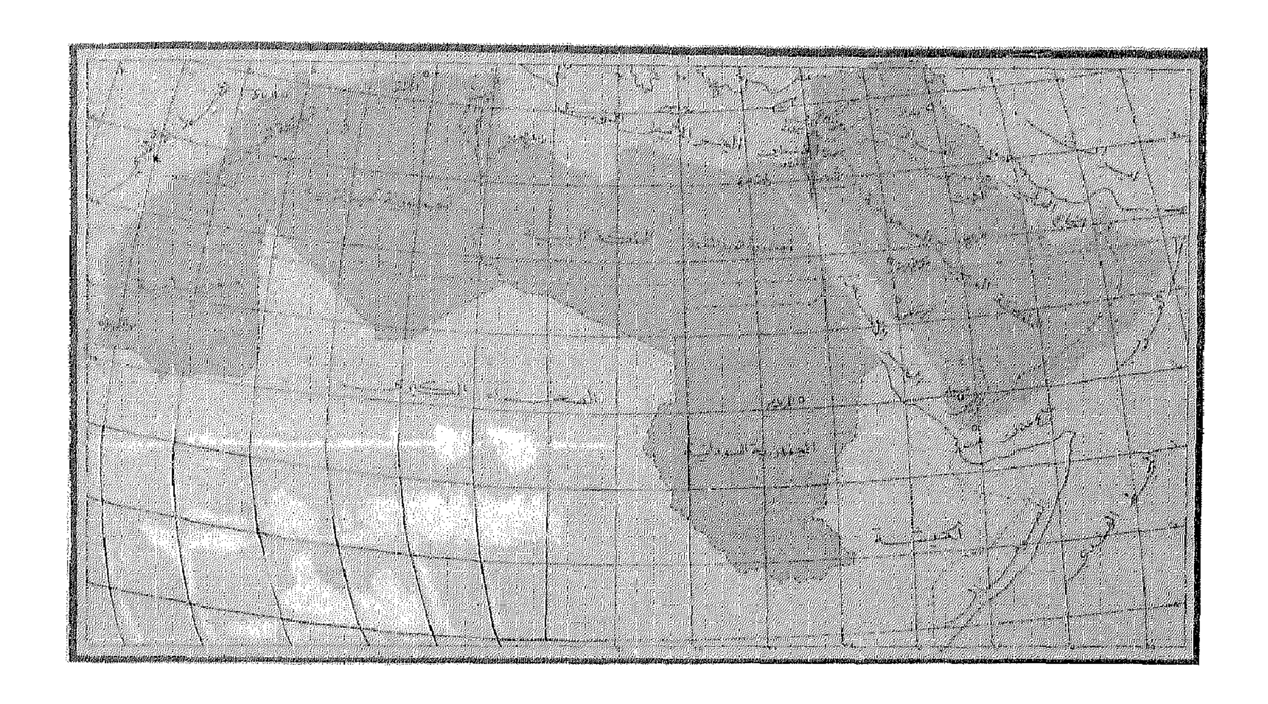
لقد تحدى العازوري الأتراك، بما تحدى به العرب الأتراك، فكان يردد على جمع من الأتراك: «النبي عـربي والقرآن عـربي، ولغة السمـاء عربية»[١٥].

وقد دعا العازوري إلى تعريب المـذهب الكاثوليكي، وتأسيس بطريركية خـاصة لهـذه الكنيسة إذ كان العرب في كل الأقطـار التي فتحوها وحكموها أجيالاً مثال التسامح والرحمة والانسانية مع أصحاب الأديان الأخرى. «لقد احتوى العرب الذين هاجموا آسيا وأفريقيا، كل الشعوب والعناصر ولم يجدوا صعوبة في فرض اللغة العربية على السوريين والكلدانيين الـذين كـانوا من جنسهم وتشبـه لهجاتهم اللهجـات العـربية. واحتـرم الخلفـاء العـرب الطـوائف المسيحية تمشياً مع الوضع الراهن ومع أنهم تعلموا العربية فقد استمروا على تأدية الصلاة بلغـاتهم الأصلية واحتفظـوا بالنظـام الـديني القديم»[١٦]... وأي ضير يتأتى من أن تصبح اللغة العربية — لغة القرآن والاسلام العالمي — لغة لمذهب كاثوليكي؟ وأن تؤسس بطريركية خاصة لهذه الكنيسة الجـديدة تحتـوي كل المـذاهب الأخرى في سنوات معـدودة، وتنضم الكنائس الأرثوذكسية تلقائياً أيضا لها لأنهـا ستكون مـدفوعـة بحركـة الأمة الشـاملـة، ويتعـاطف المسلمون مع المسيحيين أيضا لأنهم يقتربون منهم من أجـل السلام والخـير العميم للوطن المشترك، الوطن العربي»[١٧]. أن العرب المسلمين لم يعودوا غرباء في منطقة بلاد الشام وما بين النهرين لأن سكان البلاد الأصليين استقبلوهم بالترحاب، وتبنوا لغتهم، وتبنى كثير منهم دينهم. ولـذا طالب بـاستعمال الاصـلاح، وبـانتظـام البـروتستانت كـالكاثـوليك وتـوحيد نشـاطهم «ويشكلوا مذهبا قوميا عربياً بنظام ديني وطني، ويبعدوا كل لغة أجنبية وسيحتوي هذا المذهب، بعد قليل من الزمن، كل الكنائس لا فرق بين كاثوليكية منها وأرثوذكسية...لقـد تعبت الأمة العربية تماماً من الانقسامات التي انبعثت من مسائل مذهبية تافهة...»[١٨]

ويؤكد على فكرة القومي: «وليس من شيء أكثر توافقا من طموحات الأمة وأسهل من خلق مذهب قومي عربي تتلى بموجبه الصلوات كلها بالعربية لابعاد اليونانيين واللاتـين والسريـان والكلدان»[١٩].

وقد انطلق في نظرته تلك من واقع العرب عند الفتح الاسلامي في أن سياستهم كـانت سياسة التحرير لا القهر فيقول: «ولا تكفي حدة الايمان الديني وقوة التضحية، وإنكار الذات لتفسير النجاح العربي الهائل، فلقد كـان من جملة أسباب هذا النجاح أيضا حسن استقبال الشعوب لهم، فقد جذبوا ملايين الرجال وأظهروا، في منـاطق متعددة، أنهم يـريـدون التحـريـر لا القهر، فقد بدوا أكثر إنصافا من الأسياد القدماء وأكثر حلماً رغم ضراوة اندفاعهم»[٢٠].

وأكّد رحابة الاسلام وتسامحه مؤكداً أنه لا وجود للتعصب الديني أبداً عند المسلمين ولكن الاستعمار يستغله للتجزئة والسيطـرة فيقول: «رغم أن الأتراك يضطهدون المسلمين العرب أكثر من اضطهادهم المسيحيين إلا أنهم يحـرضون أولئـك على هؤلاء، وهم يستنـدون إلى الكهنة اليونان فيثيرون الأرثوذكس ضد الكاثوليك بهدف



إلهاء الشعوب، وتحويل انتباهها عن الطغيان. ولقد جانبت أوروبا، الحقيقة لاعتقادها بوجود التعصب الديني، في حين أنه لا وجود للتعصب الديني بين المسلمين، العكس بالعكس، لقد أمر محمد بالتسامح»(٢١).

ولقد تحدث عازوري أكثر من مرة، عن دولة عربية مستقلة، رسم حدودها وحدد نظامها على الشكل التالي:

«نود أن ننسلخ بتاتاً عن تركيا لتأسيس مملكة عربية تشتمل على جميع البلاد العربية في أسيا الداخلة في حدودها الطبيعية من وادي دجلة والفرات إلى قناة السويس ومن البحر المتوسط إلى خليج عمان، وستكون هيئة الحكومة عبارة عن سلطنة حرة دستورية بأوسع معانيها وحاكمنا عربي مسلم»(٢٢) وسترتكز حكومة هذه السلطنة الدستورية على حرية كافة المذاهب، ومساواة كافة المواطنين أمام القانون، وتحترم المعاهدات الدولية، كما تحترم الحكم الذاتي في لبنان واستقلال إمارات اليمن ونجد والعراق، على أن يكون إمبراطورها اميراً من العائلة الخديوية المصرية، أي من أسرة محمد علي الحاكمة في مصر، والتي كان لها تاريخ طويل في مكافحة السيطرة التركية في القرن التاسع عشر على أن تستبعد مصر عن الامبراطورية العربية، لأسباب واهية هشة، يتذرع بها عازوري، «لأن المصريين لا ينتمون إلى العرق العربي فهم من عائلة البرابرة الأفريقيين واللغة التي كانوا يتكلمونها قبل الاسلام لا تشبه العربية قط، أضف الى ذلك قيام حدود طبيعية بين مصر والامبراطورية العربية يتوجب احترامها حتى لا تدخل في الدولة الجديدة بذور التنافر والهدم. كما أن الخلفاء العرب لم ينجحوا في السيطرة طويلاً على هذين البلدين»(٢٣).

«يقدم الوطن العربي الخلافة الاسلامية الدينية العامة للشريف المتحدر عن الرسول والذي ينضم بصراحة إلى حزبه الذي يكرس نفسه لهذا العمل. وسيكون لهذا الخليفة الديني دولة سياسية، مستقلة تماماً تشمل ولاية الحجاز الحالية ومنطقة «المدينة المنورة» حتى العقبة. ويتمتع الخليفة الديني باحترام الملك ويملك سلطة روحية فعلية على كافة مسلمي الأرض»(٢٤) على أن يعم نفوذه العالم الاسلامي ويتمتع بهيبة روحية بلا منازع، لا ينتقد طوال حياته، وتبقى عظمته مستقلة. «أن خليفة نبي الله يجب أن يتمتع بنفوذ أو هيبة روحية بلا منازع، ويجب أن يبقى محترماً لا ينتقد طوال حياته، ولا يرتقى إلى سلطته ويجب أن تبقى عظمته مستقلة»(٢٥).

«هكذا تكون سلطته شاملة ويحكم من مقره حكماً روحيا لجميع مسلمي العالم الذين يخفون إلى مقامات محمد المقدسة لتأدية

(فريضة) الحج»[٢٦]. وهو يرى «أن التعصب الديني لا يوجد قط في الأعماق ولكن الشعور القومي هو الذي يوجه حركات الشعوب»[٢٧] وهذا الشعور بالذات هو الذي يربط بين العرب ولن يوقفه أي عائق. «لقد سبق السيف العزل ودعت الأمة العربية ذاتها من دجلة إلى برزخ السويس ومن البحر المتوسط إلى بحر عمان إلى ثورة قومية تدهش العالم بسرعتها، وبالروح السلمية التي تحركها»[٢٨].يحدد الدافع، ويحدد المكان بحدود البلاد العربية ويتوقع ثورة سلمية هادئة سريعة تحقق ذاتها وتتضامن البلاد العربية لتحقق تلك الوحدة، «يستيقظ أسد الصحراء وتردد جبال سوريا وسهول الفرات صدى زئيره، ولقد كنت أسمع دائماً هذا الضجيج الأهم الذي يسبق قصف الرعد وكنت أرى البرق الذي يسبق كبرى العواصف»[٢٩]فأمله عظيم وثقته بأن الأمة كلها متجاوبة مع تطلعاته وبأن هذه الأمة سيكون لها علم قومي موحد تنضوي تحت لوائه «وفي اليوم الذي سيرتفع فيه العلم القومي العربي في دمشق وبغداد»[٣٠] ستتضافر الجهود والمقومات كلها لانتصار قوميته التي يراها حقيقة واقعة لا حلم خيال، كانت قومية العازوري فرنسية الهوى، متأثرة بنشأته الثقافية، وبموقف الفئات الفرنسية المثقفة في أواخر القرن التاسع عشر من اليسوعيين والبابا: «هكذا نجد بفضل نشاط فرنسا بيننا مثقفين واعين، وبتنا نعي قوميتنا»[٣١]. وكان العازوري معجباً بالثقافة الفرنسية التي «قامت بحملة إلى سوريا وخلقت الحكم الذاتي في جبل لبنان دون التمركز في البلاد كما كان يمكن لها أن تفعل»[٣٢].وأنها قدمت خدمات جليلة من تعليمية وغيرها، وحمت الارساليات: «أن الخدمات التي لا تحصى والتي أدتها على مر الأزمان لقضية الحضارة تعطيها الحق في أن تتمتع بمحبة كل الشرقيين وجميلهم دون تمييز في العرق أو في الدين»[٣٣].

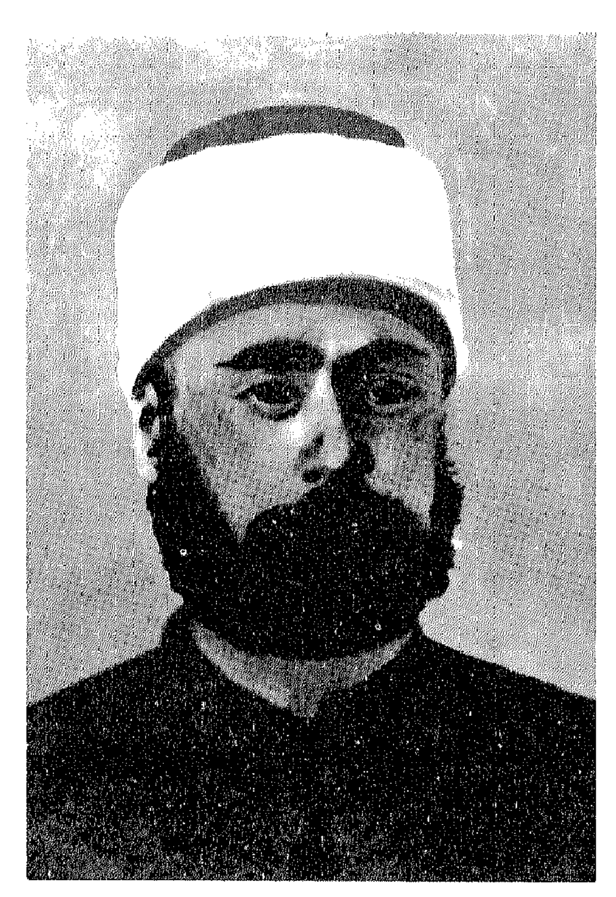
فلا شك أن فهم عازوري لعلاقة المسلمين بالمسيحيين في الشرق، ولعلاقة لبنان بالملكة العربية التي يقترحها نابع من إحساسه بوضعه الطائفي وخوفه على هذا الوضع، وهو مع إصراره على احترام الحكم الذاتي في لبنان، يرى أن على المسيحيين تقديم تنازلات فيما يتصل بالقضايا الدينية مقابل الحصول على وضع خاص في قلب المملكة العربية، ولا يخفف من هذا الاحساس دعوته إلى منح النجديين وضعاً مشابهاً للبنان، فلو كان الوضع الخاص سياسياً لأي منطقة آنذاك يبرر ذلك فلماذا لم يطلبه لمسيحيي فلسطين وهم لم يكونوا يقلون عدداً عن كاثوليك لبنان آنذاك؟ لكن إذا أمكن فهم تصوره لعلاقة الدين بالدولة، لعلاقة لبنان بالدولة في الاطار الذي حددناه، فكيف يمكن فهم موقفه من استقلال مصر عن أمته العربية الجديدة؟ لقد حدد أسساً لغوية ودينية وثقافية وجغرافية للأمة؟ وكلها تطبق على مصر، فهل كان صوت مصطفى كامل المنكر لعروبة مصر هو الذي دفعه إلى الحديث عن خلافات عرقية؟ لا شك أن فكرة استبعاد مصر عن الأمة العربية كانت ولا تزال من بنات فكر الاستعمار وتخطيطه، بغية إضعاف هذه الأمة، وتفكيك تلاحمها.

ونرى أنه يصعب وضع تصوره كله – بما في ذلك فهمه للصهيونية – خارج إطار الصراع الاستعماري على المنطقة، وعن الذي كان يدور بين فرنسا وإنجلترا منذ قرن من الزمان. لقد كانت الدولتان تتنازعان من أجل تقسيم تركة «الرجل المريض»[٣٤]. وكانت الصراعات بينهما في آسيا وأفريقيا تصل إلى حد إعلان الحرب، وقد وقعت الحرب العالمية أخيراً عام ١٩١٤ لأسباب كهذه. أما في الفترة التي كان نجيب عازوري يكتب كتابه (١٩٠٤ – ١٩٠٥) فكانت الدولتان قد أتفقتا مؤقتاً بعد مواجهة (فاشودة) على تقسيم مناطق النفوذ. فاعترفت فرنسا بمصالح إنجلترا في بعض أقطار أفريقيا ومنها مصر، واعترفت إنجلترا بمصالح فرنسا في المغرب العربي وبعض أجزاء أفريقية الأخرى وسورية ولبنان، وكان النزاع ما يزال يجري على العراق وفلسطين وقد أظهرت وثائق وزارة الخارجية الفرنسية أن نجيب عازوري كان مرتبطاً بالسياسة الفرنسية، ومن هنا يأتي ارتباطه بالمشروع الاستعماري الفرنسي، ومن هنا يأتي التناقض في موقفه. ففي الوقت الذي كان فيه شديد الحماس للقومية العربية وللأمة العربية، وكان يضع ذلك في مواجهة الترك، ويضع الترك في مؤازرة الصهاينة ويفصل مصر

عن العرب الشرقيين إذ لربما يفعل ذلك تناسقاً مع السياسة الفرنسية، رغم أنه أراد ملكاً للشام من مصر. ويبدو تردد وتأرجح العازوري واضحاً من خلال بعض المواقف والآراء. لقد أعلن في المؤتمر العربي الأول المنعقد في باريس عام ١٩٠٥، ملخصاً لمبادىء حزبه، حزب الوطن العربي، وهو الانفصال عن الأتراك، وإنشاء إمبراطورية عربية، أو اتحاداً كونفدراليا للأقطار العربية، ثم «نحكم أنفسنا بأنفسنا بلغتنا وحسب عاداتنا»(٣٥).ويصرح في وقت آخر «نحن لا نطلب من الدول الأوروبية أن تقدم أي تضحية في سبيلنا أو أن تتخذ خطوة عسكرية لصالحنا، فقط نرجو أن تتعاطف معنا أوروبة والولايات في أميركا الشمالية وذلك لصالح السلام العالمي، وخير الانسانية، وتدعم بالتشجيع الحركات الوطنية الانفصالية التي تحدثت عنها في هذا الكتاب وخصوصاً الحركة العربية، فهي أقوى الحركات وأضمنها نجاحاً، وفي الواقع لا يحتاج إثنا عشر مليون عربي إلى أكثر من اثنتي عشرة ساعة لطرد ألف ومائتي تركي يستغلونهم بتجزئتهم»(٣٦). ثم يصرح بوضوح: «لا يملك أحد الحق في أن يحكمنا غير فرنسا، ولن يُهتف بحرارة لأي دولة غيرها إذا نزلت في البلدان العربية يوم يتقرر تجزئة الامبراطورية التركية»(٣٧).

وإذا كانت الأمة العربية التي أشاد العازوري بخصائصها طويلاً ليست قادرة على حكم نفسها بنفسها، رغم أنه أكد ذلك — فما الحاجة إلى استقلالها عن الترك ووقوعها في يد الفرنسيين؟ لا شك أن نجيب عازوري كان مخلصاً في موقفه من الصهيونية، كما كان مخلصاً في إحساسه بوحدة العرب — الهلال الخصيب — لكن نرجح أن ارتباطه بالمشروع الفرنسي في الشرق كان من الأسباب التي أدخلت تناقضات على قضيته.

وهل صحيح أن العرب جميعاً كانوا يشاركونه عداءه للعثمانيين وكانوا يريدون الاستقلال عنهم، أنه فيما عدا عبد الرحمن الكواكبي الذي كان يريد خليفة عربياً، فانه علينا أن ننتظر حتى يتبلور اتجاه «اللامركزية» المعتدل. ورغم قيام جمعيات سياسية سرية



عبد الرحمن الكواكبي

عربية كثيرة، لم يكن هناك توجه عربي شامل ضد السيطرة العثمانية بصرف النظر عن الثورة العربية عام ١٩١٦ وملابساتها.

ولا شك أن جمعية الاتحاد والترقي، التي وصلت عام ١٩٠٩ إلى السلطة عجلت بسياستها في التتريك في بلورة رد فعل عربي لكن مشاريع الانفصال كان عليها أن تنتظر بعض الوقت كليا كي تستطيع الخطوة أن تنال تأييداً جماهيريا عربياً. هذا فان موقف عازوري من الترك هو موقف شخصي إلى حد كبير ومرتبط بالفرنسيين وسياستهم في المنطقة في آن. ويبدو أنه كان يراهن في موقفه من الصهيونية على الموقف الفرنسي المتعارض حتى ذلك الحين لارتباطها بالسياسة البريطانية في الشرق.

أن التناقض الداخلي الذي يسود أجزاء المشروع العربي العازوري وارتباطه بمصالح فرنسا في الشرق حال دون تجذره في داخل الشرق العربي. فحتى في المؤتمر العربي عام ١٩١٣ بباريس لم يلعب عازوري دوراً بارزاً،

ويرى جورج انطونيوس[٣٨] أن نشاطات عازوري في أوروبا أثارت شيئاً من الاهتمام لكنها لم تؤثر في داخل الشرق العربي لصدورها عن باريس وباللغة الفرنسية. وعندما عاد إلى يافا عام ١٩٠٨ لفترة قصيرة لترشيح نفسه للمبعوثان ناقض نفسه إذ لم يدع لمشروعه السالف الذكر بل ركز على قضايا الاصلاح العام[٣٩]. على أن «بورات» ينسب إليه تأثيراً في العالم العربي، لكنه يؤكد أنه لم يكن له أي أثر في فلسطين[٤٠]. ويرجع «هارتمان» ذلك إلى طبيعة شخصيته بالاضافة إلى مسيحيته وارتباطه بفرنسا[٤١]. هذا وإن كانت هذه الأفكار قابلة للبحث والمناقشة.

وكما أشاد العازوري بالعرب ولغتهم كذلك تفاخر بامكاناتهم وتفوقهم العلمي، وبحضارتهم العربية وقيمها الروحية والانسانية، من تحرر، وحرية، وعدالة ومساواة، وإنجازات فكرية وعلمية وفنية وعمرانية، ويعتقد عازوري أنه لو استمرت «الأمة العربية في تقدمها»... كان بامكانها أن تكون على قمة الحضارة العالمية[٤٢].

وكما آمن العازوري بالأمة العربية كذلك آمن بالانسان العربي وإمكاناته، «ففي أقل من قرن شيد العرب جامعي عمر والحمراء واكتشفوا علم الجبر، وطوروا الطب والكيمياء والهندسة وعلم الفلك والجغرافيا وترجموا كتب أرسطو والفلاسفة القدماء وشملت غزواتهم المناطق الواقعة بين الأطلسي إلى ما وراء الهندوس، وبين المتوسط والخط الاستوائي، فسيطروا على إسبانيا ونشروا لغتهم وحضارتهم حيث حلوا»[٤٣].

ويقول في مقولة أخرى: «أن العرب أعطوا دفعاً كبيراً للآداب والعلوم... وأنهم...» أبدعوا شعراء ومؤرخين وفلاسفة وعلماء كثيرين في سنوات معدودة...[٤٤]. وقد ردّد في هذا المجال كلمات إحدى الكاتبات الأجنبيات: أليزار لكوس: «برزت الطاقة المتراكمة من قرن إلى آخر في هذه القبائل المجهولة فجأة وبقوة تفوق قوة الاغريق حين غزو آسيا في ظل الاسكندر، وتفتقت كتفتق مغبر الصبر الذي يقضي أجيالاً ليظهر، ولكن تويجته التي تبرز فجأة تسحر بعظمتها»[٤٥].

ويرى عازوري أن العرب هم الذين حافظوا على تراث أوروبا والانسانية من الضياع، وهم حملة شعلة حضارية جديدة مبدعة: «لقد نقل العرب العلوم والفنون، وشجعوها، فاينع الميراث الذي تركه البيزنطيون ضائعاً. لقد أثار العرب شعلة جديدة في هذه الجمرات التي كادت تنطفىء بهدوء تحت رماد الأديرة الشرقية اليونانية، لقد ساهم العرب رغم انعزال وطنهم مساهمة فعالة في نتاج الانسانية المشترك واختصروا لأوروبا ليل العصور الوسطى الطويل»[٤٦].

■

هوامش

(١) نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ص١٥.
(٢) المصدر نفسه، ص١٩، ص ١٩٧.
(٣) نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ص٤ – ٤٣.
(٤) نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ص١٩.
(٥) (Eugéne Gung, la révolte arabe, p. 23).
(٦) (Ibid: p. 19).
(٧) (Eugéne Gung, la révolte arabe).
(٨) نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ص ١٩٨.
(٩) المصدر نفسه، ص ١١٢.
(١٠) المصدر نفسه، ص ١٧٦.
(١١) المصدر نفسه، ص ٧٦.
(١٢) المصدر نفسه، ص ٧٦.
(١٣) المصدر نفسه، ص ٩٩.
(١٤) المصدر نفسه، ص ١٩.
(١٥) المصدر نفسه، ص ١٩٧.
(١٦) نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ص ١٧١.

(١٧) المصدر نفسه، ص ١٧٦.
(١٨) المصدر نفسه، ص ١٧٧.
(١٩) المصدر نفسه، ص ١٧٦.
(٢٠) نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ص ٢١١.
(٢١) المصدر نفسه، ص ١٩٩.
(٢٢) من مجموعة وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في معهد الانماء العربي، ١٥٩. تعريب النشرة الفرنساوية الصادرة باقرار اللجنة العربية العليا باريس في ٣يناير، ١٩٠٥.
(٢٣) نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ص ٢١٩ – ٢٢٠.
(٢٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٠.
(٢٥) المصدر نفسه، ص ٢٢٠.
(٢٦) المصدر نفسه، ص ٢٢٠.
(٢٧) نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ص ٩٨ – ٩٩.
(٢٨) المصدر نفسه، ص ٩٩.
(٢٩) المصدر نفسه، ص ٩٩.
(٣٠) المصدر نفسه، ص ٦٩.
(٣١) المصدر نفسه، ص ١٢٢.
(٣٢) المصدر نفسه، ص ١١٥.
(٣٣) المصدر نفسه، ص ١١٥.
(٣٤) (Ghohn marritt: the eastern question),p. 225-249.
(٣٥) نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ص ١٩.
(٣٦) المصدر نفسه، ص ٢١٧.
(٣٧) المصدر نفسه، ص ٢٨.
(٣٨) يقظة العرب، ص ١٧٣.
(٣٩) (Mandel, turds, Arabes, p. 92).
(٤٠) (Porath: the political awchenng tinian, arabes, p/24, of the pales).
(٤١) الجمعيات السياسية العربية حتى الحرب الأولى لهارتمان (مجلة دراسات عربية/ عـ٩/ ١٩٧٨/ ص ٣٢ – ٣٤.
(٤٢) نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ص ٢١٠.
(٤٣) المصدر نفسه، ص ٢١٠ – ٢١١.
(٤٤) المصدر نفسه، ص ١٩٨.
(٤٥) المصدر نفسه، ص ٢١١.
(٤٦) المصدر نفسه، ص ٢١١.



● إن الجرائم التي ترتكبها اسرائيل ضد العرب، هي تكرار لجرائم هتلر ضد الشعوب الأوروبية.

كازيميرز روزينيك
نائب وزير ثقافة بولندا

● الحرب الفيتنامية جعلت من الولايات المتحدة دولة يحتقرها العالم.

مارتن لوثر كنج

● أنني أؤيد انشاء وطن قومي لليهود.. ولكن ألم تكن هناك طريقة أفضل لتحقيق ذلك؟

ليستر بيرسون
رئيس كندا السابق

لبنان التجربة الديمقراطية

محاضرة ألقيت في المركز الثقافي الاسلامي في بيروت بتاريخ ٢٠/١١/١٩٨٠.

الرئيس الدكتور سليم الحص

الحلقة الثانية

تجربة لبنان مع الديمقراطية في عهدها القصير شهدت صراعاً حاداً بين النظرية والتطبيق، وفي ظل الأزمة الحالية التي يعاني منها الوطن لمسنا تعثّر التجربة واضحاً، فتساءل الرئيس الحص: «هل كان لبنان غير مهيّأ للممارسة الديمقراطية الصحيحة ام أن النظام الديمقراطي الذي فصّل له كان لزمن معين؟»

... وبعد ان استعرضت الحلقة الأولى من المحاضرة أسباب تعثّر التجربة هذه محدّدة الطائفية السياسية موطناً للداء في النظام اللبناني بعامة، تأتي الحلقة الثانية والأخيرة متابعة التحليل بموضوعية ومسؤولية.



لو عدنا إلى المراجع لوجدنا ان الديمقراطية تترادف مع معان مختلفة وإنما متكاملة: هي حكم الأكثرية يمارسه الشعب مباشرة. وهذا النمط من الحكم، المعروف بالديمقراطية المباشرة، انقرض مع انقراض الدولة – المدينة أيام الاغريق. أما النمط الشائع اليوم في العالم وهو الذي يأخذ به لبنان مبدئياً، فهو نمط الديمقراطية التمثيلية، ويجسد شكلاً للحكم يحتفظ فيه الشعب بالسلطة العليا ويمارسها من خلال نظام التمثيل وتفويض السلطة محوره البرلمان. وكلمة الديمقراطية تومىء أيضاً إلى المساواة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وانتفاء الفوارق والامتيازات الوراثية أو الطبقية، وتعني أيضاً حالة في المجتمع تتميز بمراعاة حقوق الأقليات وحرية التفكير والمعتقد والتعبير، واحترام كرامة الانسان وقيمته، وتكافؤ الفرص بين الأفراد وحقهم في تحقيق ذاتهم وتنميتها في مجتمع منفتح. كل ذلك في إطار ضوابط دستورية واضحة.

أين لبنان من الممارسة الديمقراطية الصحيحة وهو لا يأخذ بحكم الأكثرية في شكل كامل، وفيه ما فيه من الفوارق الاجتماعية والوراثية، ومظاهر التمييز الطائفي، التي من شأنها ايهان مبدأ تكافؤ الفرص وركائز الديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية.

كأني بالنظام اللبناني قد تطور الى ما يشبه الاتحاد بين الطوائف.

المشاركة:

أما موضوع المشاركة فكان عند نشوب الأحداث أحد أبرز مواضيع النزاع السياسي في لبنان. والمقصود المشاركة في الحكم بين رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة. والموضوع كما سبقت الاشارة متداخل مع مسألة الطائفية السياسية. فلولا الطائفية السياسية لما كان خلاف حول هذا الموضوع، أو على الأقل لما اصطبغ الخلاف حول هذا الموضوع بالطابع الطائفي كما حصل في الواقع.

يقول الدكتور ادمون رباط (في مجموعة محاضرات حول القانون الدستوري اللبناني): «من خصائص النظام البرلماني أن تتجسد فيه السلطة الاجرائية بعضوين مختلفين في وضعيتهما القانونية: عضو مستقر وهو رئيس الدولة، أكان ملكا أو رئيس جمهورية، وعضو جماعي هو الوزارة أو الحكومة، يتبدل بتبدل السياسة ويتجدد بتجدد الثقة التي لا بد من أن ينالها من البرلمان.

«والدستور اللبناني لم يتخلّ عن هذه الثنائية البرلمانية اذ أنه قد أناط السلطة الاجرائية برئيس الجمهورية من جهة وبالوزارة من جهة أخرى.»

«غير أن الظاهرة التي اتصف بها من هذه الناحية انما هي المركز الخاص الذي وضع فيه رئيس الجمهورية في البرلمانية اللبنانية، بجعله الدعامة الثابتة للسلطة الاجرائية، بل

سيد هذه السلطة الأولى، لدرجة أن الوزارة لا تستطيع ممارسة الحكم إلا وهي في دور دوران في فلكه، وان البرلمان لا يسعه البقاء إلا وهو في حالة من التجاوب الدقيق مع رغباته.

«وهذا التمركز للسلطة الاجرائية في شخص رئيس الجمهورية – الذي يبدو شاذا عن مألوف البرلمانية المعروفة – يرجع الى أسباب خاصة بالوضع اللبناني»... تعود الى أن الانتداب الفرنسي وجد في توطيد سلطان رئيس الجمهورية سبيلا سهلا لاجراء رقابته على أعمال الدولة والتدخل في شؤونها، كما تعود، حسب قول الدكتور رباط، إلى أن طبيعة العقلية اللبنانية لا تتقبل بسهولة ازدواج السلطات، كما وأن الطائفية كان لها فعلها في جعل رئيس الجمهورية حكما طبيعيا ولازما لاتجاهات لا يصونها من التناقض سوى هيبته العليا.

الصلاحيات في الدستور

إن موضوع المشاركة يقوم في جوهره على توزيع المسؤوليات والصلاحيات ضمن السلطة التنفيذية بين رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء. وفي الحديث عن صلاحيات الرئاستين لابد من التمييز بين مفاهيم ثلاثة للصلاحيات: مفهومها حسب النصوص الدستورية، ومفهومها حسب العرف المتبع، ومفهومها من حيث الواقع العملي. وشتان ما بين المفهوم والآخر.

من ناحية النصوص الدستورية، لا وجود لصلاحيات محددة لرئيس الوزراء بصفته هذه. وأي صلاحيات يمارسها رئيس الوزراء فانما تنبع من كونه عضوا في الحكومة، والحكومة هي التي تشارك رئيس الجمهورية في اتخاذ القرار في مجالات محددة، أو انها تعود اليه بصفته وزيرا وذلك في تصريف شؤون الوزارات التي يتولاها أو في التوقيع مع رئيس الجمهورية على القرارات المتعلقة بتلك الوزارات بالذات. فالدستور اللبناني في الواقع لا يأتي على ذكر رئيس الوزراء إلا في مادتين اثنتين فقط: المادة ٥٣ التي تنص على أن «رئيس الجمهورية يعين الوزراء ويسمي منهم رئيسا...»، والمادة ٦٦ التي تقضي بأن «... يعد بيان خطة الحكومة ويعرض على المجلس (المجلس النيابي) بواسطة رئيس الوزراء أو وزير يقوم مقامه».

فيما عدا هذين الموضعين، فلا ذكر لرئيس الوزراء، وبالتالي لا نصوص تتعلق بصلاحيات ولا دور محددا له. فالدستور يسند السلطة الاجرائية الى رئيس الجمهورية صراحة وتحديدا.

فبموجب المادة ١٧: «تناط السلطة الاجرائية برئيس الجمهورية وهو يتولاها بمعاونة الوزراء وفقا لأحكام هذا الدستور».

وحسب المادة ٥٤: «مقررات رئيس الجمهورية يجب أن يشترك معه في التوقيع عليها الوزير أو الوزراء المختصون ما خلا تولية الوزراء واقالتهم قانونا».

فرئيس الجمهورية، حسب نص الدستور اللبناني، هو الذي يتولى السلطة الاجرائية بمعاونة الوزراء، وهو الذي يعين الوزراء ويسمي من بينهم رئيسا، وهو الذي يقيلهم، وهو الذي يولي الموظفين مناصب الدولة ما خلا تلك التي يحدد القانون شكل التعيين لها على وجه آخر، وهو الذي يدعو مجلس النواب الى عقود استثنائية، وهو الذي يتولى المفاوضة في عقد المعاهدات الدولية وابرامها، وهو الذي ينشر القوانين التي تتم الموافقة النهائية عليها، وله الحق أن يطلب اعادة النظر في القوانين، والى ما هنالك. ويوجب الدستور في أكثر الحالات أن يشترك الوزير المختص أو الوزراء المختصون مع رئيس الجمهورية في التوقيع على المقررات التي يتخذها. وفي كثير من الحالات يوجب الدستور أن يقترن القرار بموافقة مجلس الوزراء، ولكن هذا مع الملاحظة أن رئيس الجمهورية هو الذي يعين الوزراء، حسب الدستور، وهو الذي يقيلهم.

في مقابل ذلك: «لا تبعة على رئيس الجمهورية حال قيامه بوظيفته الا عند خرقه الدستور أو في حال الخيانة العظمى»، كما جاء في المادة ٦٠ من الدستور.

الصلاحيات حسب العرف:

هذا من حيث النصوص الدستورية. الا أن هناك عرفا متبعا مغايرا للنصوص الدستورية، وهو أقوى منها عمليا، وهو الذي

فرض حتى اليوم أولا وآخرا، في غياب أي نص دستوري صريح في هذا الشأن، طائفية الرئاسات الثلاث فأقطع رئاسة الجمهورية للموارنة ورئاسة المجلس النيابي للمسلمين الشيعة ورئاسة الحكومة للمسلمين السنة.

فحسب العرف المتبع، يتمتع رئيس الوزراء بصلاحيات واسعة يتراءى لمن يتفحصها أنها يجب أن تكون كافية ولو ظاهرا لتمكين رئيس الوزراء من ممارسة المشاركة الفعلية في الحكم مع رئيس الجمهورية.

في الواقع، وخلافا للنصوص الدستورية، فان رئيس الجمهورية يسمي رئيس الوزراء اولا، وبعد اجراء استشارات نيابية، يشترك رئيس الوزراء مع رئيس الجمهورية في اختيار الوزراء وتأليف الحكومة. ورئيس الوزراء يوقع مع رئيس الجمهورية والوزير المختص على جميع المراسيم التي تصدر. ولا ينفرد رئيس الجمهورية بالتوقيع الا على تعيين رئيس الوزراء وقبول استقالة الحكومة واقالتها. ولم يحدث أن أقيلت حكومة.

وهذا العرف القاضي باشتراك رئيس الوزراء في التوقيع على كل المراسيم مطبق في الواقع بدقة وأمانة. وفي هذا قوة لرئيس الوزراء في المشاركة في الحكم لا يمكن تجاهلها. فما من قرار يصدر على مستوى الحكم الا بموافقته، وبالتالي بمشاركته. فلا عذر له اذا وقع على قرارات لا يرضى عنها، ولا عذر له بقرارات لا يشارك في صنعها. وهكذا، من خلال قدرته على حجب الموافقة على أي قرار، فانه يتصرف بقوة سلبية واضحة. ومن واجب رئيس الوزراء أن يحول هذه القوة السلبية، وفي استطاعته أن يفعل، الى قوة ايجابية فاعلة. فلا يكتفي باستخدامها في الامتناع عن التوقيع حيث لا يلقى قرار منه قبولا، وانما يمكنه أن يمارس مسؤوليته في المبادرة الى صنع القرار أو المشاركة في صنعه. بعبارة أخرى أن المشاركة تتحقق إذا قدر رئيس الوزراء قيمة توقيعه، ووعي أهميته.

أما والأمر كذلك، فأين المشكلة؟ أي مشكلة في مشكلة المشاركة؟

حقيقة المشكلة:

ان المشكلة ليست في ضعف صلاحيات رئيس الوزراء وانما هي في ضعف مركزه وبالتالي في ضعف موقفه. ويصح هذا القول بشكل خاص إذا كان رئيس الوزراء من محترفي السياسة وهو ما يفترض في رئيس الوزراء أن يكون في الأحوال العادية. ومفهومنا للاحتراف السياسي عند المسؤول هو أنه، في جملة الاعتبارات والاهتمامات التي تحكم مواقفه، من سياسية ووطنية، يهمه البقاء في الحكم أو العودة اليه فيما بعد. ولا مثلبة في ذلك على الاطلاق. فهذا بديهي بالنسبة لمحترف وإلا ما كان محترفا بالمعنى البسيط والواضح للكلمة. ولا أعلم بنظام سياسي من غير محترفين للسياسة. ولكن سر الضعف في مركز رئيس الوزراء المحترف للعمل السياسي يكمن في عدم ثباته وعدم استقراره. فهو مهدد بالرحيل أو الترحيل منذ اللحظة التي يتسلم فيها سدة الرئاسة. ويترتب على هشاشة المركز هذه مضامين ذات أثر على الصعيدين السياسي والاداري تنعكس حتما على موقع رئيس الوزراء وتضعف قوته.

من حيث المضامين السياسية، لاشك أن استمرارية رئيس الجمهورية طيلة سنوات عهده تجعل منه نقطة استقطاب سياسية أقوى بكثير من رئيس الوزراء في موقعه المهدد والمهتز. فمن الطبيعي لمحترفي السياسة، سواء كانوا ممن ينافس رئيس الوزراء على منصبه أو ممن يطمح الى منصب وزاري، أن يجنحوا الى الالتفاف حول رئيس الجمهورية وهو باق، لا حول رئيس الوزراء وهو زائل، فيما لو ووجهوا بالاختيار بين الاثنين في موقف من المواقف. من هنا النفوذ العريض الذي يتمتع به رئيس الجمهورية عادة في الأوساط السياسية بالمقارنة مع رئيس الوزراء. وبديهي أن يولد هذا الواقع لدى رئيس الوزراء في كثير من الحالات الاحساس بأنه مدين لرئيس الجمهورية بمجيئه وبقائه واحتمالات عودته مستقبلا.

ومما يجعل رئيس الجمهورية في موقع الأقوى تجاه رئيس الوزراء ان الاثنين يشتركان في الصلاحيات، وفي الصلاحيات قوة، ولكنهما

لا يشتركان في التبعة السياسة التي تقع بكليتها على كاهل رئيس الوزراء والحكومة. أما رئيس الجمهورية فقد أحله الدستور منها صراحة. والمحاسبة التي يتعرض لها رئيس الوزراء دون رئيس الجمهورية في تحمله التبعة، مع ما يرافق أو يستتبع هذه المحاسبة في حالات كثيرة من انتقادات جارحة وحملات قاسية، من شأنها الابقاء على رئيس الوزراء في موقع المداراة للقوى السياسية وفي موقع الدفاع عن النفس وبالتالي في الموقع الأضعف.

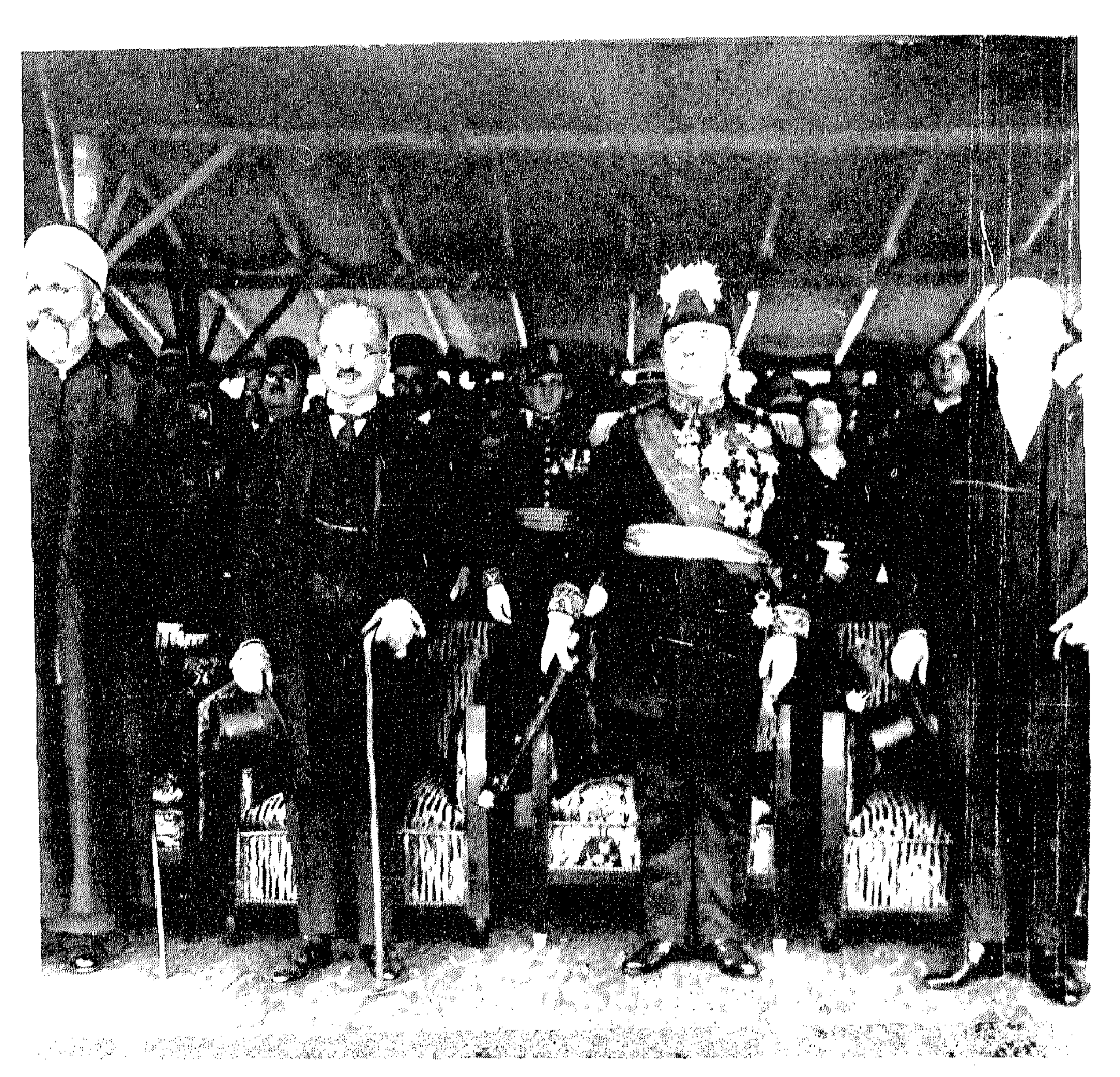
أما في النطاق الاداري ولنفس السبب الى حد بعيد، أي بسبب عدم ثبات وعدم استقرار المركز، فيواجه رئيس الوزراء وضعا لا يساعد على تقوية موقعه في المشاركة في صنع القرار. ففي حال نشوء تعارض بين موقف رئيس الجمهورية وموقف رئيس الوزراء في مجال معين فان المسؤولين في الادارة يجنحون الى جانب الباقي لا الى جانب الراحل، وهذا من من طبيعة البشر في ولاءاتهم الشخصية. وتشغل بعض الأجهزة حيّزاً مؤثراً بشكل خاص على صعيد هذا الواقع ومنها تلك الأجهزة التي تعنى بالاستعلام والاعلام وتتصرف من أجل ذلك بامكانات بشرية ومادية كبيرة وصلاحيات واسعة. وأهم تلك الأجهزة شعبة المخابرات في الجيش ومديرية الأمن العام ومرافق الاعلام الرسمي. ولا يخفى ما قد يكون للمعلومات التي تضخها تلك الأجهزة باتجاه الحكم من أثر على صنع القرار كثيرا ما يكون حاسما، وما قد يكون للمعلومات التي تبثها باتجاه الجمهور للنشاطات التي تقوم بها على هامش المهام التي تتولاها أو حتى خارج اطارها من تأثير بالغ على علاقات أهل الحكم فيما بينهم وكذلك بين كل منهم وبين الجمهور. من الطبيعي أن تخص هذه الأجهزة رئيس البلاد بولائها من حيث أنه رمز للدولة. ولكن المشكلة في منطق المشاركة أن رئيس البلاد ليس فقط رمزا للدولة، وانما هو كذلك فريق في الحكم. وانحياز هذه الأجهزة وغيرها الى فريق في الحكم من شأنه بطبيعة الحال الاخلال بميزان المشاركة بين أهل الحكم.

ما كان كل هذا ليصح لو كانت الحياة السياسية في لبنان مرتكزة على النشاط الحزبي المنظم. فالحديث عن قوة مركز رئاسة الوزراء أو ضعفه يصبح في تلك الحال غير ذي موضوع. فمن الطبيعي، في ظل نظام تسوده الأحزاب، أن تكون مكانة رئيس الوزراء في الحكم مستمدة من مكانة حزبه في النسيج السياسي الذي يقوم عليه الحكم.

بتعبير آخر، لو كانت الممارسة السياسية في لبنان مبنية على العمل الحزبي المنظم لما كان رئيس الوزراء مجرد شخص يختاره رئيس الجمهورية بعد استشارات نيابية (كثيرا ما تكون شكلية) من بين نفر لا هوية مميزة لهم كمجموعة سوى الهوية الطائفية، وانما لكان اسما يعبر عن أهداف وقيم ومثل ومبادىء وأفكار وأساليب محددة، يتميز بها الحزب الحاكم ويعرف بها ويدعو لها. بذلك لا يكون رئيس الوزراء مدينا بمقدمه أو ببقائه إلا لحزبه ومن ثم لقاعدة حزبه الشعبية. وبذلك تكون قوة رئيس الوزراء بطبيعة الحال مستمدة من قوة حزبه، واستقرار مركزه مستمدا من متانة موقع حزبه في الساحة السياسية.

حينما نعطف المشكلة على غياب دور الأحزاب في الحياة السياسية العامة، أو على ضعف ذلك الدور على الأقل، فانما نقصد الأحزاب الوطنية اللاطائفية. أما الأحزاب الطائفية، سواء في منطلقاتها أو توجهاتها أو دوافعها أو تكوينها، فانها بدلا من أن تساعد على حل المشكلة تعمل على تعميقها. فبينما الحزب الوطني اللاطائفي يساعد بوجوده ونشاطه على تذويب الأحاسيس الطائفية وتغليب الأحاسيس الوطنية، فالحزب الطائفي الطابع من شأنه، اذ يترجم المنطلقات الطائفية الضيقة الى عمل حزبي منظم، اذكاء الخواطر الطائفية. فاذا ما جاء أحد الرئيسين، رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء من حزب طائفي معين، فمن الطبيعي أن يثير مجيئه مشكلة المشاركة الطائفية بين الرأسين بكل أبعادها، بدلا من اخمادها.

ثم اننا لو سلمنا بأن تنمية الحياة الحزبية المنظمة قد تكون هي المخرج الأصلح من مشكلة المشاركة، فان هذه الدعوة لا تستقيم أساسا مع الاحتفاظ بنظام الطائفية السياسية.



شارل دباس مع رئيس المجلس النيابي الشيخ محمد الجسر والمفوض السامي هنري بونسو في احد الاحتفالات الرسمية ببيروت عام ١٩٣١.

إذ كيف ندعو لقيام أحزاب وطنية لا طائفية ونتمسك باقطاع الرئاسات لطوائف معينة. فهذا يعني أننا ندعو الى تولية أشخاص لا طائفيي النزعة في مناصب مخصصة للطوائف. لذلك يبدو أن لا مفر من الاستنتاج أن تنمية الحياة الحزبية لا يمكن أن تغني عن الغاء الطائفية السياسية ان عاجلا أو آجلا. هذا مع الاقرار بأن تنمية الحياة الحزبية (وكذلك الحركات العمالية والنقابية) تساعد مع الزمن على خلق الأجواء المؤدية الى الغاء الطائفية السياسية، كما تساعد على التخفيف من غلواء الأحاسيس الطائفية في التحكم بالأوضاع السياسية العامة في البلاد إلى أن يلغى نظام الطائفية السياسية نهائيا.

ومن البديهي ان تنمية الحياة الحزبية المنظمة لا يمكن أن تشكل حلا جاهزا لمشكلة قائمة، هي مشكلة المشاركة كما هي مطروحة اليوم. فتنمية الحياة الحزبية عملية طويلة ومتشعبة تتطلب الكثير من الجهد والعمل والاعداد والتشجيع، مما يتعذر تحقيقه في فترة قصيرة من الزمن. وعملية التطوير هذه لا يمكن أن تتم بقانون أو باتفاق لتكون موضوعا من مواضيع الوفاق الوطني أساسا.

المشاركة والطائفية السياسية:

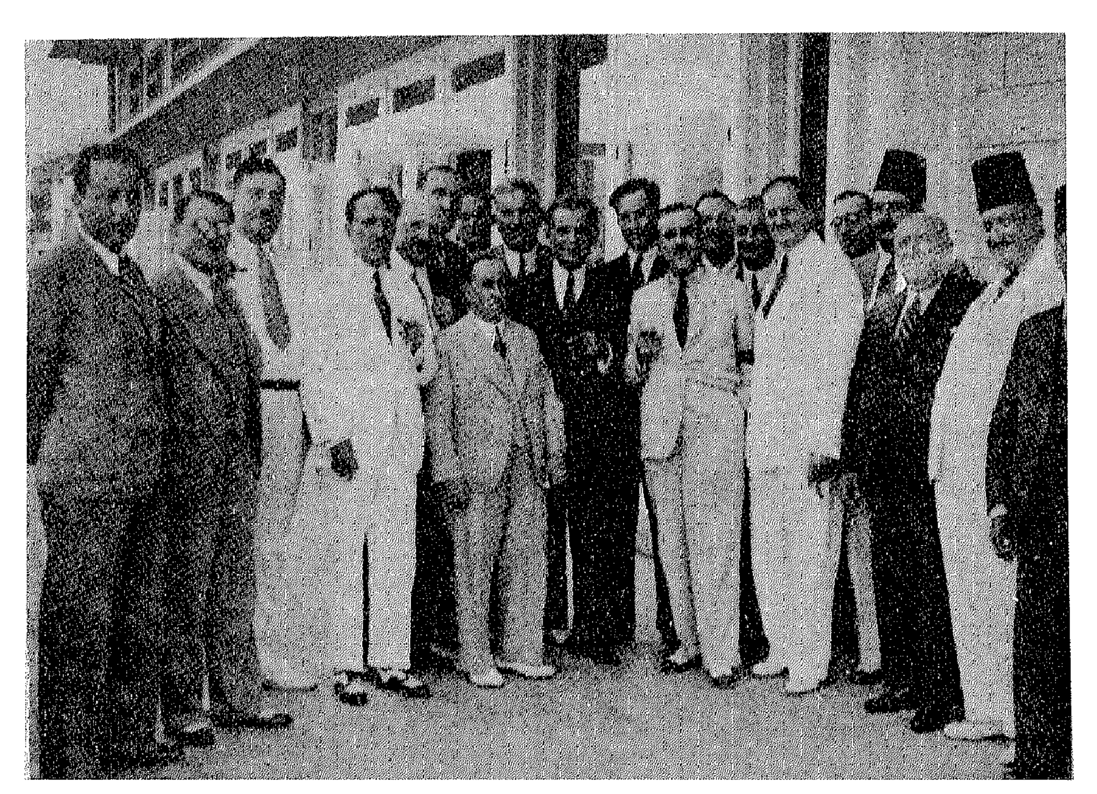
ما كانت المشاركة تشكل مطلباء وبالتحديد مطلبا طائفيا، لولا الطائفية السياسية التي تطبع النظام المطبق. ومواجهة هذا المطلب ما كانت لتأخذ هذا المنحى الحاد الذي أخذته لولا التمسك بنظام الطائفية السياسية ورفض أي تراجع عنه. قد يكون الحل الأبسط والأسلم هو في تجاوز مشكلة المشاركة واعتماد النظام الرئاسي، وبالتالي تعزيز صلاحيات رئيس الجمهورية بدلا من تجيير بعض منها لمصلحة رئيس الوزراء. إلا أن مثل هذا الحل لا يمكن أن يكون مقبولا إذا كان هناك اصرار على وقف منصب رئاسة الجمهورية على طائفة معينة. فالمنطلق الطائفي لابد أن يؤدي بالحل الى تشعبات طائفية. فاذا ما اقتطع لأي طائفة نصيبها في الحكم، فمن البديهي ان ترتفع اصوات من سائر الطوائف تطالب بضمان أنصبتها في الحكم، وان تسعى الطوائف التي لا نصيب لها في الرئاسات الى المشاركة في الحكم من خارجه، ان صح التعبير، من خلال حركات كثيرا ما تكون متطرفة الاتجاهات. فلا عجب أن تكون زعامة أكثر الأحزاب والتيارات والحركات المتطرفة معقودة في الواقع لابناء الطوائف التي لا وصول لها الى الرئاسات الثلاث. لذلك لا حل أجدى من الطائفية السياسية.

أما إذا كان الغاء الطائفية السياسية مستبعدا، ولو الى حين، فلا مندوحة عن مواجهة مشكلة المشاركة على مستوى التسوية الطائفية. ومثل هذه التسوية لا تشكل حلا بالمعنى الصحيح. وهي أن أوجدت مخرجا آنيا للمشكلة ينزع عنها طابع الحدة الذي اكتسته، فانها لا تتضمن اقصاء المسألة عن ميدان التجاذب السياسي بشكل نهائي. فأي تسوية طائفية من شأنها تحويل الخطر الداهم الى خطر دفين. أما المعالجة الجذرية فلا تتحقق إلا بزوال الطائفية السياسية كأساس للنظام المطبق.

ان منطق المشاركة، مجردا من الاعتبارات الطائفية التي حدت الى المطالبة به، هو بلا ريب منطق عقيم. فهو يقضي باقامة نظام برأسين فاعلين: شراكة في الصلاحيات بين الرئيسين، رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء. فلا تقطع شعرة على مستوى الحكم إلا برضى الرئيسين وتوافقهما. ومثل هذا النظام يكتنفه من المحاذير ما قد يجر الى نتائج لا تحمد عقباها. من ذلك خطر تعطيل عجلة الحكم، أي خطر تطور أي خلاف بين الرأسين أو أي تباين في وجهات النظر حول أمر مهم من الأمور على نحو يمنع مولد القرار في شأنه. وطالما أن الرئاستين مبنيتان على الانتماء الطائفي، فان أي قرار قد يكون له أي مدلول أو أي مفعول أو أي انعكاس طائفي من قريب أو بعيد، مرشح لأن يدفع الى تباين في المواقف بين الرئيسين ومن ثم تعطيل القرار. وهكذا، في الحالات التي تواجه فيها البلاد ظروفا تتسم بشيء من الحدة الطائفية، ولطالما نشأت مثل هذه الحالات في تاريخ لبنان الحديث، وكذلك في الحالات التي تواجه فيها البلاد مواقف حساسة وأساسية، فالحكم معرض للوقوع في حالة من الشلل لا يستطيع معها التحرك بسبب التعارض في المواقف بين الرئيسين. بذلك تعجز البلاد عن تخطي المشاكل التي قد تواجهها وتتفاقم المشاكل في كثير من الحالات الى حد تفجير أزمات حادة. وبذلك أيضا تعجز الدولة عن بناء مقوماتها وفعالياتها ومؤسساتها على أسس سليمة. وهكذا تفقد القيادة السياسية قبضتها على مجرى الأمور وتصبح مجرد أسيرة للاعتبارات الطائفية أو مرآة لها.

والأدهى من تعطيل عجلة الحكم هو أن يؤدي نظام الرأسين الى انقسامات طائفية عامة في البلاد بنتيجة أي تضارب في الرأي أو الموقف بين الرئيسين حول أمور ذات حساسية طائفية.

لذلك فان أي تسوية طائفية يمكن أن ينشأ عنها نظام برأسين لا تشكل في ذاتها حلا سليما. ولا حل أجدى من الغاء الطائفية السياسية. مع ذلك، والى أن يصبح الغاء الطائفية السياسية ممكنا، فالتسوية قد تكون المخرج الآني من المشكلة الى أن يحين أوان الغاء الطائفية السياسية نظاما وممارسة.



صورة تذكارية من عام ١٩٣٦. من اليمين: روكز ابو ناضر، خليل ابي اللمع، الأمير مجيد ارسلان، غبريال خباز، خالد شهاب، إميل اده، ايوب ثابت، كميل شمعون، هرام ليكيان، بشارة الخوري، بترو طراد، محمد العبود، حكمت جنبلاط، وحميد فرنجية.

خاتمة:

نوجز ما أردنا قوله بالنقاط التالية:

أولا: لن تكون في لبنان ممارسة ديمقراطية صحيحة ما دامت الطائفية تسيطر على الحياة السياسية نظاما وتطبيقا. والاصلاح السياسي لن يكون تاما وناجزا إلا بالغاء الطائفية في الحياة العامة، في السياسة كما في الادارة والقضاء والجيش. والغاء الطائفية لا يمكن أن يتم إلا مع اضمحلال العصبيات الطائفية. وهذا لا يتحقق إلا في السياق الطويل من خلال عمل منظم دائب يستهدف تنشئة المواطن تنشئة وطنية خالصة عن طريق نظام تربوي صالح وعن طريق خدمة العلم وسياسة اعلامية واعية هادفة، وكذلك عن طريق تنمية الحياة الحزبية والحركات النقابية والعمالية اللاطائفية.

ثانيا: لن تكون ديمقراطية صحيحة على المستوى السياسي ما لم تقترن بتوجه انمائي شامل يرسي أسسا راسخة لاصلاحات اجتماعية واقتصادية تتجلى فيها مبادىء العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص والسلام الاجتماعي. فالحرية لا تتجزأ. والحرية السياسية لا تكتمل إلا مع الحرية الاجتماعية والاقتصادية.

ثالثا: ان تنمية النشاط الحزبي اللاطائفي وسائر الحركات النقابية اللاطائفية من عمالية وغيرها ليست فقط طريقا مجديا من طرق التغلب على الاحاسيس الطائفية ومن ثم تحطيم الحواجز الطائفية التي تحول دون الممارسة الديمقراطية الصحيحة، وانما هي كذلك سبيل من سبل تعطيل سلبيات النظام الطائفي، أو التخفيف من فعل سلبياته إلى أن يحين اوان الغائه. وهذا ما لا بد من تحقيقه في يوم من الأيام عندما تصبح الظروف مؤاتية لذلك. فلو سيطرت الحياة الحزبية اللاطائفية بحيث يؤول الحكم الى حزب الأكثرية أو تآلف أحزاب الأكثرية، فان المشاركة في الحكم تغدو أمرا راهنا. وهذا بمثابة الالغاء العملي للطائفية بانتظار اعلانه وتكريسه في أحكام الدستور والقوانين.

رابعا: ان ميثاق ١٩٤٣ بما هو تسوية طائفية أوجد صيغة للتعايش بين الطوائف،

وكأن ينبغي تطوير النظام مع الزمن وصولا الى صيغة للعيش المشترك عن طريق الغاء الطائفية. وشتان بين التعايش والعيش المشترك. فالنظام المستمد من ميثاق ١٩٤٣ رسم خطوط التمايز بين الطوائف فخلق وضعا هو أشبه بالاتحاد بين الطوائف، وكان المفروض لو أخذ بروح ميثاق ١٩٤٣ كما تبدت في البيان الوزاري لأول حكومة في عهد الاستقلال، أن تلغى الطائفية ويتحوّل النظام السياسي الى بوتقة وطنية تتغلب فيها روح المواطنية على روح الطائفية، والولاء للوطن على الولاء للطائفة، والتحسس الوطني على التحسس الطائفي. لقد ظل لبنان هذه السنوات الطوال منذ الاستقلال أسير نظام برز عقمه مع الزمن ولم يتطور كما يجب، كأنما تحول النظام مع الأيام الى شرنقة نسيجها مصالح مجذرة للطوائف والفئات المختلفة عطلت سير الديمقراطية الصحيحة.

خامسا: كثيرا ما نسمع آراءا تدعو الى ضرورة التوصل الى صيغة نهائية تدرأ عنا مغبة العودة الى حالات من التأزم كل بضع سنوات. وهذا طرح بعيد عن الواقعية. ومن اعتبر أن صيغة ١٩٤٣ كانت تلك الصيغة النهائية التي لا تقبل التغيير أو التطوير سرعان ما اكتشف عقم ما ذهب اليه. فليس من صيغة نهائية يمكن أن تبقى صالحة مع تبدل المعطيات والحاجات والتطلعات، فسنة التطور التي تحكم مصير الشعوب والأمم لا يستقيم معها تيبس في النظام وجمود في الصيغة وتحجّر في الرؤى. فأي صيغة يمكن التوصل اليها لابد أن تكون صيغة متغيّرة مرنة تطوي في ثناياها وسائل تطويرها وسبل تحديثها ومسالك تجاوبها مع مقتضيات الوضع المتجدد في المجتمع. وما أحرانا بذلك في لبنان خصوصا واننا ندعو الى صيغة تسوية انتقالية نعبر من خلالها الى صيغة حضارية أسمى تتجاوز الطائفية وأوزارها.

سادسا: لا حل بالمعنى الصحيح الا بالغاء الطائفية في السياسة والوظيفة، ولكن ريثما يتم ذلك لابد، صونا لاستقرار البلد سياسيا وبالتالي أمنيا واجتماعيا، من تسوية ترتكز على ادخال اصلاحات على النظام المعتمد بحيث يتأمن اكبر قدر ممكن من العدالة في ممارسة مختلف الطوائف حقها في المشاركة الفعلية في الحكم، وذلك على أسس واضحة لا تترك مجالا لأشكال أو للبس يمكن أن يكون سببا لتكرار الأزمات والانتكاسات. أما ماهية التعديلات المطلوبة والممكنة فلا مجال للخوض في بحثها بالتفصيل هنا. حسبنا التأكيد على عدم وجود صيغة فريدة لمثل هذه التسوية. هناك بدائل لابد من اختيار الأنسب من بينها بعد حوار موضوعي عقلاني هادىء. أما الوثيقة الدستورية التي اتفق عليها الرئيسان فرنجية وكرامي في شباط عام ١٩٧٦ فكانت صيغة من الصيغ المطروحة للتسوية الانتقالية ريثما يصبح من الممكن الغاء الطائفية. ولا مجال لمناقشتها بالتفصيل هنا.

وأضيف أخيرا أن الديمقراطية لاشك ستتعزّز فيما لو اعتمد نظام اللامركزية الادارية الموسعة في الدولة، على أن يراعى في تصميم مثل هذا النظام عدم تخطي النطاق السياسي.

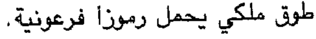
يبقى السؤال الكبير: من هم أطراف الحوار الذي يجب أن يتم من أجل التوصل الى صيغة التسوية المنشودة، ومن هم ممثلوهم. ما كان السؤال ليطرح، وما كنا بحاجة الى الجواب أساسا، لو كان النظام الديمقراطي في لبنان اليوم صحيحا معافى. ولم يكن في مستطاع الحكم عندما كان في أوج مكانته أن يفرض نفسه بديلا عن الأطراف أو معبرا عنهم في طرح رؤية جديدة. فاذا بالبلد اليوم أمام خيارين ميسورهما أعسر: أما التسليم بزعامات فرضت وجودها بقوة السلاح لتتحدث باسم جماهير المسالمين في الحوار المطلوب، وما أدرانا بمدى تمثيلها لتلك الجماهير، أو تعليق الحوار الى أن تعود عجلة الديمقراطية الى الدوران ولو في حد أدنى لتتمكن الجماهير من اختيار ممثليها للحوار بحرية، وفي هذه الحال يبقى التعليق ساريا ما دامت الزعامات المسلحة قابضة على زمام الأمور وقادرة على الاحتفاظ بمواقعها. فهل تعود الكلمة في كلتا الحالتين لحملة السلاح.

◻

الصور من كتاب وليد عوض: أصحاب الفخامة رؤساء لبنان، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ٧٧.

المدنية الفينيقية

د. نقولا زيادة

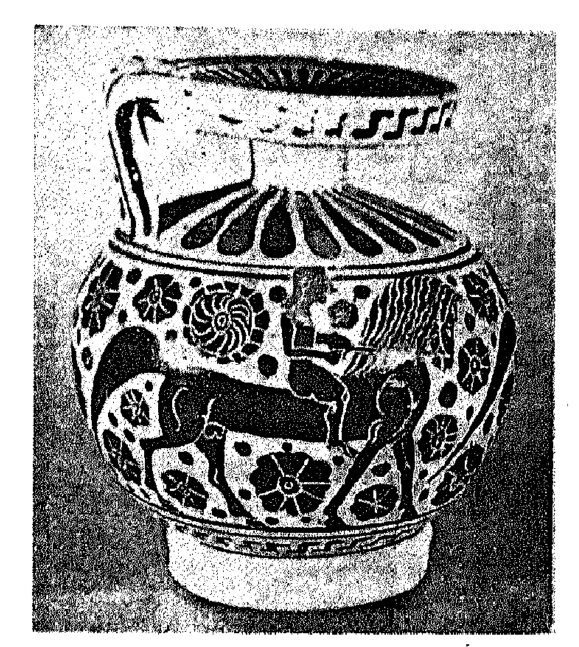


طوق ملكي يحمل رموزاً فرعونية.



الأخبار التي وصلتنا عن الفينيقيين عن طريق المدونات السياسية والتجارية كانت كثيرة، ولكن أكثرها لم يكن يتجاوز القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وظل الأمر على ذلك إلى أن دخل الرفش والمعول، أي التنقيب الأثري، الميدان، وعندها عرفنا أن الشعب الفينيقي كان يقطن الشواطىء اللبنانية السورية الفلسطينية من رأس الشمرا إلى غزة منذ الألف الرابع قبل الميلاد، وان أهم مراكزه كانت صور وصيدا وجبيل وبيروت وعكا ورأس الشمرا.

وقد بدأت الدراسات الأثرية سنة ١٨٦٠ إذ قام رينان بمسح أثري للمنطقة الفينيقية في لبنان، ولكن هذا لم يزد عن أنه كان مسّاً رفيقاً للسطح في واقع الأمر. مع أن نواويس كثيرة عثر عليها في منطقة صيدا حتى قبل الحرب العالمية الأولى. فان التنقيب الأثري المنظم في العمق جاء أولاً في الفترة التي تلت تلك الحرب. ولست أنسى يوم زرنا مدينة جبيل لأول مرة سنة ١٩٢٥ حيث تفضل الأستاذ مونته، وكان يقوم بالحفر هناك منذ ١٩٢٠، فرافقنا في زيارة لأعماله. ومنذ سنة ١٩٢٦ تقوم إدارة



آنية إغريقية سوداء كورنثية الطراز عثر عليها في قرطاجة

الآثار اللبنانية بأعمال الحفر هناك. وفي سنة ١٩٢٩ بدأ الحفر في أوغاريت (رأس الشمرا) على الساحل السوري، ولا يزال العمل مستمراً إلى الآن (باستثناء فترة الحرب العالمية الثانية). وفي السنوات الأخيرة قامت إدارة الآثار في لبنان بحفر أثري واسع النطاق في بيروت وصيدا وخربة سلم، وقد حصلت على نتائج ممتازة.

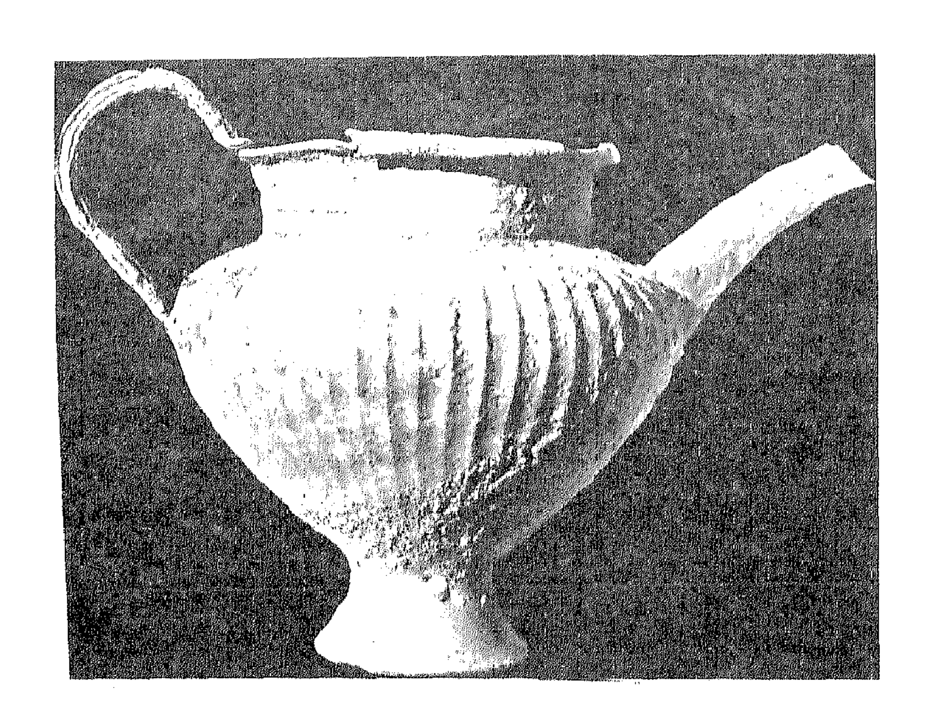
على أننا إذا تذكرنا أن الفينيقيين لم تقتصر سكناهم وآثار مدنيتهم على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، بل أنهم انتشروا في شمال أفريقية بدءاً من طرابلس في ليبيا وانتهاء بطنجة في المغرب، وكانت قرطاجة أكبر مؤسساتهم وأغناها وأقواها. كما أنه كان لهم انتشار في قبرص ومالطة وصقلية وسردينية وإسبانية، أدركنا أن التعرف على المدنية الفينيقية وتطورها تعرفاً صحيحاً لا يتم إلا إذا أحطنا علماً باعمال الحفر في تلك الأصقاع النائية، ومن ثم فنستميح القارىء العذر إن نحن أشرنا إلى ما تم هناك في هذه الناحية.

ولعل أوسع نطاق للتنقيب الأثري كان هذا الذي تم في قرطاجة خلال العقود الماضية. فقد اتضحت معالم أبنية قديمة وهياكل وعُثر على تماثيل للآلهة وآثار صناعية وفنية هامة لا يتسع المقام حتى للاشارة إليها، بل تفصيلها. وفي صقلية تم الحفر في أماكن كثيرة لعل أهمها حفريات موتيه، فضلاً عن حفريات بلرمو وسولنتي. ويبدو أن المدنية الفينيقية كانت أوضح معالماً وأرسخ أبعاداً في سردينية منها في أي من الجزر تلك، على ما اتضح من حفريات سلسيس ومونته سراي ونورا. وقد دلت أعمال التنقيب الأثري في إسبانية، وخاصة في قادس وأبيزا، على أن حضارة الفينيقيين هناك كانت أوسع خطى وأبعد شوطاً في التقدم عما كانت عليه في صقلية وسردينية مثلاً. ومع أن التنقيب الأثري في الأماكن الفينيقية في مالطة لم يبدأ إلا في سنة ١٩٦٣، فما ظهر إلى الآن يدل على احتمال العثور على الكثير مما له قيمة.

أما وقد أشرنا إلى الأعمال الهامة فلنقدم نماذج مما عثر عليه من آثار توضح لنا معالم المدنية الفينيقية.

فقد عرفنا من الاكتشافات الأولى في جبيل أن أول استيطان للمكان بدأ في الألف الرابع قبل الميلاد...... ثم تُظْهرُ الآثار أن سكان جبيل بعد ذلك بفترة قصيرة عرفوا البرونز ودولاب الخزاف وبناء الأسوار ذات الجدارين الحجريين. كما أن الهياكل أخرجت كنوزها وبينها هدايا من فراعنة مصر الذين عاشوا بين ٣٢٠٠ و ٢٢٠٠ق.م. أما الكنوز الأصلية التي وجدت فمنها فؤوس من الذهب الخالص وآنية من الفضة وتمثال للاله رشف مغطى بالذهب وجواهر ثمينة. وهذه من النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد.

وأعمال الحفر التي تمت في أوغاريت أظهرت لنا شيئاً كثيراً غنياً. فقد كان القصر الملكي في أوغاريت يتكون من ٦٧ غرفة تحيط بخمسة صحون، وكان يشغل من الأرض مساحة تقدر بثمانية آلاف متر مربع. ولا شك أنه كان أكثر من مجرد مكان للاقامة الخاصة. إذ أن أربعة أقسام منه كانت مخصصة للأعمال والمحفوظات الرسمية، التي أمدتنا بالآف الوثائق الادارية والقانونية مدونة بالكتابة الأوغاريتية المحلية وبالكتابة الأسفينية الأكدية.



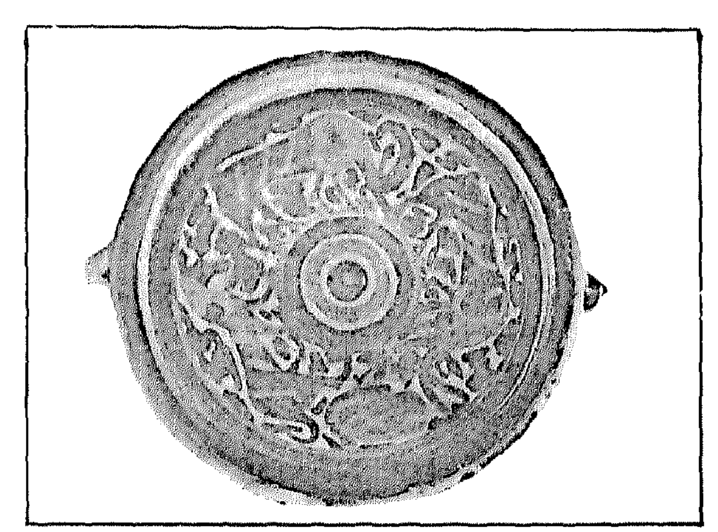
آنية.. من مقابر جبيل

وقد كشفت أعمال التنقيب عن صحون ثلاثة أخرى وثلاثة أجنحة كانت مخصصة للأعمال الادارية في القصر. وهناك جناح، كان يقع قرب المدخل الشمالي الشرقي للقصر، خصص على ما اتضح من المتون المكتشفة، للأعمال القانونية والمالية الخاصة بالمدينة وأرباضها، بالمقارنة بالمكاتب قرب المدخل الغربي التي كانت تهتم بالأعمال المتعلقة بالريف. وكانت أعمال الخاصة الملكية ينظر فيها في مكان ثالث، على مقربة من الصحن. والمتون هنا هي في غالبيتها قانونية متعلقة بالهدايا وانتقال الأملاك والتبني وما إلى ذلك. وكثير من هذه الوثائق كان ممهوراً بختم الملك. أما الأعمال الخارجية فكانت تتم في صحن داخلي، على ما يستنتج من الوثائق الأكدية التي عثر عليها هناك، وبعضها عليها أختام البيت المالك الحثي.

إن قصر أوغاريت، مع أن الباقي منه لا يتجاوز الهيكل الأساسي، يؤثر في الزائر. فإذا تصورنا، وقد ارتفع فوقه طابق ثان أو أكثر، على ما يتضح من الأحد عشر درجة الموجودة، وإذا أضفنا إلى ذلك أثاثه الرائع المصنوع من الخشب والمعادن، والزخرف الجداري من العاج المحفور، والحرس الملكي يحيط به والموظفين يقومون بأعمالهم ومبعوثي الملوك وأصحاب الأعمال يتخطون عتباته آتين وعائدين، والملك وأعوانه يخرجون ويدخلون في المركبة الملكية - إذا تذكرنا هذا استطعنا أن نتصور قصر أوغاريت في أيام عزها.

لم يعثر المنقبون على مثيل للقصر الملكي في أوغاريت في أي من المدن التي تم فيها الحفر والتنقيب في فلسطين أو سورية، ومن المرجح انه ليس له مثيل قط وحتى جبيل لم يكن لها مثل ذلك. ذلك بأن أوغاريت كانت لها منزلة خاصة وثراء خاص. فقد كانت تقع على ملتقى الطرق التجارية من بلاد ما بين النهرين وآسية الصغرى وكنعان وقبرص وكريت والعالم الأيجي ومصر. وكانت للمدينة قيمة خاصة في النزاع بين مصر وبلاد الحثيين. فهي سهلة المنال من مصر بحراً، ومن الامبراطورية الحثية براً، ولذلك حاول ملوك الفريقين التقرب منها لأنهم حسبوا أن الافادة منها تطوعاً أفضل لأي منهما من احتلالها. وكانت أوغاريت تستفيد من ذلك وتستغل الفريقين. وقد وفد إليها لاجئون فارون من العالم الايجي حول سنة ١٤٠٠ق.م. فزاد ذلك في ثرائها إذ حمل هؤلاء معهم الكثير من ثروتهم. وتدل الوثائق المكتشفة في المدينة على أن ملك أوغاريت كان من أمراء التجار.

والآن فلنلق نظرة سريعة على نواح أخرى



صحن أثيني وجد في مقابر قرطاجة.

من نـواحي المدنيـة الفينيقية. وأول مـا يلفت النظـر اتسـاع المـدى الـذي بلغتـه التجـارة الفينيقية. فتجارة الأخشـاب كانت تصـل إلى مصر ومـا بين النهـرين. والصناعـة الفينيقية الرئيسة كانت صناعة الأقمشة. فما أكثر ما ورد ذكرها في شعر هوميروس، وخاصة المصبوغـة منهـا بالأرجـوان. كمـا أن الفينيقيـين اتقنـوا صناعة الـزجاج، واتقنـوا النقش على العـاج والمعدن.

وهـذه الناحيـة الفنيـة المتصلـة بحيـاة الفينيقيـين يجب، كي نفـهمهـا، أن نـذكـر أن المنطقة التي استقر فيها هؤلاء القوم كانت تتصـل بـالحضـارات المختلفـة. والمـهـم أن «الفينيقيـين استطاعـوا أن يحافظـوا عـلى التقليد الفني في الوقت الـذي كان جيـرانهم يدمرون الحضارة».

ولا بد من الاشارة إلى أمـر على غـاية الأهمية وهو تأثير الديانة الفينيقية على مصر وآلهتها. ويلخص الدكتور وليام ورد ذلك بما يلي: أولًا أن عنـاة وعشتار أصبحتـا إبنتين لـلاله المصري رع. ثانيا أن رعمسيس الثاني كـان يسمى نفسـه رضيع عنـاة الالهـة الفينيقيـة الكنعانية، جرياً على أنها كانت ترضـع ملوك أوغـاريت. ثالثـاً أن الأساطـير الدينيـة، مثـل أسطورة عشتار، شاعت بين المصريين.

وبهـذه المناسبـة فان المكتبة الأوغـاريتية الفينيقية الأسطورية هي مكتبة أدبية رائعة.

وأخيراً هل ثمة من ينسى أن الفينيقيين هم الذين زودوا العالم بالألفباء؟



● إنك لا تستطيع أن تصيد السمك، وتفكر في شيء آخر في نفس الوقت.

سير اليك دوجلاس هيوم

● لم يكن «انطونيو» ذلك القائد الحاذق، ولكن خلد اسمه التاريخ لأن «كليوبترا» أحبته!

أنيبال

● الديموقراطية تعني أن يشبع الانسان.

خروشوف



الموقف اللبناني والدولي من المؤتمر السوري العام ١٩٢٠

حسان حلاق

أثار مؤتمر فرساي الذي عقد في باريس في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ العديد من من المشكلات عوضاً من ان ينهي مشكلات الحرب العالمية الأولى، لا سيما فيما يختص بالوضع اللبناني، ذلك ان ارسال وفود من جبل لبنان مدنية ودينية لعبت دوراً سلبياً في موضوع الوحدة اللبنانية خاصة وان تلك الوفود طلبت الحماية والوصاية الفرنسية الأمر الذي كان يرفضه العديد من اللبنانيين[1].

وبعد وضوح الاتجاهات السياسية المارونية الموالية لفرنسا اعتبر الوحدويون من سكان سوريا ولبنان (الداخل والساحل) ان الخطر الفرنسي والطائفي بدأ يتكرس في المنطقة السورية، ولذا فقد بدأ سكان الساحل اللبناني بعقد اجتماعات عديدة لبحث الأوضاع الجديدة الناجمة عن مؤتمر الصلح في فرساي ١٩١٩، فعقدوا في منتصف شهر حزيران (يونيه) ١٩١٩ اجتماعاً في منزل عارف النعماني ببيروت

حسان حلاق: محاضر في قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بيروت العربية، له مؤلفات عدة في التاريخ المعاصر

لانتخاب مندوبين رسميين للمؤتمر السوري العام، وعقد اجتماع آخر في ٢تموز (يوليه) من العام نفسه في منزل سليم الطيارة - مستشار المعتمد العربي في بيروت جميل الألشي - وقد انتهى الاقتراع السري بانتخاب اربعة عشر مندوباً عن بيروت كأعضاء للمؤتمر السوري العام المزمع عقده في دمشق، وانتخاب اربعة عشر عضواً من مختلف الطوائف اللبنانية ومن مختلف المناطق اللبنانية[٢]. وكان عدد المندوبين المسيحيين المشتركين في المؤتمر يفوق في نسبة التمثيل عدد السكان المسيحيين في البلاد، وكان للمسيحيين الوحدويين القادمين من الجبل دور بارز، لا سيما وان خطبهم في المؤتمر طالبت بالوحدة العربية والاستقلال الوطني مما أعطى المؤتمر جواً وطنياً مليئاً بالأمل.

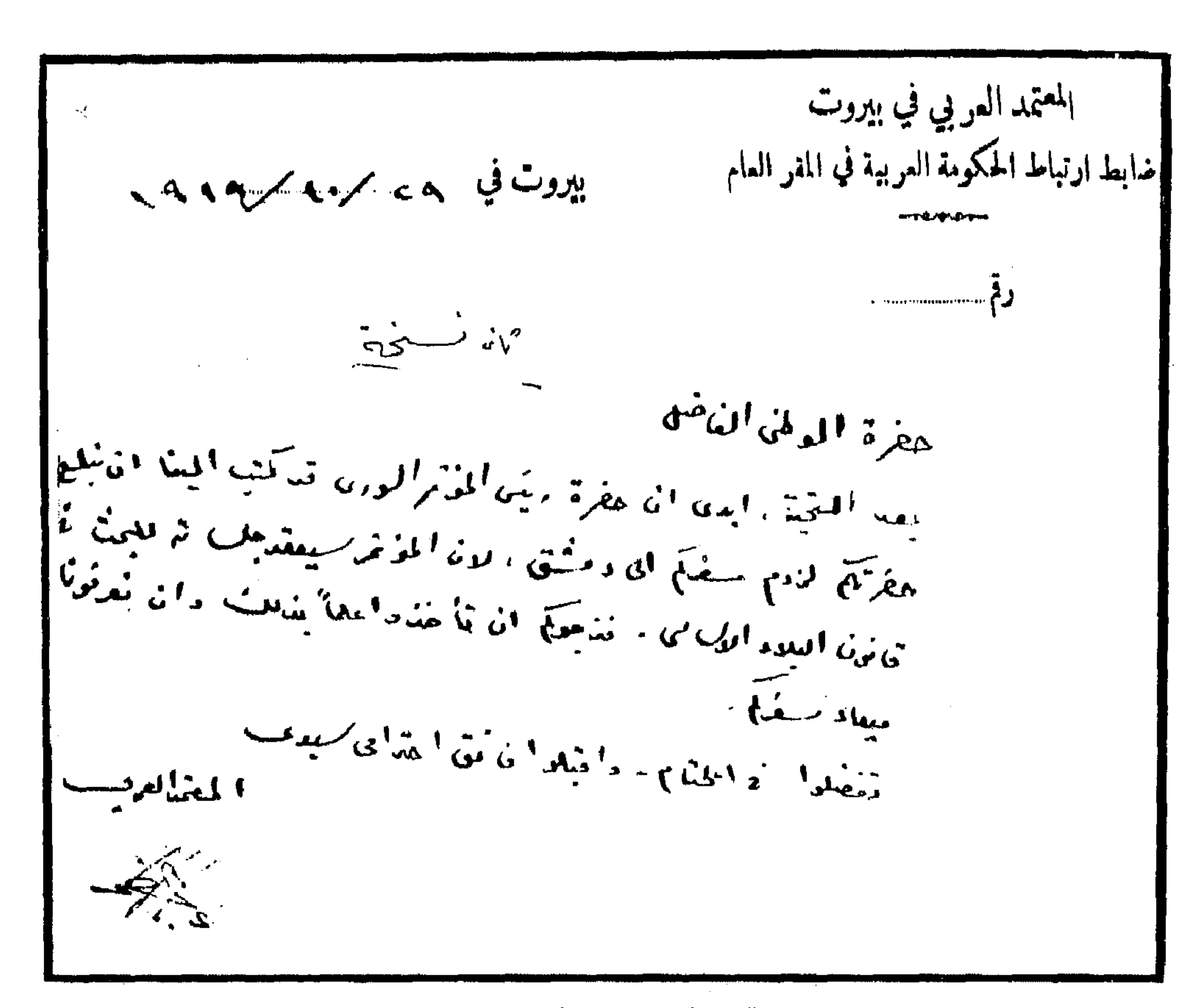
هذا وقد صدرت اول قرارات المؤتمر في دمشق في اوائل تموز (يوليو) ١٩١٩ اكد فيه على الاستقلال التام الناجز للبلاد السورية[٣]، كما اصدر المؤتمر في ٥آب (اغسطس) ١٩١٩ مذكرة احتجاج موجهة الى مؤتمر فرساي احتجاجاً على سفر البطريرك الماروني الياس حويك الى باريس وتحدثه باسم اللبنانيين ومطالبته «فصل لبنان فصلاً تاماً عن سورية». وقد جاء في مذكرة الاحتجاج «... ان الطائفة المارونية التي يزعم غبطة البطريرك انه يتكلم باسمها ليست الا الأقلية في لبنان الكبير المزعوم، وان قسماً كبيراً منها لا يوافق غبطته في رأيه، كما ان سائر الطوائف الممثلة في مؤتمرنا هذا ترفض بتاتاً فصل لبنان عن سورية». واضافت المذكرة بانه «لا حياة للبلاد السورية الا بوحدتها السياسية، فحياتها الاقتصادية تستلزم اتصال البلاد الداخلية بمرافىء الساحل، وتسهيل تجارة الساحل في الداخل...».

وفي ٧آذار (مارس) ١٩٢٠ عقد المؤتمر السوري العام اجتماعا هاماً في دمشق ضم (٨٥) مندوبا من كافة البلاد السورية (سوريا، لبنان، فلسطين) واتخذوا قرارات هامة رداً على مواقف دول الحلفاء من القضية العربية ورداً على المتعاونين مع الفرنسيين، ومما جاء في احد القرارات «... فاعلنا باجماع الرأي استقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين استقلالاً تاماً لا شائبة فيه على الأساس المدني النيابي وحفظ حقوق الأقلية ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود او محل هجرة لهم» كما اتخذ المؤتمر قراراً باختيار الأمير فيصل ملكاً دستورياً على البلاد السورية، واعلان انتهاء الحكم العسكري الأجنبي، اما لبنان فقد حرص المؤتمر على اتخاذ قرار خاص به مؤداه «ان تراعى اماني اللبنانيين الوطنية في كيفية ادارة مقاطعتهم لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب العامة بشرط ان يكون بمعزل عن كل تأثير اجنبي»[٤].

وفي ٩آذار (مارس) ١٩٢٠ تشكلت الحكومة العربية الأولى برئاسة رضا الركابي بتكليف من الملك فيصل، وقد حرص الملك على توزير رضا الصلح كوزير للداخلية في الحكومة الأولى، ذلك لأن اشتراك لبناني في الحكم في هذه المرحلة الدقيقة شأن له معناه الايجابي بالنسبة لأوضاع لبنان.

ومن الأهمية بمكان القول انه قبل صدور قرارات المؤتمر السوري العام كان وفد ماروني برئاسة المطران عبد الله خوري قد ابحر في اوائل آذار (مارس) ١٩٢٠ الى باريس للقيام بجهود حثيثة لتكريس فكرة انفصال لبنان عن سوريا. ويذكر بشارة الخوري نشاطه الدؤوب ضد الوحدة السورية، فقرر باعتباره الأمين العام لحكومة لبنان ارسال ذلك الوفد الى باريس ومما قاله: «فزرت البطريرك وطلبت اليه باسم الحاكم ان يجيز السفر للمطران عبد الله فقبل»[٥]. وقد تألف الوفد من المطران عبد الله خوري رئيساً ومن اميل اده والأمير توفيق ارسلان والشيخ يوسف الجميّل اعضاء. وكان الهدف من ترؤس رجل دين ماروني لهذا الوفد هو التصميم والتأكيد بان هذا الوفد بمطالبه واهدافه انما لا يزال يسير على خطى الوفدين السابقين لا سيما الوفد الثاني الذي ترأسه البطريرك الياس حويك.

وفي اثناء وجود الوفد في باريس تلقى نبأ قرارات المؤتمر السوري العام، فبدأ المطران خوري يسعى بكل جهوده مع رفاقه لدى وزارة الخارجية الفرنسية لابطال مفعول تلك القرارات. وفي ١٥آذار (مارس) ١٩٢٠ ارسل البطريرك



المعتمد العربي في بيروت
ضابط ارتباط الحكومة العربية في المقر العام

رقم ....

بيروت في ٢٩/١٠/١٩١٩

[illegible] نسخة

حضرة الوطني الفاضل

بعد التحية، ابدي ان حضرة رئيس المؤتمر السوري قد كتب الينا ان نبلغ حضرتكم لزوم حضوركم الى دمشق، لان المؤتمر سيعقد جلسة للبحث في قانون [illegible] الاساسي. فنرجوكم ان تأخذوا علماً بذلك وان تعرفونا ميعاد حضوركم.

تفضلوا [illegible] - واقبلوا فائق احتراماتي سيدي

المعتمد العربي

صورة دعوة لحضور المؤتمر السوري.

الماروني برقية الى «ميلران» رئيس الوزراء الفرنسي احتج فيها على اعلان فيصل ملكاً على لبنان[٦]. بينما ارسل المطران عبد الله خوري برقية الى البطريرك الماروني بواسطة الجنرال غورو اكد فيها «انه لم يطرأ اي تغيير في نوايا الحكومة الفرنسية بالنسبة الى لبنان منذ مغادرة غبطة البطريرك الحويك. ان التأكيدات التي اعطيت لغبطته لا تزال هي هي دون تغيير. ان الأحداث التي وقعت في دمشق ليس من شأنها ان تعدل شيئاً في السياسة التي تتبعها الحكومة الفرنسية حيال سوريا»[٧]. ولما وصلت البرقية الى الجنرال غورو، كتب بدوره رسالة ضمنها فحوى البرقية وارسلها الى البطريرك في ١٧آذار (مارس) ١٩٢٠، وذكر فيها سروره بعدم تغيير الموقف الفرنسي «وها اني ابعث بها شخصياً الى غبطتكم، وارغب في الوقت ذاته ان اعبر لكم عن عظيم سروري بان الحكومة الفرنسية جددت تصريحاتها القاطعة التي كان قد صرح بها السيد كليمنصو الى الشعب اللبناني».

اما فيما يختص بصدى قرارات المؤتمر السوري العام في لبنان فقد كانت صاعقة على القوى الرافضة للوحدة السورية، فجرت في مركز متصرفية جبل لبنان تظاهرة احتجاج كان على رأسها بعض المسؤولين وفي مقدمتهم بشارة الخوري الذي كانت مهمته ان يطمئن المتظاهرين بقوله: «ان هذا التغيير في سوريا لن يمس استقلال لبنان». كما وصلت عرائض الاحتجاج الى مقر البطريركية المارونية لا سيما من الطائفة المارونية، كما اتخذ مجلس ادارة جبل لبنان في ١٢آذار (مارس) ١٩٢٠ قراراً رفعه الى مؤتمر الصلح بواسطة الجنرال غورو احتج فيه على قرار المؤتمر السوري العام. ويبدو ان مجلس الادارة كان يتصرف وفق التطورات السياسية، ذلك انه بعد فترة سيتخذ قراراً بالتعاون مع



اعضاء المؤتمر السوري العام.

سوريا يعلن فيه استقلال لبنان احتجاجاً على مقررات مؤتمر سان ريمو.

وفي خضم هذه التطورات السياسية كانت المراسلات قائمة بين الحكومة الفيصلية والحكومة البريطانية وذلك منذ اليوم الأول لتولي رضا الركابي رئاسة الوزراء، ففي ١٨آذار (مارس) ١٩٢٠ ارسل الركابي رسالة الى رئيس الوزراء البريطاني الكولونيل «مينرتزغن» (Meinertzhagen) اوضح له فيها ثقة حكومته ببريطانيا واكد على الفائدة التي تحصل عليها من خلال توطيد العلاقات الموجودة بين الحكومتين والبلدين. ثم جدد الركابي برنامج حكومته السياسي «ونيتنا في المحافظة على مصالح كل اصدقائنا وخاصة مصالح شعبكم» واكد بانه تفادياً لأي سوء تفاهم في هذا الموضوع ومن اجل تسهيل مهمة مؤتمر السلام، فان الحكومة السورية مستعدة للدخول فوراً بالمحادثة مع حكومتكم على الأسس التالية:

١ – المحافظة على الاستقلال الداخلي والخارجي لسوريا والمحافظة على وحدة اراضيها.

٢ – المحافظة على مصالح انجلترا.

٣ – الافادة من مساعدة انجلترا ضمن

احدى رسائل رضا الركابي الى وزارة الخارجية البريطانية في ١٥ آذار (مارس) ١٩٢٠ (من ملفات وزارة الخارجية البريطانية F.O)

S.E.Mr le Premier Ministre
LONDON .

Damas, le 15/3/1920
No 27.E.

158

92

Excellence,

J'ai l'honneur de vous rappeler que dans la note envoyée à Votre Excellence le 10/3/20 je vous ai assuré de la confiance que nous avons toujours eue dans votre grande Nation et de l'intérêt que nous avons à resserrer les liens existant entre nous.

Je l'avais terminée en disant que les relations qui se nouent entre nous sous de si bons auguras ne pourraient que contribuer au développement et au progrès de nos deux Pays.

Dans une note précédente à celle-ci, j'ai eu l'avantage d'exposer à votre Excellence le programme politique de notre Gouvernement et de l'entretenir de notre désir de sauvegarder les intérêts de tous nos Alliés et particulièrement ceux de votre peuple.

En conséquence, je suis dès maintenant, assurer Votre Excellence que pour prévenir tout malentendu à ce sujet, ainsi que pour faciliter la tâche de la Conférence de la Paix, le Gouvernement syrien est prêt à entrer immédiatement en conversation avec votre Gouvernement sur les bases suivantes:

(I) Le maintien de l'indépendance intérieure et extérieure de la Syrie et de son unité territoriale.

(2) La sauvegarde des intérêts de l'Angleterre.

(3) Utilisation de l'aide de l'Angleterre dans les limites que permet notre indépendance.

Mon Gouvernement est assuré que, grâce aux principes humanitaires de votre grande Nation, et grâce à notre bonne volonté et notre désir de sauvegarder la Paix en Orient, il ne lui sera pas difficile de maintenir l'alliance, de conserver l'amitié existant entre nous, et d'arriver enfin à conclure une entente pouvant satisfaire les deux partis.

Veuillez agréer, Excellence, l'assurance de ma haute considération.

Le Président du Cabinet,

El-Rikaby

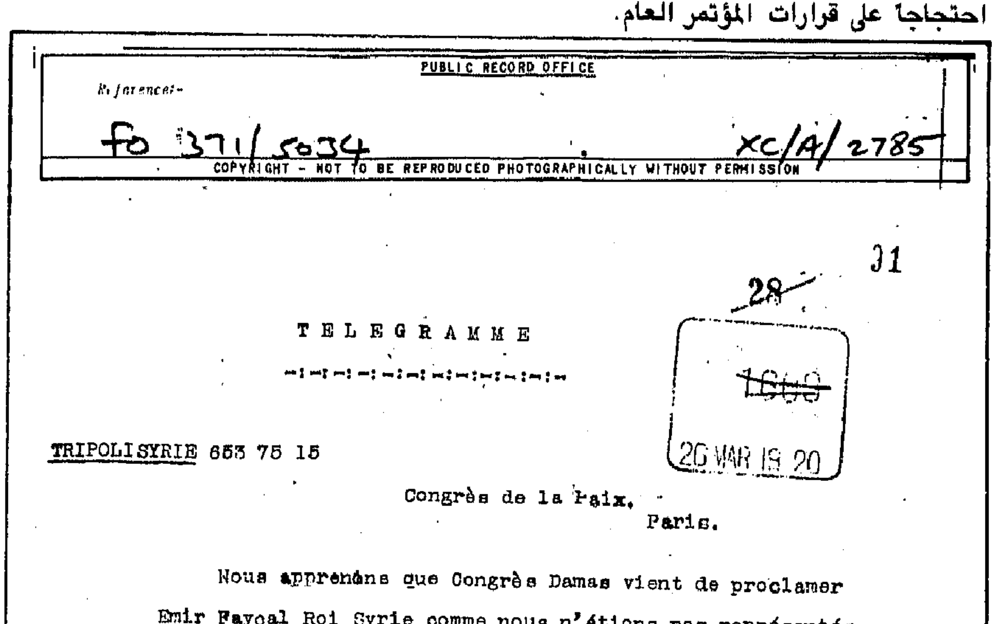
الحدود التي يسمح بها استقلالنا(٨).

هذا وقد ارسل الركابي في التاريخ نفسه رسالة اخرى الى وزير الخارجية البريطانية اوضح له فيها ان الملك فيصل اعطى في اجتماعه الأول بمجلس الوزراء انطباعاته التي تكونت لديه من خلال اتصالاته برجال الدولة في انجلترا وفرنسا، وانه نتيجة لهذه الانطباعات فان الملك مقتنع كليا بصداقة انجلترا لسوريا. وبان الانجليز هم في افضل موضع ليس فحسب من اجل الاعتراف ومساعدة حرية هذا البلد، بل ايضا لتقديم مساعداتهم ضمن الحدود التي يسمح لهم بها هذا الاستقلال. واضاف الركابي قوله: «اننا سعداء بسماع هذه الانطباعات من فم سعادته لأن ذلك يرسخ ثقتنا بامتكم العظيمة وبتصريحاتكم الجبارة التي تخص سوريا والتي صرح بها رجال دولتكم ولديّ كل القناعة بان العلاقات التي تربطنا هي جيدة الى درجة انها لا تستطيع الا المساهمة في تقدم وتطور بلدينا»(٩).

والحقيقة ان هذه المراسلات انما تؤكد على نية الحكومة الفيصلية بالابقاء على علاقة مميزة مع الحكومة البريطانية دون ان يؤدي ذلك الى الاخلال بالوضع الاستقلالي لسوريا. غير ان بريطانيا لم تكن قادرة على السير قدما لتحقيق اماني الملك فيصل لا سيما ان فرنسا كانت لها بالمرصاد في مؤتمر الصلح، بالاضافة الى اتفاقيات سابقة بينهما ومنها اتفاقية سايكس – بيكو، ومما كان يعزز الموقف الفرنسي بعض اللبنانيين الرافضين لقرارات المؤتمر السوري العام.

ومن الأهمية بمكان القول ان مؤتمر

برقية الطائفة الاسرائيلية في طرابلس الى مؤتمر السلام في فرساي في آذار (مارس) ١٩٢٠ احتجاجا على قرارات المؤتمر العام.



31

28

T E L E G R A M M E

1609

20 MAR 1920

TRIPOLISYRIE 653 75 15

Congrès de la Paix,
Paris.

Nous apprenons que Congrès Damas vient de proclamer Emir Fayçal Roi Syrie comme nous n'étions pas représentés dans ce Congrès et que proclamation ait lieu au nom de toute population Syrienne dont faisons partie nous venons protester contre cette proclamation que nous faisons Catégoriquement refusons aussi tout ce que ce Congrès décidera en notre nom et demandons pour Syrie un Gouvernement sous protection française

Communauté israëlite du Sandjak Tripoli.

الصلح في باريس تلقى العديد من البرقيات الاحتجاجية من بعض القوى المارونية والاسرائيلية على السواء، بل ومن بعض الشخصيات الاسلامية لا سيما من مدينة طرابلس وبينها برقيات ٢٤آذار (مارس) ١٩٢٠. وفي ٢٧آذار (مارس) سلّم مؤتمر الصلح في باريس بعض البرقيات الاحتجاجية الأخرى من بعض الهيئات اللبنانية والسورية الى المسؤولين البريطانيين، ومنها برقية مرسلة من «لجنة لبنان الكبير» في طرابلس التي اعتبرت ان حقوقها جرحت باعلان فيصل ملكاً على سوريا، ولذا فانها اعلنت احتجاجها على هذا القرار ورفضها كل السلطات الفيصلية الشريفية، مع التأكيد على ايجاد لبنان الكبير مع المساعدة الفرنسية. وقد وقع على هذه البرقية وبرقية مماثلة لها المطران الماروني انطوان عريضة - البطريرك فيما بعد - مطران طرابلس واللاذقية وحماه وحمص[١٠].

ولم تقتصر معارضة قرارات المؤتمر السوري العام على موارنة الداخل بل على بعض المغتربين منهم، فقد كتب يوسف السودا في ١٤آذار (مارس) ١٩٢٠ رسالة الى عبد الله صفير طلب منه ان يحتج - بوصفه رئيس جمعية الدفاع عن حقوق لبنان الكبير - على شائعة الرجوع الى فكرة الوحدة لافتا نظره الى انه سيكون لاحتجاجه الوقع المطلوب لا لشيء الا «لأن الانتداب لا يشك بمحبته واخلاصه». كما ارسل يوسف السودا رسالة اخرى الى داوود عمون في ١٦آذار (مارس) ١٩٢٠ عبر فيها عن خشيته عما نقلته الأخبار من مسألة الوحدة «وقلنا ان لم يكن الاستقلال خلواً من كل قيد وشرط فعلى الأقل هو استقلال تام عن الحكومات المجاورة يحفظ كياننا القومي وصيغتنا اللبنانية»[١١].

ويلاحظ بان يوسف السودا لم يمانع فرض القيود والشروط الفرنسية على استقلال لبنان، بينما اعتبر ان استقلال لبنان عن سوريا فيه حفظ للكيان القومي والصيغة اللبنانية. كما تخوف من ان تكون فرنسا هي صاحبة «نغمة الضم والوحدة» وعبر عن خشيته من ضياع (٤٠٠) الف مغترب في حال عدم الحاقهم بالاحصاء، فجاءه الرد من داوود عمون في ٢٤آذار (مارس) ١٩٢٠ طمأنه فيه على المسألتين: من ان الوحدة بين لبنان وسوريا لن تحدث، وبان المهاجرين سيدخلون في الاحصاء اذ عدل قانون الاحصاء باضافة مادة تقضي باحصائهم بواسطة قناصل فرنسا في الخارج. وفي الوقت نفسه وصلت الى مؤتمر الصلح برقيات احتجاج من «لجنة الاتحاد اللبناني» في بوينس أيرس في ٢٧آذار (مارس) ١٩٢٠ احتجاجاً على قرار المؤتمر السوري وقد وقعت باسم رئيس اللجنة «بو صادر» (Busader).

والجدير بالذكر ان الجنرال غورو (Gouraud) رأى صعوبة تحقيق قرارات المؤتمر السوري العام، فقد اوضح في برقية الى حكومته في ٢٥آذار (مارس) ١٩٢٠ «بأن قرارات مؤتمر دمشق اعتبرت فاشلة» وبأن الأمير فيصل - لم يقل الملك - نقل اليه نسخة عن الجواب الذي بلغه من الكولونيل اللنبي (Allenby) وان الأمير فيصل اوضح له «ان الأمة العربية ما تزال تشعر نحو الحكومتين الفرنسية والانجليزية شعور الصداقة والانصاف، وان هذه الأمة تتمنى من الحكومتين ان لا تأخذ بالقوة من عرب سوريا والعراق حق الاختيار الذاتي». واضاف غورو بان الأمير فيصل لن يذهب الى أوروبا الا بعد تحقيق شروطه، وانه سوف يقوم بعمل عدائي ضدنا للحصول على تلك الشروط. اما تلك الشروط والضمانات فهي «الاستقلال العربي في العراق وسوريا بما فيه فلسطين، والتخلي عن المشروعات الصهيونية والوعد بدرس دقيق لمسألة الوحدة السورية» واضاف غورو انه من الواضح ان الأمير فيصل يطلب ايضا «انسحابنا المقبل من المنطقة الغربية حسب تمنيات مؤتمر دمشق واعلن الأمير بان الشعب العربي سيحارب وانه لن يسمح بقيام دولة يهودية في فلسطين» ورأى اخيراً غورو «بأن الأمير وشعبه يميل للدخول في حرب قد تكون كارثة لا مفر منها لهم، ويجب ان يعمل على تلافيها، وبالتالي فان الأمير غير قادر على الدفاع عن مقررات المؤتمر»[١٢].

هذا وقد كشف تقرير صادر عن السفارة الفرنسية في لندن في ٧نيسان (ابريل) ١٩٢٠ من انه ليس هناك اي مجال للاعتراف بالأمير فيصل

برقية الجنرال غورو الى حكومته في آذار (مارس) ١٩٢٠ وفيها توضيحات حول موقف الأمير فيصل وشروطه.

138

72

Telegram communicated by the French Ambassador.

No.700/6

Beyrouth, le 25 mars 1920 à 11 h.
reçu le 26 à 7 h. 15.

D'après les deux colonels, cette formule, volontairement imprécise, de l'émir Feysal, signifie qu'avant toute décision concernant son voyage en France: Il veut obtenir de notre part, et de façon au moins officieuse, les assurances suivantes:

"Indépendance arabe en Mésopotamie et en Syrie, cette dernière englobant la Palestine, abandon des projets sionistes et promesse d'un examen bienveillant de la question (de l')(unité) syrienne."

Il est clair que, sans y insister, l'émir escompte aussi notre évacuation prochaine de la zone ouest, suivant le voeu du congres de Damas.

Par ailleurs, l'émir, affirmant que le peuple arabe combattra plutôt que de laisser installer un état juif en Palestine, craint d'être retenu comme otage en Europe, si des hostilités éclataient pendant son absence.

Il se préoccupe, enfin, de l'accueil qui lui sera fait en France au point de vue protocolaire.

J'ai répondu que l'émir ne pourrait avoir aucune crainte d'être retenu en Europe, quelles que soient les

circonstances

139

73

circonstances; que le Gouvernement lui rendrait, vraisemblablement, des honneurs qui ne seraient certainement pas royaux, mais ménageraient l'amour-propre du peuple syrien; qu'enfin, l'émir et son peuple, avant de se lancer dans une guerre qui serait inévitablement une catastrophe pour eux, devraient tout faire pour l'éviter, que, par suite, l'émir ne pouvait que déférer à l'invitation de la Conférence.

A suivre.

GOURAUD.

ملكا على سوريا الا عندما تصبح حالة الأمور الحاضرة في سوريا داخليا وخارجيا صالحة تمامـا، وان السيد ميلـران (Millerand) – رئيس الوزراء الفرنسي – يرى ان الحكومة الفرنسية تستطيع ان تعرض على الجنرال غورو كي يعرض بدوره على الأمير فيصل اعلاناً يخص سوريا يبدو بطبيعة الحال مرضٍ للأمير وهذا الاعلان يتضمن «ان الحكومة الفرنسية استناداً الى تصريحاتها السابقة من ناحية واستنادا الى الأسس العامة لحرية الشعوب والتعاون الودي والمعلنة من قبل مؤتمر السلام من ناحية اخرى تعلن اعترافها بحق الشعوب الناطقة باللغة العربية الثابتة على الأرض السورية من جميع الأديان على ان تجتمع فيما بينها تحت عنوان: امة مستقلة».

ويلاحظ بان هذا التقرير الذي كشف عن امكانية اعتراف فرنسا باستقلال شعوب سوريا اشترط – مناقضا ما اكده – «ان يقبل الأمير فيصل الانتداب الذي سيؤمن عليه من قبل عصبة الأمم والذي سيعطي شعبه نصائحه ومساعداته لتحقيق مبتغاهم شرعيا والسماح لهم ان يتحدوا في امة بعد ضيق طويل والخروج من حرب عطب البلاد بالخراب: ليس عنده طموح آخر. وسوف يضمن استقلالهم ضد اي اعتداء في الحدود التي يحددها مؤتمر السلام وللوقوف على ثلاث نقاط تؤخذ بعين الاعتبار: قومي، لغوي، جغرافي، ويؤخذ بالاعتبار بعض الاستقلالية الضرورية»[١٣].

ومن خلال جميع هذه التقارير والمراسلات يلاحظ الاهتمام الشديد بمستقبل سوريا وما كان للمؤتمر السوري العام من وقع واثر ليس على الأوساط اللبنانية والعربية فحسب، وانما على الأوساط الدولية ايضا لا سيما فرنسا وانجلترا. كما يلاحظ بان فرنسا حتى هذه الفترة كانت لا تزال تريد ارضاء الملك فيصل وفي الوقت نفسه تحقيق تطلعاتها في المنطقة، بينما يلاحظ من تقارير الجنرال غورو انه كان يحلل الموقف الراهن من منظار عسكري وكان يتهم فيصل ورفاقه بانهم كانوا يعدون العدة لمقاتلة الجيش الفرنسي، اما فيما يختص بالموقف الماروني فقد

استمر بمجمله معارضا للقرارات الصادرة عن المؤتمر السوري، وكان قادة الموارنة لا سيما الروحيين منهم يأملون بل ويشجعون الجيش الفرنسي على ضرب الجيش العربي الفيصلي لأنه في حال وقوع ذلك فانهم يصبحون بمأمن من الوحدة ومن التطلعات العربية، وهذا ما سيحدث فعلاً في ٢٤تموز (يوليه) ١٩٢٠. ◘

---

(١) للمزيد من التفصيلات انظر مقالنا في مجلة «تاريخ العرب والعالم» آب (اغسطس) ١٩٨٠، العدد٢٢.

(٢) كان الأعضاء اللبنانيون للمؤتمر السوري العام في دمشق هم: عن بيروت، محمد جميل بيهم، رضا الصلح، سليم علي سلام، د. فريد كساب، محمد اللبابيدي، احمد مختار بيهم (وقع الأختيار على ابنه امين بيهم بعد انسحاب والده) جرجي حرفوش، محمد الفاخوري، عارف النعماني، جان تويني عن طرابلس: توفيق البيسار، رشيد طليع. عن صيدا: رياض الصلح، عن صور: عفيف الصلح. عن بعلبك: سعيد حيدر، د. محمد بن علي حيدر، عن اقليم الخروب: ابراهيم الخطيب، عن الهرمل: تامر حماده، عن المتن: رشيد نفاع، عن الكورة: توفيق مفرج، عن راشيا: مراد غلمية، عن القنيطرة: الأمير محمود الفاعور، ثم التحق بالمؤتمر في دمشق الشيخ رشيد رضا والخوري اسطفان، الأول بصفته مندوبا عن بيروت والثاني بصفته مندوبا عن جبل لبنان.

(٣) أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى، المجلد الثاني، ص٤٨، مصر (بدون تاريخ)، جورج انطونيوس: يقظة العرب، ص٥٩٦ – ٥٩٩، بيروت ١٩٦٦.

(٤) انظر: ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص٢٦٤، بيروت ١٩٤٨، محمد جميل بيهم: سورية ولبنان ١٩١٨ – ١٩٢٢، ص١١٣ – ١١٩، بيروت ١٩٦٨، د. عبد العزيز نوار: وثائق اساسية من تاريخ لبنان الحديث ١٥١٧ – ١٩٢٠، ص٥٢٨ – ٥٤١، بيروت ١٩٧٤، وجيه علم الدين: العهود المتعلقة بالوطن العربي، ص١٧٤ – ١٧٧، بيروت ١٩٦٥.

(٥) بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ج١، ص١٠٢، درعون – حريصا١٩٦٠.

(٦) زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط ص١٥٤، بيروت ١٩٧١.

(٧) هذه البرقية هي من بين ملفات البطريركية المارونية في بكركي.

(٨) Colonel Meinirtzhagen To Primer Minister, 18 March 1920, No. E2917, in F.O. 371/5034/44. (من وثائق وزارة الخارجية البريطانية وهي تنشر للمرة الأولى).

(٩) . Col. Meinertzhagen to F.O. 18 March 1920 No. E2917/5034/44.

(١٠) هذه البرقيات كلها مرسلة من مؤتمر السلام في باريس الى سكرتير الوفد البريطاني في المؤتمر وهي من ضمن وثائق وزارة الخارجية البريطانية التي هي ضمن اوراقي الخاصة.

(١١) يوسف السودا: في سبيل الاستقلال، ج١، ١٩٠٦ – ١٩٢٢، بيروت ١٩٦٧.

(١٢) General Gouraud to Quai d'Orsay, 25Mars (March) No.E 2846, in F.O. 371/5034/44.

(١٣) .General Gouraud To Quai d'orsay, 3April (Avril) 1920, No.E 2846, in F.O. 371/5034/44. هناك العديد من التقارير بهذا الخصوص موقعة من قبل الجنرال غورو.



● واجبنا نحن الزعماء ان نبث في الشعب روح الأمل والتفاؤل، فإن الشعوب الضعيفة المقهورة لن تقوى ولن تنتصر ما بقيت يائسة متشائمة، ولكن لا سبيل إلى ذلك إلا إذا ضرب الزعماء الأمثال على انهم في المقدمة والطليعة، جراءة وتضحية واقداماً.

جواهرلال نهرو



ابحار الى الفردوس!

شذا عدرة

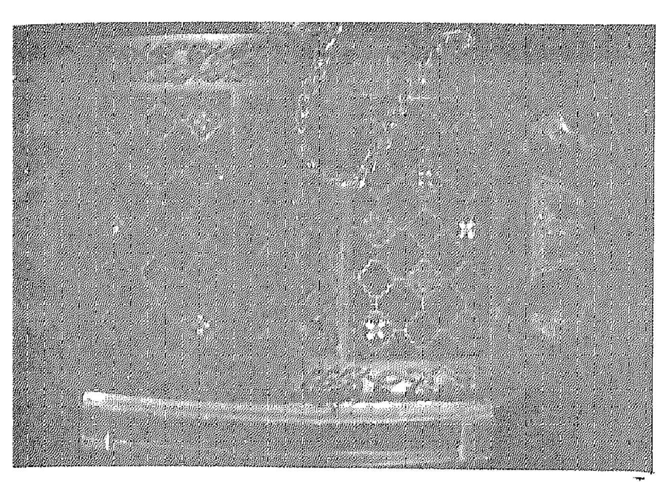
كانت السيدة اليزابيث بريتي (Eli-zabeth Pretty)، تستغرق في التفكير تسأل نفسها عن حقيقة الروابي الستة عشر الضخمة التي كانت تشاهدها كلما وقفت في غرفة استقبال منزلها الواقع في ساتون هوو (Sutton Hoo) في سَفْفُولك (Suffolk) والتي كانت تمتد على طول ارض رملية جرداء. فقد سمعت الكثير من القصص حولها وحول كنز مدفون في داخلها من اهالي القرى المجاورة لوود بريدج (Wood bridge). ولكن ذلك كان في عام ١٩٣٨ عندما ابتدأت تلوح في الأفق علامات الحرب العالمية الثانية حيث اصبحت اهتمامات الناس منصبة على اخبار الحرب اكثر من اي امر آخر.

ولكن في النهاية، اتصلت السيدة بريتي بمتحف ابسفيك (Ipswich) الذي ارسل عالم الآثار السيد باسيل براون (Basil Brown) لالقاء نظرة على تلك الروابي. وبعد اجراء الفحص الدقيق لثلاث منها، صرّح السيد براون بان تلك الروابي ليست سوى عبارة عن مدافن لنبلاء الأنجلو ساكسون، وبما ان لصوص المقابر قد سبقوهم اليها، لذا فهي لا تحتوي على الشيء الثمين. ولكن بعد اجراء الفحص على الرابية الرابعة، تبين للسيد براون بان الأمر هنا يختلف عما سبقه. فهي تبلغ الثلاثين متراً في الطول واربعا وعشرين في العرض وثلاثة امتار في الارتفاع؛ ولم يتطلب امر اكتشاف ما في داخلها سوى بضع ضربات من معوله الصغير الذي ازاح الستار الرملي عن سفينة مدفونة تعود الى عهد الانجلو ساكسون.

كان يعلم السيد براون بان العادة قد جرت في العهود الوثنية ان يدفنوا كبار عظمائهم مع كامل ثرواتهم داخل سفن ووسط احتفالات تمارس خلالها الطقوس والشعائر الدينية؛ اعتقاداً منهم بان السفينة ستحمل البطل المتوفي الى العالم الأخر. وقد كان حجم السفينة يدل على مقام الزعيم المتوفي، فكلما كان مقامه ارفع قدراً ازداد حجم السفينة كثيراً وبالتالي تزداد قيمة الكنز المدفون معه. وهذه التي وجدت ذات غرفة تتسع لثماني وثلاثين مجذفاً ، لذا كانت من الكبر بحيث لا يمكن ان تكون سوى لملك.

ابتدأ السيد براون يحفر في التلة وقلبه يغور في اعماقه من الخوف؛ لأن جميع الدلائل التي بَدَت لعينيه الخبيرتين كانت تشير على ان التلة قد تعرّضت للنهب والسلب من قبل لصوص المقابر ابان عهد الملكة اليزابيث الثانية. وهذا كان يعني بدوره بان آثار تلك السفينة ليست لها قيمة تذكر كبقية آثار التلال الأخرى.

ولكن هل من المعقول ان لا تكون التلة تحتوي على الشيء الثمين؟ هذا ما كان يتساءله السيد بروان الذي تبين له فجأة بأن اللصوص قد اخطأوا في تحديد نقطة الوسط الرئيسية

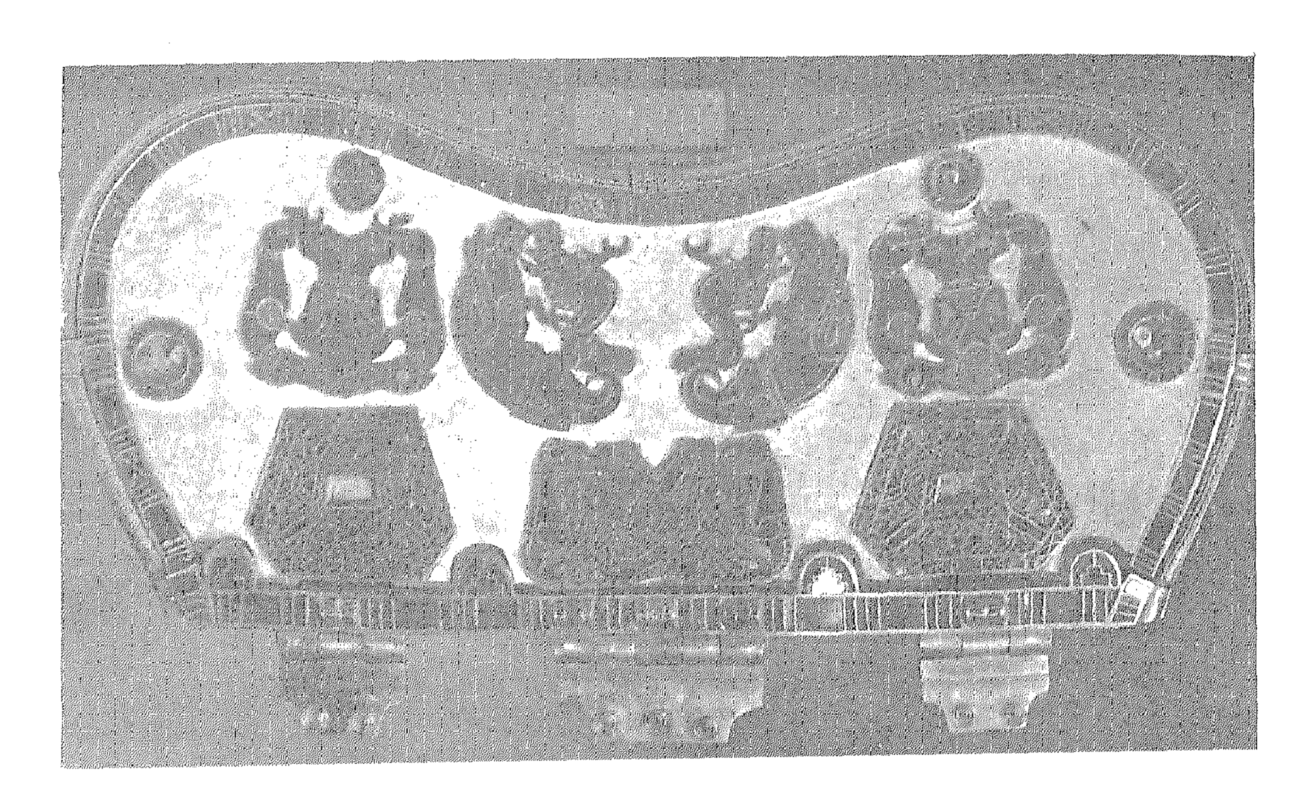


دبوس ذهبي للزينة.

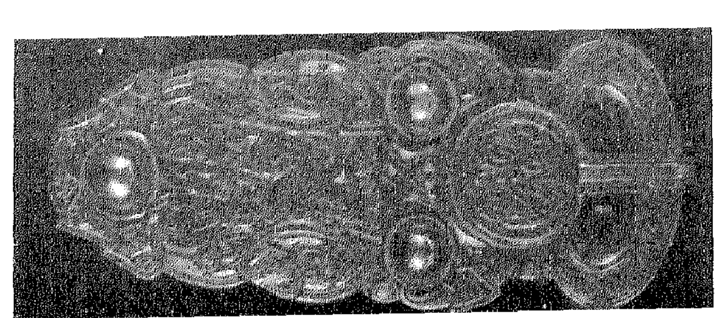
للسفينة حيث من الأرجح ان يكون الكنز قد وضع هناك. وهم قد اخطأوا بنظره، بسبب التغييرات الخارجية التي طرأت على التلة عبر السنين مما جعلهم يحفرون في غير المكان الصحيح.

استطاع السيد براون ان يحدد بمهارة وسط السفينة، حيث ابتدأ وفريقاً من علماء الآثار الذين كانوا قد استدعوا لمعاونته، ابتدأوا يحفرون بحماس شديد، وبعد عدة اسابيع من العمل المتواصل استطاعوا كشف النقاب عن هيكل السفينة واصبحوا على قيد انملة من غرفة الدفن. وبدقة متناهية، تمكنوا من استخراج كرة ذهبية ومن ثمّ... اخذت روائع الكنز تظهر على وجه الأرض واحدة تلو الأخرى. فهناك الأيل البرونزي والترس الغني الزخرفة وقطع خوذة منقوشة بحيث تمثل وجه محارب ووعاءان كبيران وسيف مذهب وغمد وانواع كثيرة من المجوهرات والحلى الجميلة.

كان رجال الحفر شديدي الانهماك بحيث لم يعبروا اية اهمية لكتلة من تراب ارجواني كانت اكبر قليلاً من رأس الرجل العادي فقد وضعوها جانباً واستمروا في عملهم، الا ان الدهشة غمرتهم عندما استخرجوا كتلة كبيرة أخرى تبين لهم فيما بعد بأنها عبارة عن طبق مقعر كبير مصنوع من الفضة يعود الى العهد البيزنطي. وقد استخرجوا بعد ذلك ستة اطباق



غطاء كيس دراهم مزين بـالعقيق الأحمر والزجاج الملون.



حزام ذهبي بلغ طوله احد عشر سنتيمترا.

فضية اخرى كانت جميعها مصنـوعة بـاتقان رائع.

قدّر الخبراء الكنز بعد ان استخـرجت جميـع محتويـاته بقيمـة نصف مليون جنيـه استرليني. غير ان قيمته التاريخية كانت لا تقدر بثمن لأنه قد القى اضواء كاشفة على حقبة جديدة من حقبات تاريخ الأنجلو ساكسون.

كانت هناك قطعة مفقودة تحولت فيما بعد الى لغز! وهو اين كانت الجثة؟ فهي الى جانب فقدانها، لم يكن هناك اي دليل يشير من قريب او بعيد لهوية صاحبها «الملك المتوفي».

ولكن استنتج فيما بعد، خبراء علم الآثار بان سفينة الدفن هذه، من الممكن ان لا تكون سوى نصب تذكاري للملك ردوولد (Redwald) الذي كان اول ملك انجلياني يعتنق المسيحية وقد توفي حوالي عام ٦٢٥م.

اما رعيته، فيبدو بانهـا لم تكن مقتنعة تماما بتعاليم الديـانة الجـديدة، ورغبت عن طريق اقامة شعائر الدفن على الطريقتين الوثنية والمسيحية من ان تضاعف في تأكيدها على ان ملكها الأخير قد حظي حقا بمكانة في الفردوس.

◘

المصدر:

The World's Greatest Wonders.
Encyclopedia of the World in Colour

النقود العربية

سكّها عبد الملك بعد «حادثة دبلوماسيّة»

فكتور سحاب

في مطلع الفتوح العربية، عندما سقطت بلاد الشام في أيدي المسلمين على يد جيوش يزيد ومعاوية ابني ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وابي عبيدة بن الجراح، وغيرهم من القادة العسكريين الأفذاذ، لم يفكر الفاتحون مباشرة في تغيير النظم والترتيبات التي كانت قائمة في البلاد المفتوحة، الا ما تعلق منها بمهمات عملية لا مفر من مواجهتها.

وقد ابقى الفاتحون في الأمصار على الكثير مما خلفه البيزنطيون والفرس، خاصة ما تعلق بنظم الحكم والدواوين والنقود.

ولم يفكر الفاتحون بتغيير النقود الفارسية والبيزنطية الا بعد حادثة «دبلوماسية» وقعت بين الخليفة آنئذ عبد الملك بن مروان، والامبراطور البيزنطي جوستينيان الثاني.

فالمعروف ان التجارة ظلت قائمة بين الدولة العربية الناشئة والامبراطورية البيزنطية التي تقلصت ممتلكاتها الى ما وراء حدود الشام الشمالية. وكان البيزنطيون مثلاً يستوردون من مصر العربية ورق البردي، الذي كان الوسيلة الوحيدة لكتابة المخطوطات في تلك الحقبة. وكان المسلمون يدمغون ورق البردي المعد للتصدير بخاتم الشهادة: لا اله الا الله محمد رسول الله.

واحد من أقدم النقود العربية وقد نقش عليه: «لا اله الا الله محمد رسول الله» ثم اسماء الخلفاء الراشدين: ابو بكر وعمر وعثمان وعلي.

فاشتكى جوستينيان من ان هذه الدمغة تزعجه وتزعج البيزنطيين، وطلب من عبد الملك ان يأمر بالغائها. فرفض عبد الملك ذلك. وكان جوستينيان يعلم ان العرب لم تكن لهم نقودهم الخاصة، وانهم كانوا يتعاملون بالنقود البيزنطية الذهبية، فهدد الامبراطور عبد الملك بأن يضرب على الدنانير البيزنطية كتابات تزعج العرب وتمس عقيدتهم وايمانهم. غير ان عبد الملك ارسل الى الامبراطور ما يفيد انه لن يعتمد بعد الآن على النقود البيزنطية. وهكذا بدأت الدولة العربية تسك نقودها العربية الخاصة.

ومع ان النقود أصبحت عربية من ذلك التاريخ، فان النقود والوحدات المتداولة حافظت على الأسماء التي كانت تطلق عليها في الفترات الماضية. فسميت العملة الذهبية ديناراً، اشتقاقاً من الكلمة الرومانية «ديناروس»، وهي تساوي

فيكتور سحاب: صحافي، مجاز في التاريخ.



عشرين درهماً. اما الدرهم، فهو بدوره سمي على اسم «الدراخما» اليونانية. وسمي النقد النحاسي فلساً، جمعه فلوس، من الكلمة الرومانية والبيزنطية «فوليس».

واما اشكال النقود العربية فكان واضحاً فيها تقليد الأشكال الساسانية الفارسية. ومع ان كلمة درهم يونانية الأصل، كما سبق، فان الدقة التي اتخذها الدرهم الفضي العربي في بداياته، كانت تذكر بالدرهم الساساني الفضي، ولو انه كان اخف وزناً بكثير. وقد اختلفت الأوزان عن الوحدات الأصلية، بسبب رغبة في توحيد المقاييس ذات المصادر المختلفة. فزيد وزن هذه الوحدة، وخفض وزن تلك، حتى توحدت العملة العربية واصبحت محددة الأثمان في المبادلات.

ومع ان الدنانير الذهبية الأموية كانت تضرب في دار او دارين للسكة على الأكثر، فان الدراهم الفضية، وهي اكثر تداولاً بطبيعة الحال، ولا بد إذن

درهم ضرب في واسط سنة خمس وتسعين، ايام الوليد بن عبد الملك.

احد الله
مد لم يلد
ولم يولد ولم
يكن له كفوءاً
احد»ضربت على
كل النقود الأموية.

من ضرب الكثير منها، كانت تضرب في دور متعددة. والواقع ان الدور كانت تتعدى الستين وهذا ما جعل الدراهم تختلف واحدها عن الآخر، مما يزيد من قيمة النقود لدى جامعيها.

وكانت اول النصوص التي ضربت على الدراهم العربية «لا اله الا الله محمد رسول الله»، ثم نص آخر يقول في الاجمال: بسم الله ضرب هذا الدرهم بدمشق (او غيرها من عواصم الأمصار مثلاً) في سنة كذا وكذا. وكان الدرهم يحمل احياناً اسم

المقاطعة بدلاً من اسم عاصمته.

واقدم النقود العربية الواردة في لائحة المتحف البريطاني، مصدره دار سكة دمشق وتاريخه سنة ٧٩ للهجرة. اما الدرهم المضروب في واسط (احد الأمصار في العراق) فتاريخه سنة ٩٥ للهجرة، ايام الخليفة الوليد الأول (ابن عبد الملك)، اي سنة ٧١٤ للميلاد. وقد ضرب في وسطه النص التالي: «لا اله الا الله وحده لا شريك له»، وذلك بكتابة كوفية غير معجمة الأحرف (اي ان النقط لم توضع على الأحرف، وتلك كانت طريقة الكتابة العربية اساساً، قبل ان يبدأ العرب وضع النقط على الحروف وهو ما يسمى التعجيم، لمساعدة الأعاجم في قراءة النصوص المقدسة من غير خطأ).

وحول هذا النص، ضرب في شكل دائري نص يقول: «بسم الله، ضرب هذا الدرهم بواسط في سنة خمس وتسعين»، كذلك بخط كوفي مهمل الحروف (اي غير منقطها).



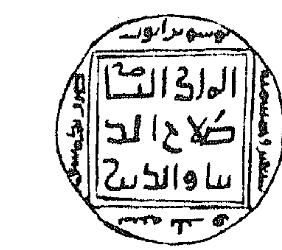
في النقود العباسية حلت«محمد رسول الله» محل«الله احد الله الصمد».

اما الوجه الآخر للدرهم فقد ضرب عليه نصان من القرآن الكريم. ففي الوسط: «الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد

ولم يكن له كفواً أحد». وعلى المحيط «محمد رسول الله ارسله بالهدى...» الى آخر الآية الكريمة. والنص الأول اعتبر شعاراً لخلفاء بني امية، ليس في حكمهم في الشام فقط، بل في الأندلس ايضا، حتى نهاية عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر لدين الله. فهذه الكلمات «الله احد الله الصمد...» الى آخر السورة، نقشت على كل النقود الأموية بلا استثناء. فلما جاء العباسيون الى الحكم سنة ٧٥٠م، ابدلوا النقوش بغيرها، واستكملوا نص الوجه الأول «لا اله الا الله»، ونقشوا على الوجه الثاني «محمد رسول الله»، بدلاً من «الله احد الله الصمد».

وفي العصور المتقدمة نسبيا، اصبح اسم المصر الذي تضرب فيه النقود يسقط، اذا كان الضرب قد جرى في بغداد العاصمة، وهذا حال معظم النقود المتوافرة من العصر العباسي. ولكن اية نقود من تلك الحقبة تحمل اسم مصر من الأمصار مع اسم الحاكم المحلي، تكتسب في الحال قيمة اضافية، لندرتها. ولا ادل على ذلك من القطعة الشهيرة التي ضرب عليها «عز بعد فاقة الأمير علاقة». ولعل هذه الندرة اخذت تصبح كثرة مع تخلخل الحكم المركزي العباسي شيئا فشيئا ونشوء الدويلات في مصر والمغرب والأندلس والنواحي الأخرى على اطراف الامبراطورية العربية، حتى اخذت كل دولة تسعى الى سك عملتها الخاصة. فصدرت عملة اخشيدية واخرى فاطمية وثالثة غزنوية وهكذا.

الدينار الذهبي ايام الدولة الفاطمية.




ريال فضي من ايام صلاح الدين ضرب في دمشق.

ولما جاء عصر صلاح الدين الأيوبي، وهو الاسم الشائع والمختصر للرجل العظيم الذي كان اسمه الحقيقي والمعتمد آنذاك: «الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن نجم الدين ايوب»، يلاحظ ان انواع السكة تعددت الى حد كبير. فكان الدينار الذهبي بالخط الكوفي القديم، ثم الريال الفضي ذو النقش المربع في وسطه، ومعظمه ضرب في دمشق، والريال الفضي ذو النجمة المسدسة ومعظمه ضرب في مدينة حلب، وريال نحاسي منقوش عليه صورة اسد، وريال نحاسي آخر نقش عليه رسم صلاح الدين جالسا على العرش، بالاضافة الى ثلاثة انواع اخرى من الريالات النحاسية. ولقب ملك، كان عندئذ يستخدم عند العرب للمرة الأولى.

ومن اواخر النقود العربية المعروفة قبل الفتح العثماني الدينار الذهبي للملك الظاهر بيبرس الذي تم على ايامه القضاء على الدولة الصليبية وصد الغزو التتري بقيادة هولاكو عن الشام، في اواخر القرن الثالث عشر للميلاد. وقد ظل الحكم في مصر والشام في يد المماليك البحريين اولاً، ثم



ريال فضي من ايام
صلاح الدين
ضرب في حلب.







ريال ايوبي يظهر فيه صلاح الدين جالساً على العرش.

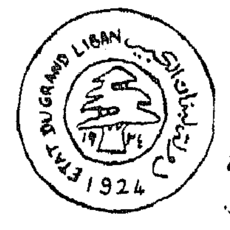




دينار ذهبي من ايام الملك الظاهر بيبرس.

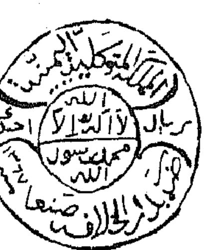
البرجيين، الى ان سقطت البلاد في يد السلطان سليم الفاتح.

وآخر النقود العربية التي تذكرنا بما جرى عليه العرف قديماً في النقود، هو ذلك الريال اليمني الشمالي المضروف في صنعاء في عهد الامام احمد حميد الدين الذي ازيح عن العرش سنة ١٩٦٢. وقد ضرب على الريال: «المملكة المتوكلية اليمنية، لا اله الا الله محمد رسول الله، ضرب بدار الخلافة صنعاء، سنة ١٣٦٧». وعلى الوجه الثاني: «الله نصرة، ١٣٦٧ احمد حميد الدين، امير المؤمنين الناصر لدين الله رب العالمين».



نقد من سنة ١٩٢٤: دولة لبنان الكبير.

اما في لبنان، فان جزءاً طويلاً من تاريخ البلاد والنقود فيها، امتزج بما كان لمحيطها ايام الفتح العربي وما تلا ذلك من عصور، وما سك فيها من نقود ومداليات. ومن النقود التي تختص بالتاريخ اللبناني الحديث، واحد ضرب سنة ١٩٢٤، باسم دولة لبنان الكبير، وهو اسم لبنان عندما انتدبت فرنسا لحكم المنطقة، وجرى ضم بعض الأقضية الى الجبل، لتتخذ الحدود خطها الحالي. ◘





ريال يمني حديث شبيه بالنقود العربية القديمة.

المراجـــع:
- فيلهاوزن، يوليوس: «تاريخ الدولة العربية».
- بلانت، ريتشارد: «المسكوكات العربية وكيف تقرأ».
- هانسون، ت.: «جمع المسكوكات».

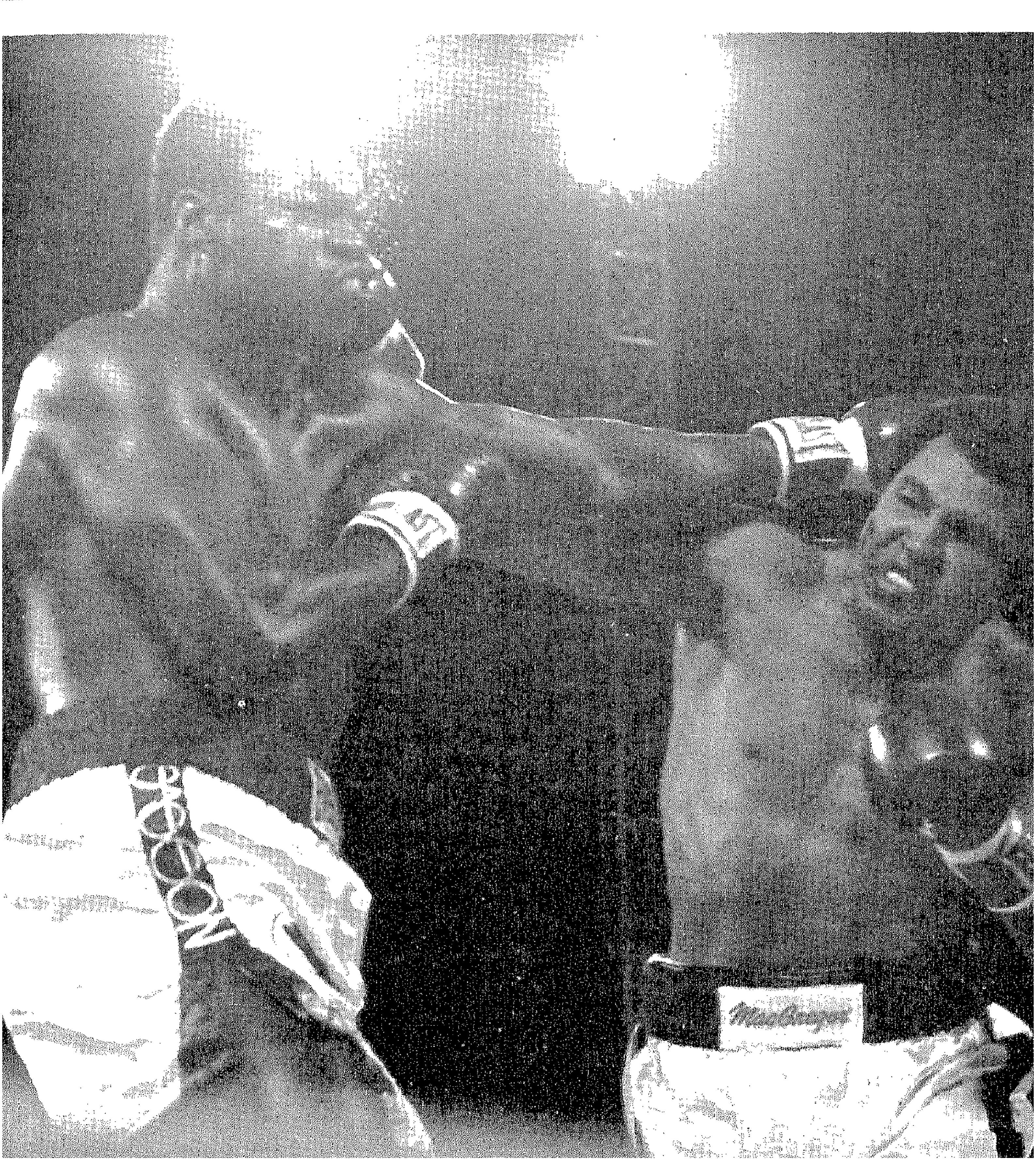


● أنا أشرب الخمر كما أشرب الماء ولا أذكر أني سكرت إلا بخمرة النصر!

الاسكندر الكبير

عصر محمد علي في الملاكمة

د. يوسف شبل



يعرف بعض القراء الدكتور يوسف شبل كإقتصادي له مؤلفات ومقالات عديدة في حقل اختصاصه نشر بعضها في «تاريخ العرب والعالم». ولكن أغلب الظن أن أحداً من القراء لا يعرف أنه كاتب رياضي له إهتمامات واسعة في شؤون الرياضة.
ويسرنا أن نقدمه إلى القراء من خلال المقال الذي كتبه حول بطولة العالم في الملاكمة للوزن الثقيل.

في أولمبياد روما الذي جرى في عام ١٩٦٠ فاز بطل أمريكي صغير السن بوزن خفيف الثقيل اسمه «كاسيوس مارسيللوس كلاي». وكما جرت العادة بين الملاكمين الهواة الذين يطمعون بأضواء وأمجاد الملاكمين المحترفين أعلن هذا البطل الأولمبي احترافه بعد عودته إلى مسقط رأسه في مدينة لويفيل في ولاية كانتيكي في الولايات المتحدة بعد أن انتقل إلى فئة الوزن الثقيل في الملاكمة. وكان ذلك في أيلول من عام ١٩٦٠. وقد لعب مباراته الأولى كمحترف ضد «هونساكر» (Hunsaker) في تشرين الأول من نفس العام حيث فاز في الجولة السادسة. وكان نصيبه من المباراة ٢٠٠٠ دولار فقط. ثم عاد وفاز في مباراة ثانية ضد ملاكم محترف آخر اسمه «سيلر» (Silre) وفاز عليه بالضربة القاضية في الجولة الرابعة. وفي هذه المباراة لم تزد حصة كلاي عن ٢٠٠ دولار!

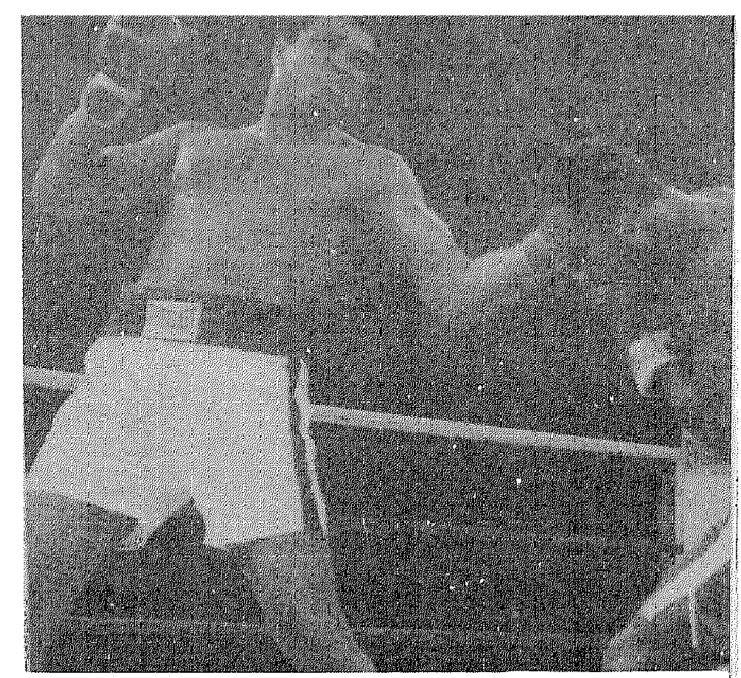
في عام ١٩٦١ لعب كلاي ثماني مباريات انتصر فيها جميعاً، ستة منها بالضربة القاضية واثنتان بالنقاط. وفي عام ١٩٦٢ بدأ اسم كلاي يلمع بسرعة خصوصاً عندما هزم البطل الكبير «أرشي مور» بطل العالم السابق في وزن خفيف الثقيل بالضربة القاضية في الجولة الرابعة في مباراة جميلة في مدينة لوس انجيلوس. وكان قد هزم خمسة ملاكمين اخر بالضربة القاضية. وقد لفت الأنظار إليه بسرعته الفائقة وذكائه الحاد


محمد علي عندما كان في الثانية عشرة من عمره.

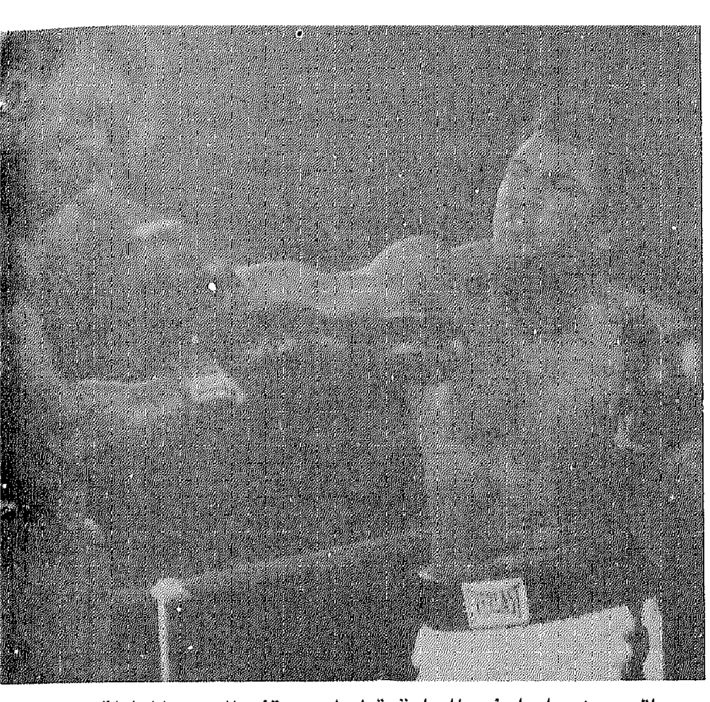
على الحلبة ولياقته البدنية التي فاقت كل الحدود إلى جانب اتقان فن الكلام عن الخصم شعراً ونثراً! فقد كان كلاي يتحرك على الحلقة برشاقة وسرعة ملاكم من وزن الريشة رغم أنه يزن حوالي ٩٨ كيلو كما كان سريع الحركة سواء في اليدين أو القدمين أو مختلف أنحاء جسمه إلى جانب قدرته على التمويه وكان يملك سرعة خاطر كبيرة.

وفي مطلع عام ١٩٦٣ كان «سوني ليستون» قد انتهى من سحق «فلويد باترسون» في مباراتهما التي جرت في أيلول من عام ١٩٦٢ في شيكاغو. والطريف أن معظم المحللين والنقاد كانوا يراهنون على أن «ليستون» سيحمل لقب بطولة العالم لمدة طويلة نظراً لقوته الخارقة وشراسته في انهاك خصومه من ناحية ولأنه كان قد فاز على جميع الملاكمين المصنّفين في لائحة البطولة دون استثناء.

في هذه الفترة بالذات بدأ «كاسيوس كلاي» يعدّ نفسه بهدوء وثقة لمباراته مع «ليستون». فلعب عام ١٩٦٣ ثلاث مباريات كبيرة ضد «شارلي باول» و «دوغ جونز» و «هنري كوبر» بطل بريطانيا وأوروبا في الوزن الثقيل. وقد استطاع أن يهزم الأول بسهولة كبيرة بالضربة القاضية في الجولة الثالثة. أما مباراته مع «جونز» فقد كانت من أصعب مبارياته طوال حياته. فقد فاز فيها بالنقاط بعد أن كاد «جونز» أن يلقي به أرضاً في منتصف المباراة غير انه كلاي تماسك وعاد



محمد علي بعد أن قضى على ليستون في الجولة الأولى في مباراة الثأر.



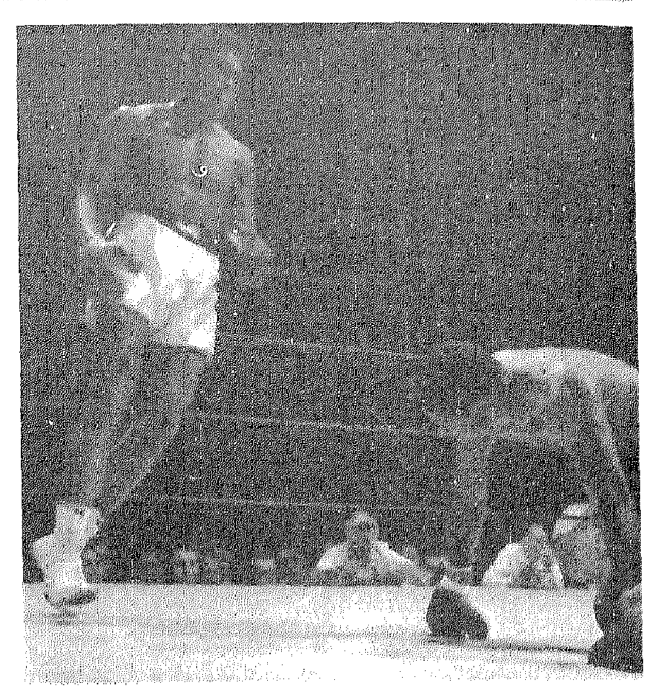
باترسون على ارض الحلبة قبل ان يوقف الحكم المباراة.

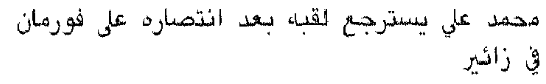
ليفوز بفارق ضئيل بالنقاط. وقد حاول عدد من النقاد التشكيك بقدرته وادعى البعض ان المباراة ربحها جونز فعلاً.

أما مباراته مع «كوبر» البريطاني فكانت تاريخية. فقد تنبأ كلاي قبل المباراة بأنه سيهزم خصمه في الجولة الخامسة. وعندما بدأت المباراة ظهر جلياً تفوق محمد علي فناً ولياقة وسرعة واستطاع أن يكسب الجولات الثلاث الأولى وان يفتح جرحاً عميقاً فوق حاجب «كوبر». وقبل نهاية الجولة الرابعة بلحظات ومن موقع اليائس سدّد «كوبر» لكمة خطافية «هوك» يسارية إلى فك كلاي الذي وقع على ظهره. وقبل أن يبدأ الحكم العد دق الجرس معلناً انتهاء الجولة. وهنا بادر «انجيلوا داندي» (Dundee) مدرب كلاي ومعاونوه إلى جره بسرعة إلى مقعده اعتقاداً منهم بأنه قد اصيب اصابة بالغة غير ان قدرة كلاي على تحمل اللكمات اتضحت جلية عندما نهض خلال لحظات من تلقيه الضربة القوية ووقف في ركنه قبل أن يضرب الجرس ايذاناً ببدء الجولة الخامسة.

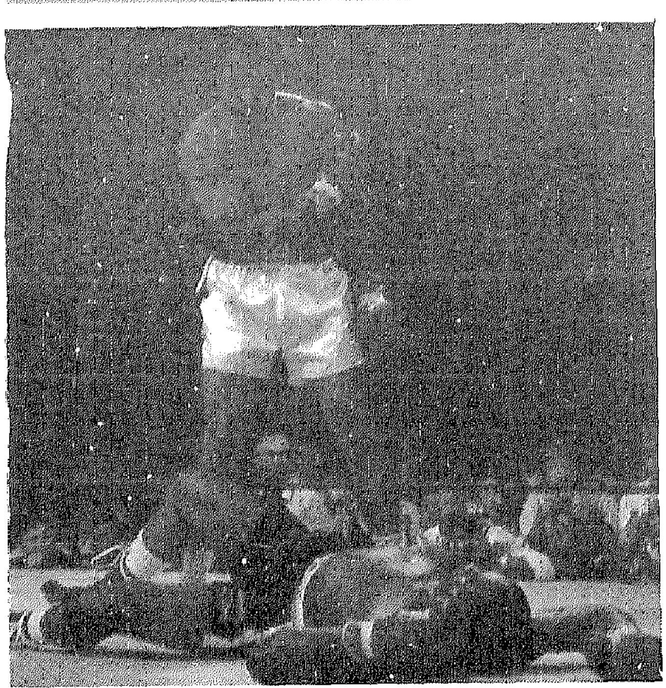
وعندما بدأت الجولة الخامسة هاجم كلاي كوبر بسرعة مذهلة وكال له في دقيقة واحدة مجموعة من اللكمات المستقيمة والخطافية ما يساوي ٢٠ لكمة مما أحال وجه كوبر إلى كتلة من الدماء. فتدخل الحكم بعد أن بدأ الجمهور يطالب بوقف المجزرة وأعلن فوز كلاي بالضربة القاضية الفنية في الجولة الخامسة.

وما أن نزل كلاي من الطائرة في نيويورك عند عودته من لندن حتى أشار إلى حشد الصحافيين الذي كان بانتظاره بالرقم ٨. وكان يعني بذلك ان ليستون سيسقط في الجولة الثامنة وكان يعرف جيداً ان الرأي العام سيطالب «ليستون» باعطاء كلاي فرصة لمقابلته على اللقب. وخلال شهر من الزمن كانت الترتيبات قد تمت لإقامة المباراة المنتظرة في ٢١ شباط من عام ١٩٦٤ في مدينة ميامي في فلوريدا. والطريف في الأمر ان الترجيحات كان ٧ – ١ لصالح لستون!!. وكان أكثر المتفائلين في كلاي يراهن على انه لن يستطيع الوقوف أمام ليستون أكثر من ثلاث إلى أربع جولات على أبعد تقدير خصوصاً وان ليستون لم يتعود سماع جرس الجولة الثالثة منذ أكثر من ثلاث سنوات فقد هزم باترسون مرتين في الجولة الأولى وقبله بطل المانيا في الجولة الأولى.





محمد علي يسترجع لقبه بعد انتصاره على فورمان في زائير



وخلال الجولة الثانية القاضية على فريزر

وقد اتاحت الظروف لكاتب هذا المقال حضور المباراة مباشرة أثناء وجوده في الولايات المتحدة بإحدى الصالات المغلقة أثناء سير المباراة. خلال الجولة الأولى حاول ليستون القضاء على كلاي بسرعة كعادته بمطاردته غير ان سرعة كلاي المذهلة وتغير اتجاه جسده بسرعة البرق لم يمكن ليستون من اصابته وقد استمر الاثنان في التلاكم بعد أن قرع الجرس معلناً انتهاء هذه الجولة. في الجولة الثانية تابع ليستون مطاردة كلاي دون التمكن من اصابته فيما كان يكتفي كلاي باطلاق عدد وافر وسريع من ضرباته المستقيمة إلى وجه ليستون كي يخفف من اندفاعه وللتأثير على قدرته نفسياً. في منتصف الجولة الثالثة سدد كلاي خمس ضربات مستقيمة وهوك سريعة بسرعة مذهلة إلى وجه ليستون مما أدى إلى انتفاخ وجه الأخير كما بدأ اليأس يتسرّب إلى ليستون. واعتقد ان هذه الجولة اقنعت ليستون بانه لن يستطيع القضاء على هذا الملاكم المشاغب بسهولة. في الجولة الرابعة تابع ليستون المهاجمة ولكن ببطء شديد وعدم مثابرة. وكان كلاي يتكلم معه ويحاول النيل من عزيمته. غير انه بين الجولة الخامسة والسادسة حدث شيء غريب فبينما كان مدربه «دندي» يمسح وجهه باسفنجة شعر كلاي أن مادة غريبة دخلت عينه وانه لم يعد يرى. وهنا طلب من «دندي» ان يفك له قفاز الملاكمة لانه لا يستطيع المتابعة. غير ان «دندي» دفع به إلى منتصف الحلقة وصاح به أن يكمل المباراة والطريف انه نفس المدرب الذي أوقف مباراته ضد «هولمز» الأخيرة. وهذا يوضح دون شك أهمية المدرب القدير صاحب الخبرة في اتخاذ القرارات السليمة في الوقت الصحيح. المدرب الذي يعرف تماماً متى يكون البطل في مأزق حقيقي ومتى يكون في مأزق عابر.

في الجولة السادسة سيطر كلاي تماماً على المباراة وايقن ليستون ان النهاية باتت وشيكة فقد تورم وجه الأخير وخارت قواه تماماً. كما أصيب بتمزق في كتفه الأيسر مما أضطره إلى البقاء في ركنه وعدم البدء في الجولة السابعة وأعلن الحكم بذلك فوز كلاي ببطولة العالم بالضربة القاضية الفنية في الجولة السابعة.

بعد فوزه ببطولة العالم بقليل أعلن كاسيوس كلاي انه من أنصار حركة المسلمين السود وان اسمه أصبح «محمد علي» متبرئاً

بذلك من لقب كلاي (هنالك خطأ شائع في كثير من الصحف العربية عندما يشار إليه باسم محمد علي كلاي. فاسمه الجديد هو محمد علي فقط واضافة كلمة كلاي يلغي الهدف الذي قصد إليه هذا الملاكم من تغيير اسمه فهو يريد التخلي عن اسم عائلة كلاي وهي عائلة بيضاء اتسمت بالقسوة الشديدة في معاملة أهل محمد علي وليس التخلص فقط من اسمه الأول كاسيوس).

قامت ضجة إعلامية كبيرة ضد محمد علي ساهمت فيها بعض الأقلام الصهيونية. وفي عام ١٩٦٥ لعب مباراته الأولى للدفاع عن لقبه حيث فاز مرة أخرى على «سوني ليستون» بضربة قاضية في مطلع الجولة الأولى حيث وجه لكمة يمينية قصيرة صاعقة إلى إذن ليستون بينما كان الأخير مندفعاً نحو محمد علي فسقط ليستون على الأرض. ولم يحاول القيام إلا بعد ان تجاوز حكم المباراة البطل السابق «جو ولكوت» العد العاشر. وقد اطلق محمد علي على هذه اللكمة اسم «فانتوم».

وفي ٢٢ نوفمبر من عام ١٩٦٥ فاز محمد علي على فلويد باترسون في لاس فيغاس، البطل السابق،بالضربة القاضية الفنية في الجولة الثانية عشرة.وفي هذه المباراة حاول المطرب فرانك سيناترا المعروف بتعاطفه مع الأوساط الاسرائيلية والصهيونية ان يجعل منها مباراة بين «الاسلام» و «الكنيسة الكاثولوكية» على أساس ان محمد علي مسلم وباترسون كاثوليكي وان الأخير يريد إعادة اللقب إلى أمريكا على اعتبار ان محمد علي لم يعد امريكياً!! ولكن هذه الحركات لم تغير من نتيجة المباراة!.

وفي عام ١٩٦٦ دافع محمد علي بنجاح عن لقبه خمس مرات ضد الملاكمين الآتية اسماؤهم:

جورج شوفاللو - كندي - ربح محمد علي بالنقاط بعد ١٥ جولة.

هنري كوبر - انجليزي - ربح محمد علي بالضربة القاضية الفنية في الجولة السادسة.

بريان لوندون - انجليزي - ربح محمد علي بالضربة القاضية في الجولة الثالثة.

كارك ميلدبرغر - الماني - ربح محمد علي بالضربة القاضية الفنية في الجولة الثانية عشرة.

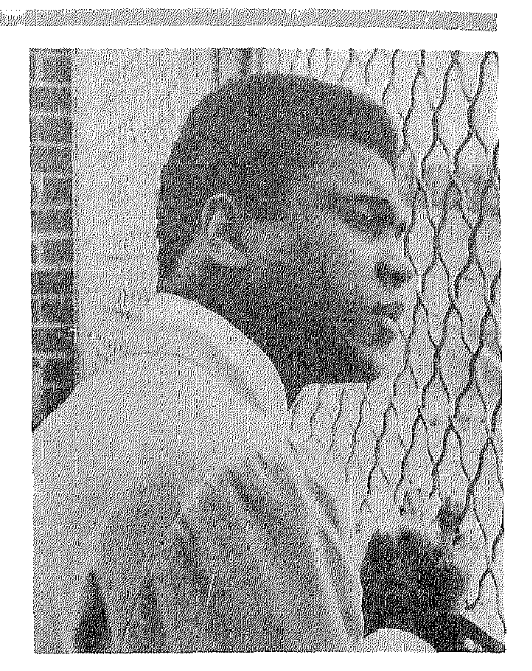
كليفلاند وليامز - امريكي - ربح محمد علي بالضربة القاضية في الجولة الثالثة.

وفي عام ١٩٦٧ لعب محمد علي مباراتين: الأولى ضد الملاكم الزنجي «ايرني تيريل» وهزمه بالنقاط بعد ١٥ جولة ثم لعب ضد «زورا فوللي» وهزمه بضربة قاضية في الجولة السابعة.

كانت هذه آخر مباراة لمحمد علي قبل أن يُستدعى للانخراط في الجيش الامريكي. فقد أستدعي للخدمة في ١٠ نيسان، ١٩٦٧. وعندما مثل أمام اللجنة العسكرية واصطف مع مواطنين آخرين رفض التقدم خطوة إلى الأمام كما تقضي الاعراف العسكرية بذلك للتدليل على قبوله دخول الجيش. فعاود العقيد النداء بقوله: محمد علي مرة وثانية ولكنه رفض أن يتحرك من مكانه. عندئذ طلب إليه اللحاق به إلى مكتبه حيث حاول أن يشرح له محاذير الرفض حيث تصل العقوبة إلى السجن لمدة عشرة أعوام وحاول اغراءه ثانية بأنه لن يُرسل إلى فيتنام بل سيُكلف بتدريب أفراد القوات المسلحة. ولكنه رفض تغيير موقفه مؤكداً أنه مدرك تماماً لجميع الذيول المترتبة على رفضه الانخراط في سلك الجندية.

وقد انهالت الاتهامات على رأس محمد علي من جميع الجهات من سياسيين وصحفيين وكتاب ونقاد وملاكمين. وتراوحت الاتهامات بين «جبان» و «خائن» و «شرير» و «دجال» وصدر أمر قضائي بمنعه من الملاكمة بعد أن سحبت منه رخصة ممارسة الملاكمة. ودخل محمد علي فترة معاناة قاسية طالت مدة ثلاثة أعوام قاسى منها الكثير. فقد انقطع مورد رزقه الأساسي وهجره الكثير من اصدقائه ومع ذلك بقي صامداً فيما يعتقد انه حق. وقد بلغ من مضايقة السلطات له انه أعتقل وادخل السجن لمدة ١٥ يوماً لأن السلطات اكتشفت انه قد نسي ان يدفع غرامة سير عندما كان يقود سيارته. وحيث ان القانون يجيز للقاضي حبس المتهم أو الافراج عنه بكفالة فقد اختار القاضي الجزاء الأشد وبالفعل دخل محمد علي السجن في ميامي، فلوريدا لمدة اسبوعين.

بعد أن صدر حكم قضائي بحبسه مدة عشرة أعوام لتهربه من الجندية استأنف محمد علي الحكم أمام المحكمة العليا الفيدرالية. وقد



محمد علي في محنته سنة (١٩٦٧)

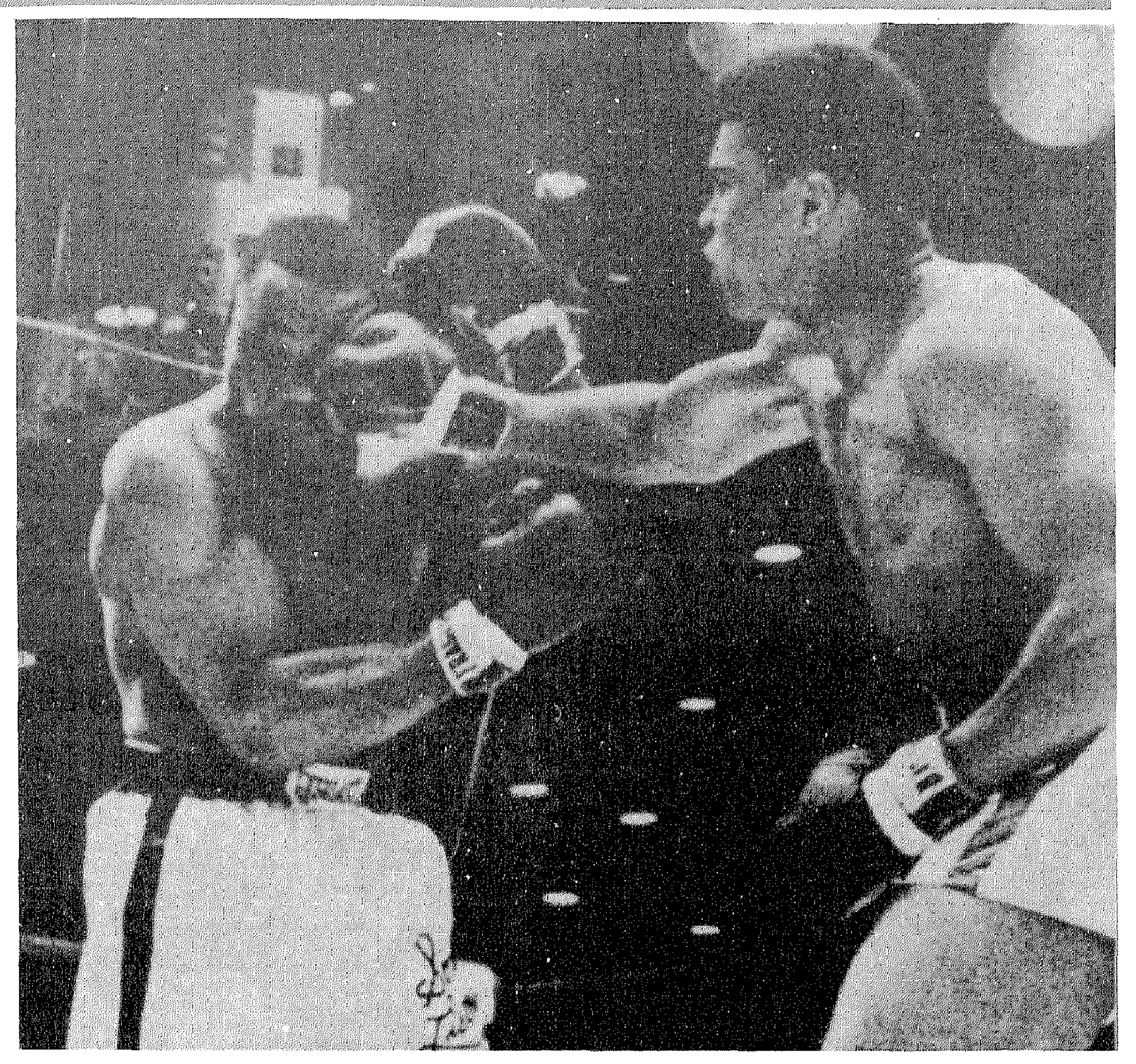
كلفه ذلك الكثير من المال بالاضافة إلى اعبائه العائلية والحزبية. وقد حاول مراراً الحصول على اذن للعودة إلى الملاكمة على أساس انه بريء حتى تثبت ادانته. غير ان محاولاته ذهبت ادراج الرياح وبلغت من محاربة السلطات ووسائل الاعلام له انه تبرع مرة لكي يلعب ضد ملاكم آخر مباراة استعراضية دون مقابل في أحد تجمعات الهنود الحمر السكنية في ولاية داكوتا ولكن طلبه رفض بفظاظة عجيبة. وهكذا حال امريكا مع ابنائها فإنها تغدق بلا حساب الشهرة والمجدوالأضواءعلى الشخص الذي تحبه وتُعرض بقسوة عن الشخص الذي تبغضه.

خلال هذه الفترة وبعد أن شغر مكان محمد علي قام الاتحاد العالمي للملاكمة باجراء سلسلة من مباريات التصفية انتهت إلى لقاء حاسم بين البطل الصاعد «جوفريزر» و«جيم اليس». والأخير صديق حميم لمحمد علي ورفيق الطفولة وقد تمرّن معه مرات عديدة كما انه كان مصنفاً بين الثلاثة ملاكمين الأول. وقد انتهت هذه المباراة التي جرت في منتصف شهر شباط من عام ١٩٧٠ إلى فوز «فريزر» بالضربة القاضية الفنية في الجولة الرابعة، واحتل بذلك مكان محمد علي كبطل العالم للوزن الثقيل.

بعد انتخاب الرئيس «نيكسون» في عام ١٩٦٨ بدأ الشعور في أمريكا تجاه الحرب الفيتنامية يتغير وأصبح الرأي العام يشير إليها على أنها حرب قذرة ليس لامريكا مصلحة فعلية من ورائها. وقد بدأ بعض الشباب يتفهم موقف محمد علي من هذه الحرب وشعر الكثير بأن الرجل قد حورب في رزقه أكثر مما يجب لذلك ظهرت مقالات عديدة تطالب باعطائه فرصة للعودة إلى الحلقة حتى تصدر المحكمة العليا قرارها النهائي حتى استطاع أخيراً الحصول على اذن من حاكم ولاية جورجيا لكي يخوض مباراة ضد البطل الأبيض «جيري كوّري» بعد احتجاجات وتهديدات عديدة من جمعية المحاربين القدماء وصلت إلى حد اطلاق الرصاص على المعسكر الذي كان يتدرب فيه محمد علي.

وفي تشرين الأول من عام ١٩٧٠ تم اللقاء المنتظر. وكان عرساً للملاكمة فقد تقاطر إلى مدينة «اتلانتا» عشرات الالوف من رجال الأعمال وأصحاب المهن وأفراد الشعب العامل وامتلأت صالات العرض المغلقة في مختلف انحاء الولايات المتحدة. وقد قدم محمد علي لمحات رائعة في فن الملاكمة اثارت حماس الجماهير واستطاع الفوز على «كوّري» بالضربة القاضية الفنية في الجولة الثالثة عندما فتح فوق عين الأخير جرحاً عميقاً. بعد هذا الفوز لعب ضد البطل الارجنتيني «اوسكار بونافينا» وفاز عليه بالضربة القاضية في الجولة الرابعة عشرة. وبعد هذا الفوز أصبح اللقاء بين محمد علي وبين جو فريزر حتمياً. وبعد مفاوضات تم الاتفاق على اللقاء في ٨ أذار من عام ١٩٧١ على حلبة «ماديسون سكوير غاردن» في نيويورك.

في هذه المباراة التاريخية ربح محمد علي الجولات الخمس الأولى وربح فريزر من الجولة السادسة حتى الحادية عشرة ثم عاد محمد علي وفاز في الجولة الثالثة عشرة في حين كانت الجولة الثانية عشرة والرابعة عشرة أقرب للتعادل. وفي الجولة الأخيرة استطاع فريزر بلكمة «هوك» يسارية اسقاط محمد علي على ظهره ولكنه استطاع القيام عند العدّ الثالث واكمل الجولة الخامسة عشرة وهو واقف على قدميه. وفي نهاية المباراة أعلن الحكام فوز فريزر بالنقاط باجماع



لكمة (هوك) يسددها محمد على عين ليستون في مباراة اللقب.

الآراء. ورغم فوز فريزر فقد بدا بعد المباراة متورم الوجه وبحالة اعياء شديد واعترف بقوة وفن محمد علي.

بعد خسارته أمام فريزر خاض محمد علي تسع مباريات خلال النصف الثاني من عام ١٩٧١ وعام ١٩٧٢ فاز بها جميعاً وكانت نتائجها كالتالي:

جيمي اليس - امريكي - فاز عليه بضربة قاضية فنية في الجولة ١٢.

تاسترمايثاس - امريكي - فاز عليه بالنقاط في الجولة ١٠.

بلين - الماني - ضربة قاضية في السابعة.

ماك فوستر - امريكي - بالنقاط في ١٥.

شوفالو - كندي - بالنقاط في ١٢.

كوري - امريكي - ضربة قاضية في السابعة.

آل لويس - امريكي - ضربة قاضية في ١١.

فلويد باترسون - امريكي - ضربة قاضية في ٧.

بوب فوستر - أمريكي - ضربة قاضية في ٨.

وفي عام ١٩٧٣ فاز محمد علي على البريطاني «جو بوغنر» وخسر أمام «كين نورتون» بعد أن كسر هذا الملاكم فك محمد علي في الجولة الأولى ولكنه استمر يلاكم بشجاعة هائلة حتى خسر بالنقاط. غير ان محمد علي عاد وربح على نورتون بالنقاط بعد ذلك بستة أشهر.

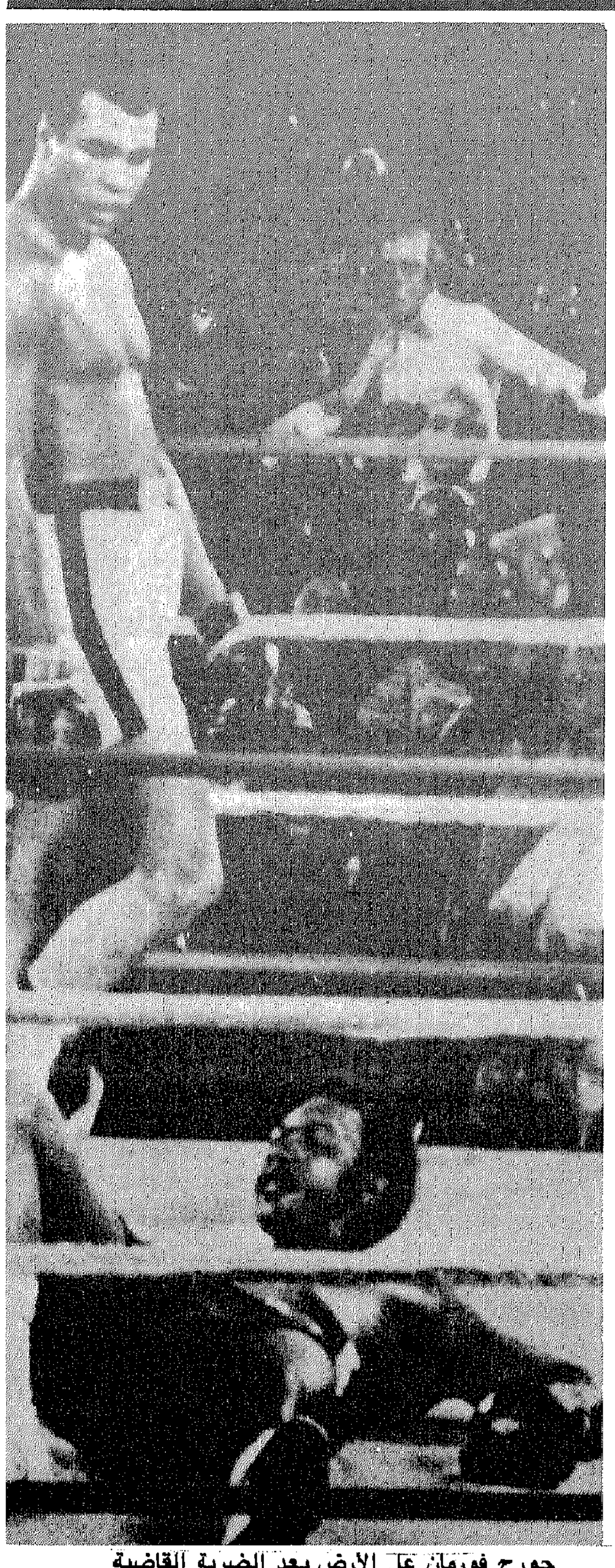
وبينما كان محمد علي يخوض هذه المباريات الطويلة المرهقة لمنازلة فريزر مرة أخرى خسر هذا الأخير لقبه أمام «جورج فورمان» في مباراة جرت في جزيرة «جامايكا» من مطلع العام ١٩٧٣. والواقع انها لم تكن مباراة بقدر ما كانت مجزرة خسر فيها فريزر لقبه وسمعته كملاكم كبير. فقد أوقعه فورمان ست مرات،ثلاث مرات في الجولة الأولى وثلاث مرات في الجولة الثانية. واضطر الحكم للتدخل وانهاء هذه المأساة بعد ان سالت الدماء من فم وعين فريزر.

عاد محمد علي لمنازلة فريزر مرة ثانية لتسديد الحساب القديم واستطاع ان يهزمه بالنقاط في ٢٨ يناير ١٩٧٤ بعد ١٢ جولة في مباراة كانت من طرف واحد وبذلك تهيأ اللقاء التاريخي بين علي وفورمان العملاق.

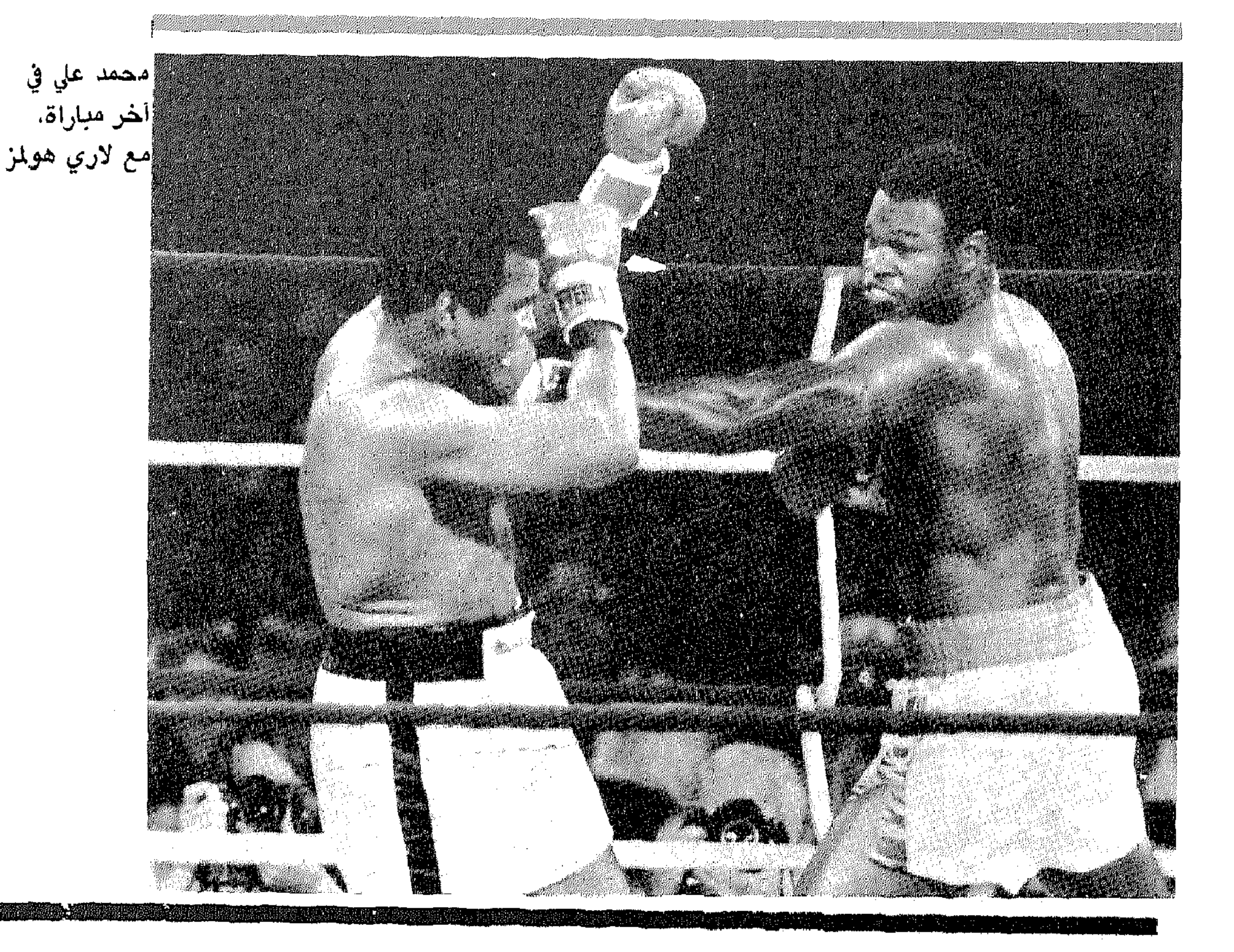
مباراة علي - فورمان:

تم الاتفاق على ان تجري المباراة في ٣٠ تشرين الأول من عام ١٩٧٤ في زائير. وكان فورمان في أوج سطوته. فبعد ان حطم فريزر سحق «كين نورتون» بضربة قاضية في الجولة الثانية. وكان رأي معظم النقاد وكبار الملاكمين وفي طليعتهم الملاكم العظيم «جو لويس» ان حظ محمد علي ضئيل في الفوز وانه يتوجب عليه عدم اللجوء إلى الحبال لأن في ذلك نهايته. كما يتوجب عليه عدم الالتحام جسدياً مع فورمان أثناء اللعب وإلّا فإن فورمان سيكسر له ظهره. وكانت الترجيحات ٣ - ١ لصالح فورمان قبل المباراة. وشاهد هذه المباراة مليار شخص بواسطة الأقمار الصناعية.

وقد استعد محمد علي لهذه المباراة استعداداً كبيراً فأقام معسكراً في جبال بنسلفانيا



جورج فورمان على الأرض بعد الضربة القاضية في الجولة الثامنة.



محمد علي في
آخر مباراة،
مع لاري هولمز

واستدعى الملاكم «لاري هولمز» الذي كان مصنفاً عاشراً ثم أصبح بطلاً للعالم حالياً للتمرين معه نظراً لتشابه بنيته مع فورمان. والغريب في الأمر ان الخطة التي رسمها «محمد علي» و «داندي» لمواجهة فورمان كانت عكس ما حذر منه جو لويس. فقد لجأ علي إلى الحبال معظم الوقت وترك لفورمان تسديد لكمات عديدة ولكن بعد أن غطى وجهه وجسده بقبضتيه، كما انه كان يلتحم بفورمان مرات عديدة لكي يوقف اندفاعه. ولا شك انها كانت مغامرة كبيرة من جانب محمد علي إذا كان يكفي فورمان ان يصيب محمد علي بلكمة ساحقة حتى يقضي عليه. غير ان محمد علي اثبت انه قادر على تحمل اللكمات القوية إلى جانب السرعة في التفكير والحركة وانهاك الخصم نفسياً عن طريق التحدث إليه أثناء المباراة.

في الجولة الأولى بادر محمد علي إلى اصابة فورمان بضربة يمينية اتبعها بيسارية في وجهه. وقد اندفع فورمان كالثور الهائج وهو يحاول قطع الطريق على محمد علي. وهنا القى محمد علي بظهره على الحبال وترك فورمان يسدد ما شاء من الضربات ولكن على ذراعي محمد علي. في الجولة الثانية تابع محمد علي خطته غير انه في نهاية الجولة سدد فورمان لكمة يسارية هائلة اصابت القسم الأعلى من رأس محمد علي الذي شعر كما قال بتيار كهربائي يصعقه من رأسه حتى قدميه. في الجولة الثالثة بدأ محمد علي يخرج إلى منتصف الحلقة حيث كان يسدد ضربات مستقيمة عديدة إلى وجه فورمان واستمر الحال في الجولة الرابعة أيضاً على نفس المنوال. في الجولة الخامسة بدأ التعب يتسرب إلى جسم ونفسية فورمان خصوصاً انه بعد ان حشر محمد علي مدة دقيقتين على الحبال، قام الأخير بعدها بدفع فورمان إلى منتصف الحلقة حيث سدد إليه مجموعة من الضربات المستقيمة والهوك والقاطعة بلغت حوالي ١٢ ضربة دون ان يتمكن فورمان من الرد عليها.

وابتداء من الجولة السادسة سيطر محمد علي على المباراة فنياً وتكتيكياً واصبحت النهاية

قريبة حتى جاءت الجولة الثامنة حيث وجه إليه ثلاث لكمات يسارية «هوك» اتبعها بضربة يمينية لولبية اوقعت فورمان على الأرض حيث بقي حتى العد العاشر. وبذلك استعاد محمد علي لقبه واصبح ثاني ملاكم في التاريخ بعد فلويد باترسون يستعيد لقبه. والواقع ان مقارنة باترسون بمحمد علي فيها اجحاف كبير بحق محمد علي. فالأول فاز بلقب بطولة العالم بعد تصفية شكلية لم يشترك فيها ملاكمون لهم مستوى في حين أن محمد علي انتزعه من سوني ليستون وهو ملاكم قوي وشرس. أضف إلى ذلك ان «باترسون» عندما استعاد لقبه كان ذلك من نفس الملاكم الذي ربح منه وبعد عام واحد لم يلعب خلالها باترسون أي مباراة في حين ان محمد علي قضى عشر سنوات تماماً وهو يلاكم أعظم المتحدين ويحارب السلطات التي جردته من لقبه بقرار إداري ولم يخسر بالتالي لقبه على الحلقة.

وعندما عاد إلى منزله في شيكاغو حيث يقطن حالياً كان عمدة المدينة في استقباله على



جمال عبدالناصر يستقبل محمد علي عام ١٩٦٦.

أرض المطار وجرى له استقبال رسمي. وقد قام هذا الملاكم العملاق بجولة واسعة قابل فيها رؤساء دول آسيوية وأفريقية وعربية عديدة بالاضافة إلى مقابلته الفريدة مع الرئيس «بريجنيف» وهو رئيس الدولة التي لا تعترف أصلاً بالاحتراف في الرياضة. لقد أصبح محمد علي رمزاً وقدوة لكثير من الشباب والرياضيين في العالم.

في عام ١٩٧٥ لعب مباريات خفيفة مع «ويبنر» و «بوغنر» و «رون ليل» استعداداً لمباراته الكبيرة الثالثة مع «فريزر» في الفيلبين التي شاهدها رئيس الجمهورية شخصياً. وقد فاز فيها «محمد علي» بالضربة القاضية الفنية في الجولة الرابعة عشرة بعد ان اغلق عين فريزر اليسرى تماماً. ولكن فريزر قدم مباراة رائعة وكاد ان يحقق مفاجأة في الجولة الحادية عشرة غير ان محمد علي تماسك وسيطر على المباراة تماماً بعد ذلك. وفي نهاية المباراة قال علي «لقد حملني جو فريزر إلى أبواب جهنم»! ويصف المراقبون هذه المباراة بأنها «سوبر».

في عام ١٩٧٦ لعب مباراة ضد «نورتون» فاز فيها بالنقاط بصعوبة شديدة. فقد بدأ السن يؤثر على سرعته وسرعة تفكيره، وفي عام ١٩٧٨ خسر أمام «ليو سبينكس» في لاس فيغاس بالنقاط رغم انه كان مرشحاً للفوز بنسبة ١٤ - ١! وفي نهاية عام ١٩٧٨ فاز محمد علي للمرة الثالثة بلقب بطولة العالم من سبينكس وكان بذلك أول ملاكم في تاريخ الملاكمة للوزن الثقيل يستعيد فيها بطل لقبه مرتين حيث فاز بالنقاط بعد مباراة مؤلفة من ١٥ جولة. والعجيب ان محمد علي ربح جميع الجولات دون استثناء ولقن سبينكس درساً بليغاً في الملاكمة.

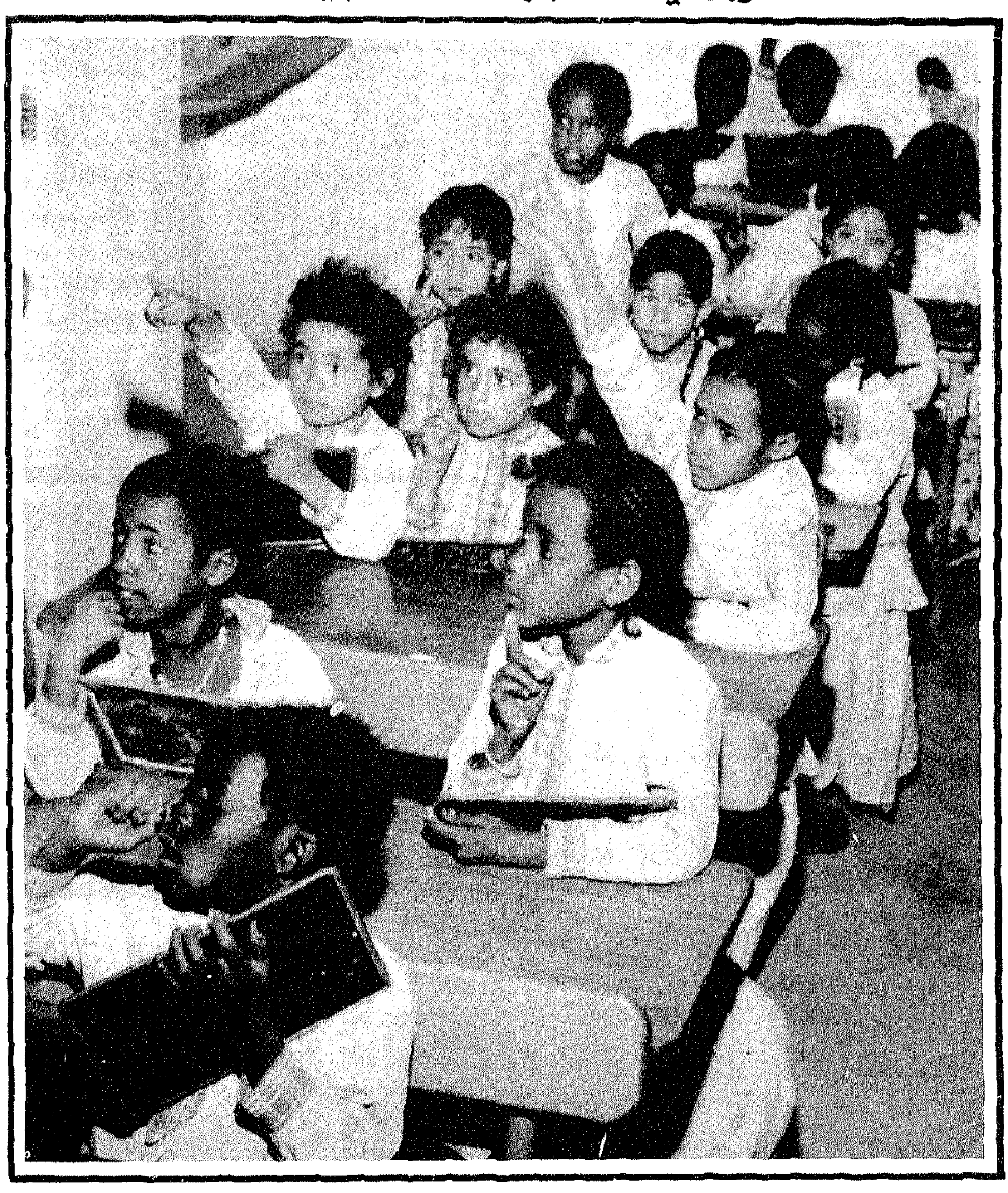
بعد هذه المباراة توقف محمد علي عن الملاكمة حيث اعلن اعتزاله إلى ان عاد وقابل «لاري هولمز» في ٢ تشرين الأول ١٩٨٠ حيث خسر بالضربة القاضية الفنية وبدا فيها مرهقاً وغير قادر على الحركة. وبذلك يمكن القول بأن عصر محمد علي في الملاكمة قد انتهى بعد ان ترك ذكريات وعبراً لا تنسى وبعد ان اثبت ان الملاكمة فن وذكاء وتخطيط ومثابرة وصمود ومواقف إنسانية وطرافة جعلته معبود الملايين من عشاق الرياضة في العالم. ورغم أن دخله الإجمالي من المباريات حسب الإحصاءات الرسمية فاق ٥٠ مليون دولار فإنه بعد أن سدد الضرائب المستحقة عليه تبرع بجزء كبير منها لبناء المدارس والمستوصفات والأعمال الخيرية الأخرى مثبتاً بذلك ان محمد علي الانسان لا يقل نبلاً وتفوقاً عن محمد علي الملاكم. ■

انتشار اللغة العربية في افريقيا السوداء

الحلقة الثانية

عمار هلال

حالة اللغة العربية في غرب افريقيا بين ١٩٠٧ - ١٩٠٩



تعرفنا، في الحلقة الأولى، على تاريخ انتشار اللغة العربية في افريقيا، ودور الاستعمار في تقليص ذلك، وفي هذه الحلقة الثانية والأخيرة نستعرض، دراسة واحصاء، وضع اللغة العربية وعدد طلابها ومدارسها في بعض بلاد افريقيا الغربية، في مطلع هذا القرن.



لقد أعطينا سابقاً صورة وجيزة للغة العربية في السنغال وأشرنا إلى أن عدد تلاميذ اللغة العربية يفوق بكثير عدد تلاميذ المدارس الحكومية الفرنسية وذلك حتى سنة ١٩١٢ للميلاد. وسنحاول فيما يلي إعطاء صورة مبسطة عن حالة العربية في الأقطار الأخرى لغرب إفريقيا السوداء، وهي نيجيريا وغينيا. وساحل العاج والداهومي وموريتانيا.

علما أن الوثائق الرسمية للإدارة الفرنسية والتي تتعلق بموضوع اللغة العربية في المناطق المذكورة قليلة جداً. بل تكاد تكون منعدمة تماماً. ومهما يكن من أمر فكل شيء يدل (الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية) على أن الأقطار المذكورة، قد شاهدت نشاطاً تعليمياً عربياً هاماً خاصة بين سنتي ١٩٠٧ - ١٩٠٩، وذلك على غرار مناطق السنغال التي سبق وذكرناها

نيجيريا:

أما عن حالة اللغة العربية في نيجيريا خلال الفترة المحددة سابقاً، فإن هذا البلد الأخير قد شاهد تطوراً ملحوظاً من حيث عدد المدارس العربية وتلاميذها فيما بين سنتي ١٩٠٧ - ١٩٠٩، بحيث قدر عدد تلاميذ المدارس العربية خلال السنة الأولى بـ ١٠.١٧٦ تلميذاً، ليقفز خلال السنة الثانية إلى ١٤.٤٢٥ تلميذ (١)، أي بزيادة حوالي ٤٠٪ في عدد تلاميذ اللغة العربية خلال سنتين دراسيتين فقط.

وإذا أخذنا بعين الإعتبار الوضعية السياسية للبلاد والإجتماعية والثقافية، فهذه الزيادة (٤٠٪) خلال سنتين فقط تعتبر هائلة، وخطوة عملاقة خطتها اللغة العربية في نيجيريا.

الداهومي:

تقدر الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية عدد المدارس العربية في نهاية سنة ١٩٠٩ في الداهومي بـ ١٣٤ مدرسةً. ويشرف على تدريس اللغة العربية في المدارس المذكورة حوالي ١٥٥ معلما. أما عن عدد تلاميذ المدارس المذكورة فقد قدرته الإدارة الفرنسية بـ ١.٠٥٨ تلميذاً خلال نفس السنة السابقة الذكر (٢)

ومما يلاحظ من خلال دراسة الوثائق الرسمية للإدارة الفرنسية المتعلقة بإحصائيات التعليم العربي في غرب إفريقيا، هو التضارب الصارخ فيما بينها، ذلك لأن مفتشي التعليم يعطون أرقاماً معينة لا تتطابق في أغلبها زيادة أو نقصانا كبيرين مع الأرقام التي تعطيها الإدارة الفرنسية المعنية بالأمر، وذلك طبعاً بعد إطلاعها على تقارير مفتشي التعليم المكلفين بإحصاء كل أنواع التعليم في كل آخر سنة دراسية. ولكن هذا لا يمنعنا من إستخلاص بعض الحقائق التاريخية التي تتعلق بموضوعنا هذا.

وعموما يتوزع عدد تلاميذ اللغة العربية الداهوميين عبر أربع مناطق هامة وهي (٣):

١ - بورتوفو: ويقدر عدد مدارسها بـ ٢٠ مدرسة، يلتحق بها حوالي ٢٠٠ تلميذاً.

٢ - زانبا ندو: وتقدر عدد مدارسها بحوالي ٤ مدارس يتعلم فيها حوالي ٣٥ تلميذاً.

٣ - بورفو: ويقدر عدد المدارس العربية في هذه الناحية بحوالي ٣٣ مدرسةً يتعلم فيها حوالي ٥٤١ تلميذاً.

٤ - داجوفو: وتقدر الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية عدد المدارس العربية في هذه الناحية بحوالي ٢٥ مدرسة تعلّم ما يقرب من ٣٥٠ تلميذاً.

وعموماً فمجموع تلاميذ اللغة العربية في الداهومي لم يسجل أي ارتفاع بين سنتي ١٩٠٧ - ١٩٠٩، بل بالعكس فلقد يلاحظ إنخفاض نسبي في عدد التلاميذ خلال السنة الأخيرة (٤). ولسنا نعلم إذا كان هذا الانخفاض حقيقي أم لا، ذلك لأن الإدارة الفرنسية كثيراً ما تعمد إلى تنقيص عدد تلاميذ اللغة العربية عمداً قصد التنقيص من إنتشار اللغة العربية في غرب إفريقيا، وبالتالي قصد الإستنقاص من أهميتها.

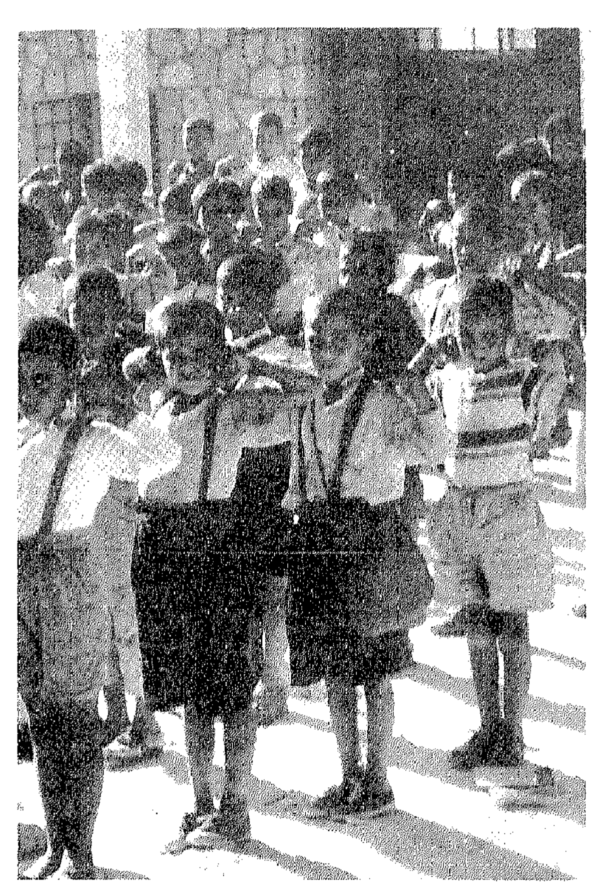
والمعلوم تاريخيا أن الإستعمار الفرنسي يفزع أمام أمرين أثنين من بين كل العوامل الحضارية الإسلامية، وهما الإسلام واللغة العربية ويعتبرهما على أشد الخطورة بالنسبة لوجوده في كامل مستعمراته الإسلامية السابقة، لذا فغالباً ما تعمد الإدارة الفرنسية إلى طرق لا تمت بأي صلة إلى المنهاج العلمي الإحصائي. فمثلاً بالنسبة لإحصاء المسلمين الأفارقة إستعملت الإدارة الفرنسية طريقة أقل ما نقول عنها، أنها فولكلورية وبعيدة كل البعد عن المنطق ومفاد هذه الطريقة هو أن الإدارة الفرنسية اعتبرت كل قرية يوجد بها مسجد أهلها كلهم مسلمين والعكس ففي القرى التي لا توجد بها مساجد فسكانها كلهم في نظرها وثنيون.

وتتضح من هذه الطريقة الإحصائية الفوضوية الأهداف المفرضة للإستعمار الفرنسي التي يرمي إليها للاستنقاص من شأن الإسلام بتقليص عدد اتباعه في غرب إفريقيا السوداء.

غينيا:

قدرت الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية عدد تلاميذ اللغة العربية في غينيا سنة ١٩٠٧ بما يقرب من ٢٨.٠٢٣ تلميذاً.

ويبدو من خلال الاحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية أن نسبة عدد تلاميذ اللغة العربية مرتفعة نسبيا في غينيا إذا قارنّاها بالمناطق الأخرى في إفريقيا الغربية وقد يرجع ذلك إلى الرغبة التي تحرك الغينيين لتعلّم اللغة العربية.

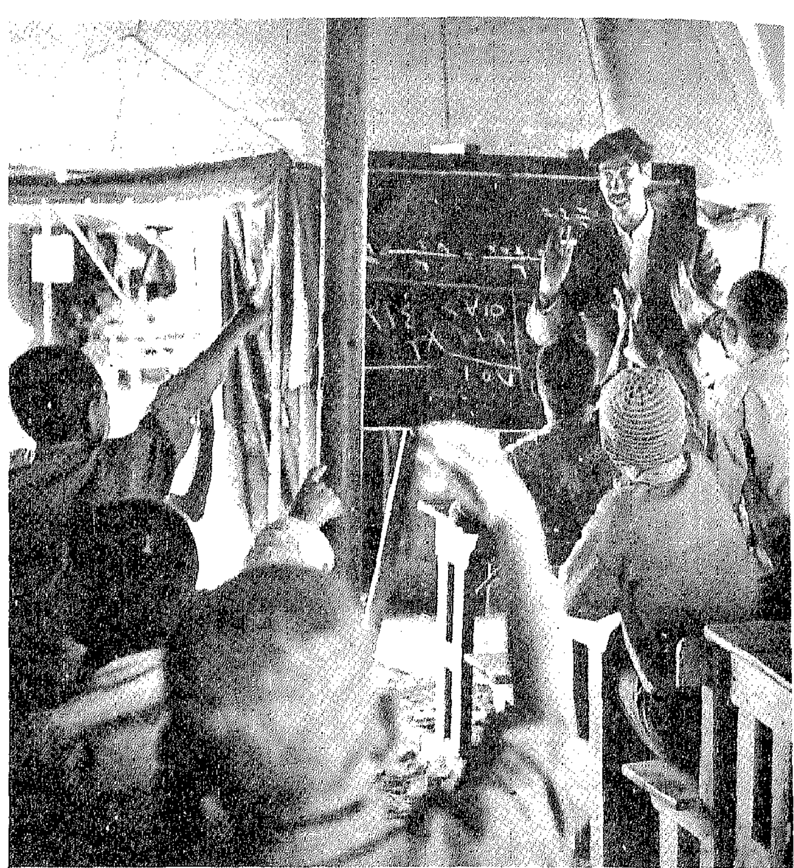


وتنفرد غينيا بوضعية ثقافية عربية خاصة بها، بل لا مثيل لها في بقية الأقطار الافريقية الأخرى، ذلك أن الاستعمار الفرنسي، ما فتىء منذ احتلالها، يعمل من أجل القضاء على اللغة العربية في البلاد وإحلال الفرنسية محلها وطمس معالم الحضارة العربية في هذا البلد، وذلك كله بقصد القضاء نهائياً على الشخصية الوطنية الغينية وادماجها في بوتقة الحضارة الفرنسية. ولكن تمسك الغينيين على كل المستويات بالعربية لغةً والإسلام ديناً حال دون تحقيق الأهداف الاستعمارية الفرنسية. وكما أشرنا سابقاً فغينيا تأتي في مقدمة الأقطار الافريقية من حيث نشر اللغة العربية والحرص على نقلها إلى الأجيال الصاعدة(٥).

ساحل العاج:

أما في ساحل العاج فقد قدرت الاحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية عدد تلاميذ اللغة العربية في نهاية سنة ١٩٠٧ للميلاد بـ ١.٥٤٤ تلميذاً.





ويلاحظ من خلال الوثائق الرسمية للإدارة الفرنسية بأن عدد تلاميذ اللغة العربية قد إزداد باضطراد سنة بعد أخرى. ففي سنة ١٩٠٨ وصل عدد تلاميذ اللغة العربية إلى ما يناهز الفين (٢.٠٠٠) تلميذ، ليقفز هذا العدد خلال السنة الموالية إلى ٢٠٣٩٧ تلميذاً. وحتى هذا التاريخ يبدو أن أهل البلاد قد قاوموا الثقافة الفرنسية مقاومة شديدة، وامتنعوا عن إرسال ابنائهم إلى المدارس الفرنسية واعتبروا اللغة الفرنسية عنصراً حضاريا دخيلاً عليهم ولا يمت إليهم بأية صلة (٦).

والملاحظ هو أن التعليم العربي حتى نهاية السنة المذكورة يكاد يقتصر على الذكور وحدهم، بحيث لم تسجل الإحصائيات الفرنسية خلال سنتي ١٩٠٧ – ١٩٠٨ ولا بنتا واحدة تلتحق بالمدارس العربية. وتشير هذه الاحصائيات الأخيرة إلى عدد ضئيل من البنات كنّ قد التحقن بالمدارس العربية في غينيا خلال سنة ١٩٠٩ للميلاد، وهم بالتحديد ١٣ فتاة فقط (٧). وقد يرجع ذلك إلى أن الغينيين حتى هذا التاريخ لا يعطون أية أهمية إلى تعليم البنات، بل نبذوا فكرة «تعليم الفتاة» من أساسها، وذلك حتى نهاية الحرب الكونية الأولى.

موريتانيا

لم تشاهد موريتانيا حركة تعليمية عربيةً دائبةً مماثلةً لتلك الحركة التعليمية التي شاهدتها أقطار إفريقيا الغربية الأخرى مثل غينيا أو نيجيريا أو السنغال أو غيرها.

وعموماً تشير الوثائق الرسمية للإدارة الفرنسية إلى أن عدد تلاميذ اللغة العربية يكون قد وصل سنة ١٩٠٧ إلى ما يقرب من ٢٣٥ تلميذاً. علماً أن موريتانيا لا يتجاوز عدد سكانها خلال السنة المذكورة ٢٢٥.٠٠٠ ساكن.

أما عن تعليم البنات فهو منعدم تماماً في موريتانيا حتى هذا التاريخ المذكور. وأسباب ذلك قد تكون نفس الأسباب التي ذكرناها بالنسبة لغينيا. غير أنه يلاحظ بصفة خاصة إزدياد كبير في عدد تلاميذ اللغة العربية سنة ١٩٠٩، بحيث تشير المصادر إلى التحاق

ما يقرب من ١٠٢٩٧ تلميذاً موريتانيا بالمدارس العربية (٨).

خلاصة:

إحتلت اللغة العربية مكانة مرموقةً بين الجماهير الإفريقية في غرب القارة، وذلك منذ دخول الإسلام إلى ربوع تلك المناطق. وتماشى إنتشار اللغة العربية مع إنتشار الإسلام وتوطدت اركانها في الجزء الغربي لافريقيا السوداء بقدم الاسلام وسادت المنطقة وأضحت لغة العام والخاص على الأقل منذ القرن الثالث عشر الميلادي.

وقد أبدى الأفارقة عامة إستعداداً كبيراً وميلاً شديداً في تعلّم هذه اللغة باعتبارها لغة الدين الذي يدينون به وعنصراً هاماً من عناصر الحضارة العربية التي ينتمون إليها. وليس هناك ما ادلّ على ذلك، من التنافس الكبير الذي ساد الأوساط المثقفة الافريقية في التمكين لها، والإنتاج الأدبي والثقافي الذي قاموا به بالعربية خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

وعموماً فلقد كان إنتشار اللغة العربية كبيرا في غرب إفريقيا قبل العهد الإستعماري الفرنسي وحتى إبان الاحتلال الفرنسي لهذا الجزء من القارة الافريقية سادت اللغة العربية بين الجماهير الشعبية ونافست اللغة الفرنسية لمدة قرن من الزمن (١٨١٦ - ١٩١٨)، بل تفوقت عليها بعدد تلاميذها ومدارسها رغم كل ما بذلته الادارة الفرنسية من مساعي لتدعيم لغتها ونشرها بين الأوساط الافريقية، وذلك على حساب العربية خاصة والثقافة العربية عامة.

وإذا كان هذا هو وضع اللغة العربية في غرب إفريقيا فعلى أولي الأمر من المسلمين والعرب أن يتفطنوا إلى هذا الخطر المتربص بثقافتنا عامة وبلغتنا خاصةً في إفريقيا السوداء بالنظر إلى معالجة هذه المشكلة التي تعتبر من أعوص المشاكل بالنسبة للوجود الحضاري العربي في القارة.

ولحسن حظ العربية يبدو أن الوقت لم يفت لتدارك ما فاتنا من فرص لتدعيم العربية ونشرها في المستقبل في ربوع القارة السوداء، ذلك لأن الأفارقة عامة يبدون تمسكاً ورغبةً شديدين في تعلّم العربية ليس ذلك فحسب من الجانب الديني ولكن كذلك للدخول في عالم حضاري وثقافي راقٍ.

إذن على الأسرة الكبيرة العربية أن تلبي هذه الرغبة الشديدة لاخواننا الافارقة، بإعطاء العربية اهتماماً خاصاً وتوفير الإمكانيات المادية والأدبية وغيرها لتعليم هذه اللغة ونشرها بين الجماعات الافريقية. ■

ملحقات المقال

تعليق على الملحقات:

إن هذه الملحقات الخمس التي نقدّمها اليوم للنشر مأخوذة ومترجمة حرفيا عن الوثائق الرسمية للإدارة الفرنسية من اللغة الفرنسية إلى العربية وقد حرصت حرصاً شديداً على نقلها كما هي أصلاً إلى العربية دون تغيير أو زيادة. ولو لا كبر حجم أصول هذه الوثائق لقدمتها هي نفسها للنشر.

ورغم أنني عثرت على هذه الوثائق سنة ١٩٧٦ إحتفظت بها لاعتقادي في أهميتها التاريخية ولم أنشرها في أية مجلة. ولما طلبت مني مجلة تاريخ العرب والعالم نشرها وافقت على ذلك إعتقاداً مني أن هذه الوثائق تتعلق بجزء هام من تاريخ العرب في إفريقيا السوداء ولا يجب أن تنشر إلا في مجلة كهذه تهتم بتاريخ العرب خاصة وبتاريخ العالم عامةً.

واعتقادي هو أن هذه الوثائق ستساعد كثيراً المهتمين بتاريخ إفريقيا السوداء ولعلهم وجدوا فيها من الأفكار ما لم أجده أنا. »

وزارة التعليم العمومي
و الفنون الجميلة
مديرية التعليم الابتدائي
المكتب الثالث

ملحق رقم : 03

وضعية التعليم الابتدائي في المستعمرة الفرنسية بالداهومي في نهاية السنة الدراسية 1907/1906 (1)

اسم البلديات او المواقع التي تقع بها المدارس	المدارس الحكومية								المدارس الحرة								المجموع								
	عدد المدارس			عدد الاساتذة			عدد التلاميذ		عدد المدارس			عدد الاساتذة			عدد التلاميذ		عدد المدارس				عدد الاساتذة			عدد التلاميذ	
	بنين	بنات	مختلطة	معلمون	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	معلمون	معلمات	المجموع	بنين	بنات	بنين	بنات	مختلطة	المجموع	معلمون	معلمات	المجموع	بنين	بنات
بورتونوفو بنات	2	1	-	9	2	11	225	105	1	1	10	21	6	27	850	325	3	2	10	15	30	8	38	1075	430
دوقيه											1	1		1	40	6			1	1	1		1	40	6
اكباه											1	1		1	50	11			1	1	1		1	50	11
ادجاره											1	1		1	20	12			1	1	1		1	20	12
ادجوهان											1	1		1	30	10			1	1	1		1	30	10
كوتونو/بنات									1		1	5		5	160	21	1		1	2	5		5	160	21
...اح / بنات				4		4	192		7	1	9	9	5	14	334	190	8			9	19	5	18	525	49
ترانديوبو/بنات	1			41		1	100		2			4		4	166		3			3	5		5	266	
اميسو									1			2		2	74		1			1	2		2	74	
اقويسي									2	1		3	3	6	150	50	2	1		3	3	3	6	150	50
لوكوس			1	2		2	80	7	2			1		1	30		1			1	1		1	30	
اكومي / بنات			1	2		2	80	7	2			4		4	39		2		1	3	6		6	119	7
ينقل	4	1	1	16	2	18	597	112	17	3	15	54	14	65	1943	614	21	4	16	41	71	16	87	1639	595

(1) ARCHIVES : S.O.M. Paris – Dossier SENEGAL N°10

ملحق رقم 03 مكرر

الداهومي (تابع)

اسم البلديات او المواقع التي تقع بها المدارس	المدارس الحكومية: عدد المدارس			عدد الاساتذة			عدد التلاميذ		المدارس الحرة: عدد المدارس			عدد الاساتذة			عدد التلاميذ		المجموع: عدد المدارس				عدد الاساتذة			التلاميذ
	ذكور	اناث	مختلطة	معلمون	معلمات	المجموع	ذكور	اناث	ذكور	اناث	مختلطة	معلمون	معلمات	المجموع	ذكور	اناث	ذكور	اناث	مختلطة	المجموع	معلمون	معلمات	المجموع	ذكور
العدد المنقول	4	1	1	16	2	18	597	112	23	3	49	94	14	108	2379	712	27	4	50	81	110	16	261	2976
داجوتو وانقارة									16			23		23	107		16			16	23		23	107
نواندي									1			3		3	25		1			1	3		3	25
شوري									1			1		1	4		1			1	1		1	4
سبيري									1			1		1	24		1			1	1		1	24
اليدحو									1			1		1	7		1			1	1		1	5
المجموع									143	3	49	123	14	131	2546	712	174	4	50	101	139	16	155	3143

حقق في بورتونوفو يوم 2 جويلية 1908

الكاتب العام

امضاء :

نظر : الحاكم بي (PIY)

ملحق ص رقم 12

مستعمــــرة ملحق رقم : 04 احصـائيـــات التعليـــم العمـومـى السنة 1909

الــسيد اهوهــى التعليـم فى الكتاتيب القرآنيــة (1)

جـــدول رقم 2

الدائرة	مستعمرة أو بلــدة	حكومى (مستعمرة أو بلديات): عدد المدارس – ذكور	عدد المدارس – اناث	عدد المدارس – مختلط	عدد الاساتذة – رجال	عدد الاساتذة – نساء	عدد التلاميذ – ذكور	عدد التلاميذ – اناث	التعليم الحر: عدد المدارس – ذكور	عدد المدارس – اناث	عدد الاساتذة	عدد التلاميذ – ذكور	عدد التلاميذ – اناث	المجموع	المجموع العام – مدارس	المجموع العام – اساتذة	المجموع العام – تلاميذ
ويداح	"	"	"	"	"	"	"	"	2	"	2	15	"	15	2	2	15
كيتو	"	"	"	"	"	"	"	"	1	"	1	6	"	6	1	1	6
اقونى	"	"	"	"	"	"	"	"	1	"	2	14	"	14	1	2	14
براكو ونواحيها	"	"	"	"	"	"	"	"	15	"	23	191	38	229	20	23	229
نيكى ز	"	"	"	"	"	"	"	"	21	"	25	300	12	312	23	25	312
دجــوقو	"	"	"	"	"	"	"	"	6	"	8	86	"	86	6	8	86
ماتولـو	"	"	"	"	"	"	"	"	8	"	10	96	"	96	8	10	96
باراكى	"	"	"	"	"	"	"	"	9	"	9	98	"	98	9	9	98
كواندى	"	"	"	"	"	"	"	"	4	"	5	52	"	52	4	5	52
بورتونوفو	"	"	"	"	"	"	"	"	20	"	25	200	"	200	20	25	200
النيجر الا وسلا	"	"	"	"	"	"	"	"	40	"	45	450	"	450	40	45	450
المجموع	"	"	"	"	"	"	"	"	127	"	155	1508	50	1;558	134	155	1.558

(1) ARCHIVES : S.O.M. Paris - Dossier SENEGAL N°IO

مستعمرة السنغال

ملحق رقم : 05

جدول رقم 2

احصائيات التعليم العمومي (1)

تعليم اللغة العربية والقرآن للتلاميذ السنغاليين

السنة 1907

الدائرة	حكومي (مستعمرة او بلديات)						التعليم الحر											
	مستعمرة او بلدية	عدد المدارس			عدد الاساتذة		عدد التلاميذ		عدد المدارس		عدد الاساتذة	عدد التلاميذ		المجموع	م/ع		
		ذكور	اناث	مختلطة	رجال	نساء	ذكور	اناث	ذكور	اناث		ذكور	اناث		مدارس	ألس	ت
سان لويس	مستعمرة	5			2		75		46	.	46	1.36	1160	1486	51	48	1561
دكار	"	1			1		26		27		27	415	12	427	28	28	453
فوري	"	—	—	—	—	—	ـ		2		2	34	10	44	2	2	44
روفيسك	"	1			1		47		20		20	519	31	550	21	21	597
السنغال	"	3			3		162		34		34	405	4	409	37	37	571
المناطق المحمية	"	—	—	—	—	—	—	—	1 262		1262	8204	283	8 487	1262	2621	8487
المجموع		10			7		310		1391		1391		500	11 403	1401	8931	31711

(1) ARCHIVES : S.O.M. Paris -Dossier SENEGAL N°IO

جدول عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في أفريقيا الغربية[1]

المستعمرة	عدد التلاميذ			عدد البنات من بين المجموع		
السنة	١٩٠٧	١٩٠٨	١٩٠٩	١٩٠٧	١٩٠٨	١٩٠٩
السنغال	٩.٠٨٢	١٠.٧١٩	١٠.٩٣٣	٢١	٥٥٥	٣٥٤
نيجيريا	١٠.١٧٦	١٠.٦٢٢	١٤.٤٢٥	٥٥	٦١	٢٠٧
المناطق العسكرية	=	٣.٤١٣	=	=	=	=
غينيا	٢٨.٠٢٣	٢٣.٧٥٤	٢٣.٧٧٧	٧٩٩	٣١٢	٣١٢
ساحل العاج	١.٥٤٤	٢.٠٠٠	٢.٣٩٧	=	=	١٣
الداهومي	١.٧٠٥	١.٧٧٥	١,٥٥٨	١٥	٢٣	٥٠
موريتانيا	٢٣٥	٢٣٥	١.٢٩٧	=	=	=
المجموع العام	٥١.٢٧٥	٥٠.٥٣٦	٥٤.٣٨٦	٨٨٥	٩٥٠	٩٣٦

(1) D. BOUCHE: P.760 op., Cité.

الهوامش

(١) Denise Bonche: (Thése) L'Enseignement dans les Territoires FranÇais d l'A.O.F. — Paris — Lille- 1975 P.75.

(٢) Archives: S.O.R. — Paris — dossier Dohomey n° 10.

(٣) Archives: op., cité, même dossier.

(٤) أنظر جدول عدد تلاميذ المدارس العربية في غرب إفريقيا.

(٥) أنظر الجدول السابق الذكر، وقارن بين عدد تلاميذ اللغة العربية في أقطار إفريقيا الغربية.

(٦) D. Bonche: op., cité., P.754.

(٧) أنظر جدول عدد تلاميذ المدارس العربية في غرب إفريقيا، وقارن بين عدد الأطفال والبنات خلال السنوات المذكورة.

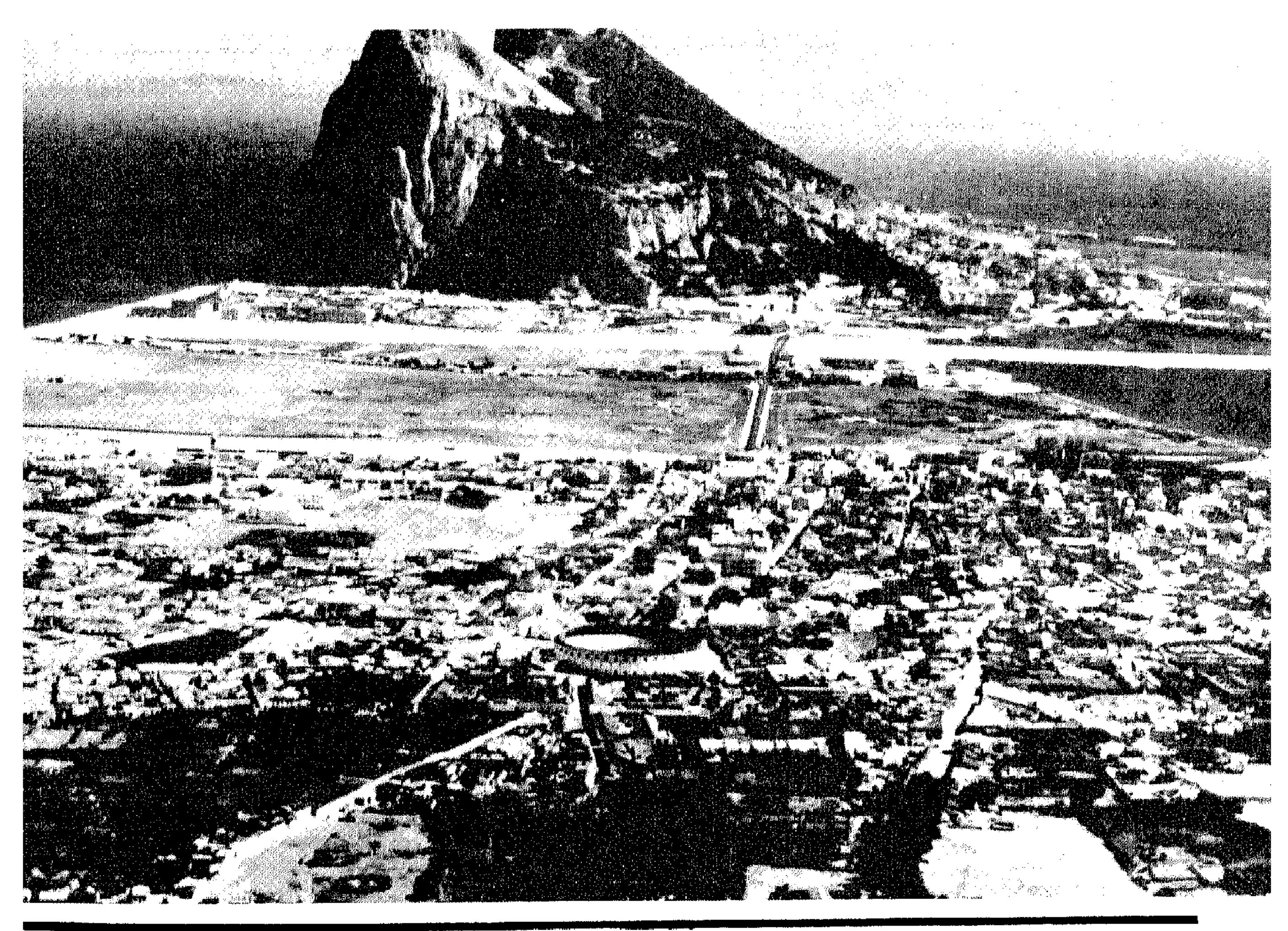
(٨) أنظر الجدول السابق نفسه.



من مغامرات التجسس في الحرب العالميّة الثانية

الطوربيدات البشرية في

إحتل جبل طارق - ولا يزال يحتل- مركزاً هاماً جعل الجواسيس يحتشدون في المرافىء المجاورة له، واختار الايطاليون في الحرب الأخيرة حوض «الجزيرة» فأقاموا فيها قاعدة عسكرية سرية تقع مقابل صخرة جبل طارق ولا تبعد عن القنصلية البريطانية أكثر من بضعة مئات من الأمتار. ومن هذه القاعدة انطلقت أسـل الغارات على البحرية الحليفة دون أن تخالج الريبة في مصدرها أحداً من الحلفاء أو الألمان أو الاسبان حتى أعلنت الهدنة الايطالية في عام ١٩٤٣ وانكشف أمر هذه القاعدة».



جبل طارق

حين دخلت إيطاليا الحرب في حزيران عام ١٩٤٠ كان هناك باخرة إيطالية تدعى «اولتيرا» لا تزال في حوض «الجزيرة» وخشي قبطانها أن يأسرها البريطانيون فعمد إلى حرقها وإغراقها في المياه الاسبانية حيث ظلت سنة ونصف السنة فحال لونها، وصدىء حديدها، وطغت المياه على أقسامها، وأصبحت نموذجاً للسفن المهجورة، ولم يبق على ظهرها إلا القبطان والميكانيكي الأول وحفنة من الملاحين ليؤكدوا ببقائهم أنهم يملكون السفينة بعد أن فقدوا كل أمل في إنقاذ السفينة والابحار بها من جديد.

أما في روما فقد أثارت «أولتيرا» اهتمام أركان حرب البحرية إذ كانت إيطاليا في حاجة شديدة للبواخر بعد أن دخلت الحرب بصورة مفاجئة حرمتها من ثلث بواخرها التجارية الذي ظل محبوساً في المرافىء المحايدة. ولم يكن هناك أي سبيل إلى استعادة «أولتيرا» فأضيفت إلى قائمة الخسائر.

وكانت إيطاليا تغير على جبل طارق معتمدة على الغواصة «سيره» التي تسللت عدة مرات إلى حوض «الجزيرة» لكن الصعوبات ازدادت في وجه هذه الغواصة يوماً بعد يوم لقرب «الجزيرة» من المرفأ وازدياد عدد زوارق المراقبة العدوة تدريجياً.

وحينئذ خطر لضابط إيطالي أن يستخدم «أولتيرا» كقاعدة لأسلحة الغارات، وبدت هذه الخطة في البدء مدهشة لولا ما يعترضها من الصعوبات الفائقة، فإلى جانب انتهاك حرمة الحياد الاسباني – وهو أمر قليل الأهمية في النزاع العالمي – فإنها خليقة أن تثير الشكوك سواء لدى الاسبان أم لدى الحلفاء إذ يقتضي تنفيذها أن ينقل الأفراد والعتاد عبر فرنسا وإسبانيا حتى الشاطىء بمنتهى الكتمان. وربما كان نجاح هذه الخطة راجعاً إلى جسارتها التي تبدو بعيدة عن التصديق.

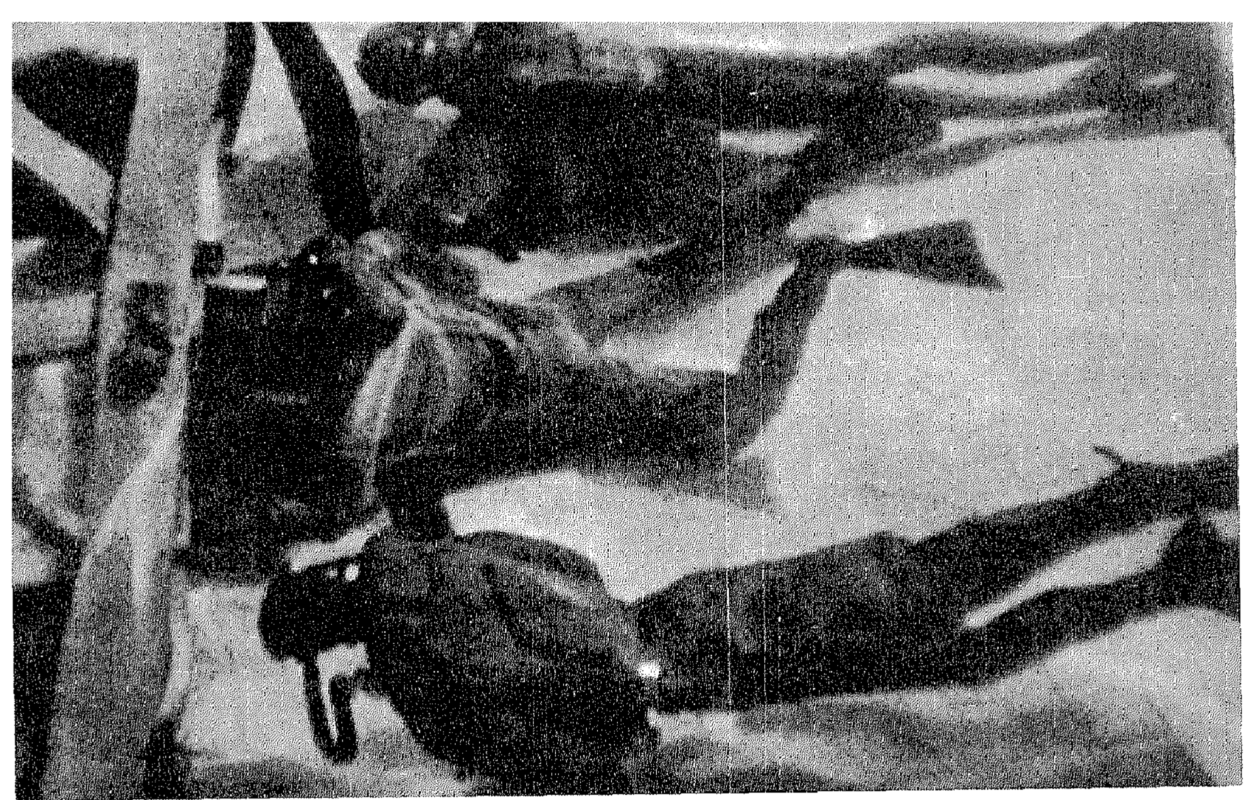
إستعدادات

بدأ تنفيذ الخطة ببراعة فذة إذ أعلن صاحب الباخرة أنه يرغب في تقديمها إلى شركة إسبانية وطلب من مؤسسة إسبانية تعويمها، فلم يسع الحكومة الاسبانية إلا الموافقة على طلبه. وقطرت الباخرة إلى «الجزيرة» وربطت إلى القسم الشمالي من الرصيف إلى جانب المضيق وهو موضع يلائم كلا من إيطاليا وإدارة المرفأ. وتكفل الأيطاليون حينئذ باصلاح الباخرة واستمرت هذه العملية بالطبع حتى تم استسلام إيطاليا وبذلك نجت السفينة من الانتقال إلى الشركات الاسبانية، هذا عدا عن أن عملية الاصلاح كفلت للسفينة مبرراً كافياً لاستقدام ما يلزمها من الرجال المدربين والأعتدة من إيطاليا. وهكذا استبدل الملاحون القدامى بآخرين جدد باستثناء القبطان والميكانيكي الأول اللذين حافظا على السر محافظة تامة.

أطلق على الملاحين الجدد إسم «سرب الدب الأكبر» ووضعوا تحت إمرة الملازم الأول البحري فيسينتيني وكانوا كلهم من أسطول (M.A.S.) (البواخر المضادة للغواصات) العاشر وبالرغم من الاسم الذي يحمله هذا الاسطول فانه كان يشرف في الحقيقة على إعداد الأفراد والعتاد اللازمة لمهاجمة سفن العدو بواسطة أسلحة الغارات ومن بينها غواصات الجيب والطوربيدات البشرية والزوارق المتفجرة والرجال الضفادع. ولقد سجل هذا الأسطول تاريخا حافلاً بالبطولة.

براعة وتمويه

ثم جاء دور الخطوة التالية لايصال المواد اللازمة إلى الباخرة وهي أصعب من سابقتها، إذ يبلغ طول الطوربيد البشري بعد جمعه أكثر من



الغطاسون في التدريب على اجتياز العوائق.

سبعة أمتار، ولم يكن هناك من وسيلة أخرى غير إرسال المواد بصورة مجزأة، فاستخدمت لذلك أوعية المحروقات وأرضية السيارات وجميع الوسائل الأخرى الشيطانية. ومن الصعب أن نتبين من المعلومات التي لدينا كيف استطاع الايطاليون أن يخدعوا الجنود الاسبانيين الذين كانوا يراقبون الباخرة بصورة مستمرة، ولا بد أن صداقة هؤلاء للايطاليين بدأت تشتد يوماً بعد يوم، وحتى لو صح أنهم ارتابوا في شيء فانهم حتماً لم يهتموا به.

إحتاط الايطاليون لجميع الطوارىء فدربوا البحارة العسكريين في «جنوا» قبل إرسالهم إلى «أولتيرا» حتى اتقنوا لغة البحارة التجاريين وسلوكهم. واعتاد عليهم أهل الجزيرة شيئاً فشيئاً حتى أصبحوا بعيدين عن الشبهات والمراقبة.

أما في داخل «أولتيرا» فقد سار العمل بحماس فأنشىء مصنع لجمع الطربيدات البشرية وركبت المحركات لملء المدخرات، ولما كان من المستحيل أن ترفع الطوربيدات سلفاً إلى سطح السفينة لتكون جاهزة للانطلاق عند اللزوم، فقد تعلل البحارة بحجة تنظيف السفينة وإعادة طلائها وأمالوها على جنبها، ونصبوا خياماً كانت في ظاهرها لحماية العمال من الشمس وفي حقيقتها لحمايتهم من أنظار الفاحصين، وشقوا بالحرارة، فتحة واسعة تصل قعر الباخرة بالبحر، وأتموا العمل بمهارة ثم قوموا وضع الباخرة كما كانت، وغطست الفتحة تحت المياه فلم يعد يرى لها أثر.

«الطوربيدات البشرية في أولتيرا» براعة وتمويه

إعتمد الايطاليون في غاراتهم من حوض «الجزيرة» على السباحين الحاملين للقذائف، وعلى الطوربيدات المقودة التي عرفت بـ «الطوربيدات البشرية».

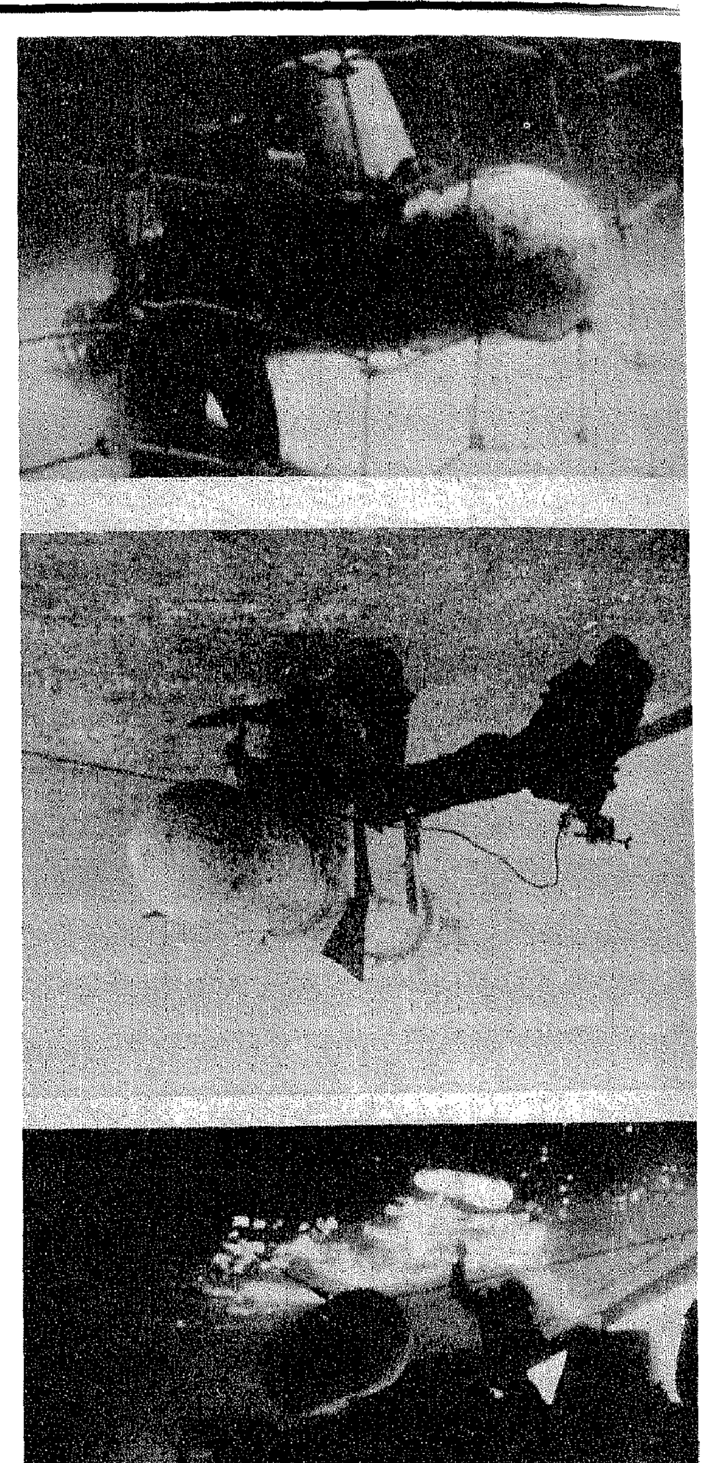
ويلبس السباحون ملابس الغطس التي تشبه ملابس الرجال الضفادع ويحملون حول

أجسامهم شحنات متفجرة يطلق عليها إسم العلق أو البق وهي تلتصق بهيكل السفينة المراد مهاجمتها بواسطة وسادة مملوءة بالهواء فتبقى ساكنة حتى تنفجر في وقت معين بواسطة آلة تشبه حركتها حركة الساعة وبذلك يتاح للسباح وقت كاف لكي يبتعد عن الباخرة وينجو.

ويعتمد السباح على جهاز للتنفس يستطيع بواسطته أن يبقى تحت الماء ثلاثة أرباع الساعة وأن ينقل أربع أو خمس علقات.

كانت «أولتيرا» ترابط في «الجزيرة» على بعد ستة أو سبعة كيلو مترات من جبل طارق وهي مسافة ترهق سباحتها الرجال الضفادع. وفوق ذلك فقد حَسَّن البريطانيون وسائل دفاعهم على أثر الهجمات الأولى التي شنتها الغواصات وحصنوا مدخل المرفأ بالشباك المرصوصة الحلقات ووضعوا فوقها أوتاداً تجري مراقبتها باستمرار. وكانت الزوارق تطوف - بلا انقطاع - الحوض الخارجي الذي رست فيه البواخر التجارية. وعمد البريطانيون إلى استخدام وسيلة دفاعية برهنت على شديد فعاليتها وذلك أنهم كانوا يفجرون - بفترات لا تتجاوز بضع دقائق - بعض الرمانات بالقرب من مدخل المرفأ وفي الحوض.

ولما كانت المسافة التي يضطر السباحون إلى قطعها طويلة وكثيرة الأخطار، فقد فكر الايطاليون باستخدام محطة على الشاطىء بالقرب من المرسى الخارجي لجبل طارق. وكان أحد الضباط الايطاليين متزوجاً بفتاة إسبانية تدعى «كونشيتا رامغنينو» وكان من الطبيعي أن تشعر زوجته بالحنين إلى وطنها ولما كانت صحتها تحتاج إلى حمامات البحر فقد استأجرت مع زوجها«فيلا كارمنيلا» الواقعة على خليج «الجزيرة» مقابل مرسى البواخر التجارية الحليفة. وكان من السهل أن تراقب من هذه الفيلا حركات البواخر ومواقع رسوها ووسائط حمايتها. كما كان من السهل أيضاً الالمام بعادات رجال الجمرك الاسبان الذين اعتادوا على ابتسامات السنيورا كونشيتا وعلى زهورها



اختراق الشبكة تحت مياه المضيق.
لصق الطوربيد بجسم السفينة.
.. ثم الانسحاب

وطيورها، فقد كانت مواطنة لهم وتتكلم لغتهم، وكانوا يتبادلون معها حين يصادفونها الأحاديث الودية.

ومن الطبيعي أن تكثر السنيورا «كونشيتا» من استقبال رجال «أولتيرا» في فيلتها إذ كان ذلك ضرورياً لرفع معنوياتهم التي أرهقها بعدهم عن ديارهم لزمن غير محدود، ولم يكن في ذلك ما يثير الشبهة. إلا أن هؤلاء الرجال كانوا متى حل الليل ينقلون من «أولتيرا» إلى الفيلا ملابس الغطس والقنابل.

بعثتان لمهاجمة الانجليز

في تموز ١٩٤٢ رست قافلة كبيرة للحلفاء أمام جبل طارق. وفي الليلة الواقعة بين ١٢ و ١٣ تموز ذهب إثنا عشر رجلًا من «أولتيرا» إلى الفيلا بصورة متفرقة، وكانوا على درجة عالية من التدريب إذ يستطيعون أن يسبحوا بلا أدنى صوت ودون أن يتركوا وراءهم أي ثلم يشير إليهم، وأن يسبحوا بالقرب من الباخرة دون أن يستلفتوا أنظار المراقبين وأن يختفوا في الوقت المناسب قبل أن يكشفهم النور الكشاف.

وحين اشتد الظلام انطلق الرجال نحو الشاطىء وبقيت السنيورا «كونشيتا» وبعض الملاحين يراقبون وكان الليل حالكا والبحر ساكناً، وأفلح المهاجمون في الافلات من الرقابة البريطانية ووضعوا القنابل تحت الأهداف المعينة ثم عادوا إلى البر بعد أن تركوا ملابس الغطس التي كان من المفروض أن تغوص إلى أعماق المياه. وانجلى الموقف أخيراً عن جرح اثنين منهم أحدهما بمروحة إحدى زوارق المراقبة والآخر بانفجار رمانة على مقربة منه. وفي الصباح الباكر دوت أصوات الانفجارات وأصيبت أربع بواخر حليفة بأضرار جسيمة اقتضت قطرها إلى جبل طارق لاصلاحها.

ولم يمض زمن طويل حتى عثر على ملابس للغطس كانت عائمة على وجه المياه فأدركوا أن ما حل بهم كان من فعل الرجال الضفادع لكنهم ظنوا أنهم جاؤوا بواسطة إحدى الغواصات.

واستطاع عدد من السباحين أن يصل إلى «فيلا كارميلا» وقبض رجال الجمرك على عدد آخر منهم على الشاطىء الاسباني بالقرب من «لينيا» وكثيراً ما كان البحر يلفظ على الشاطىء الاسباني أنواعاً من الحطام معها بعض الغرقى الأموات أو الأحياء. وكثيراً ما كان بعض الايطاليين يظهرون في شوارع القرى وهم نصف عراة دون أن يثيروا كثيراً من الاستغراب.

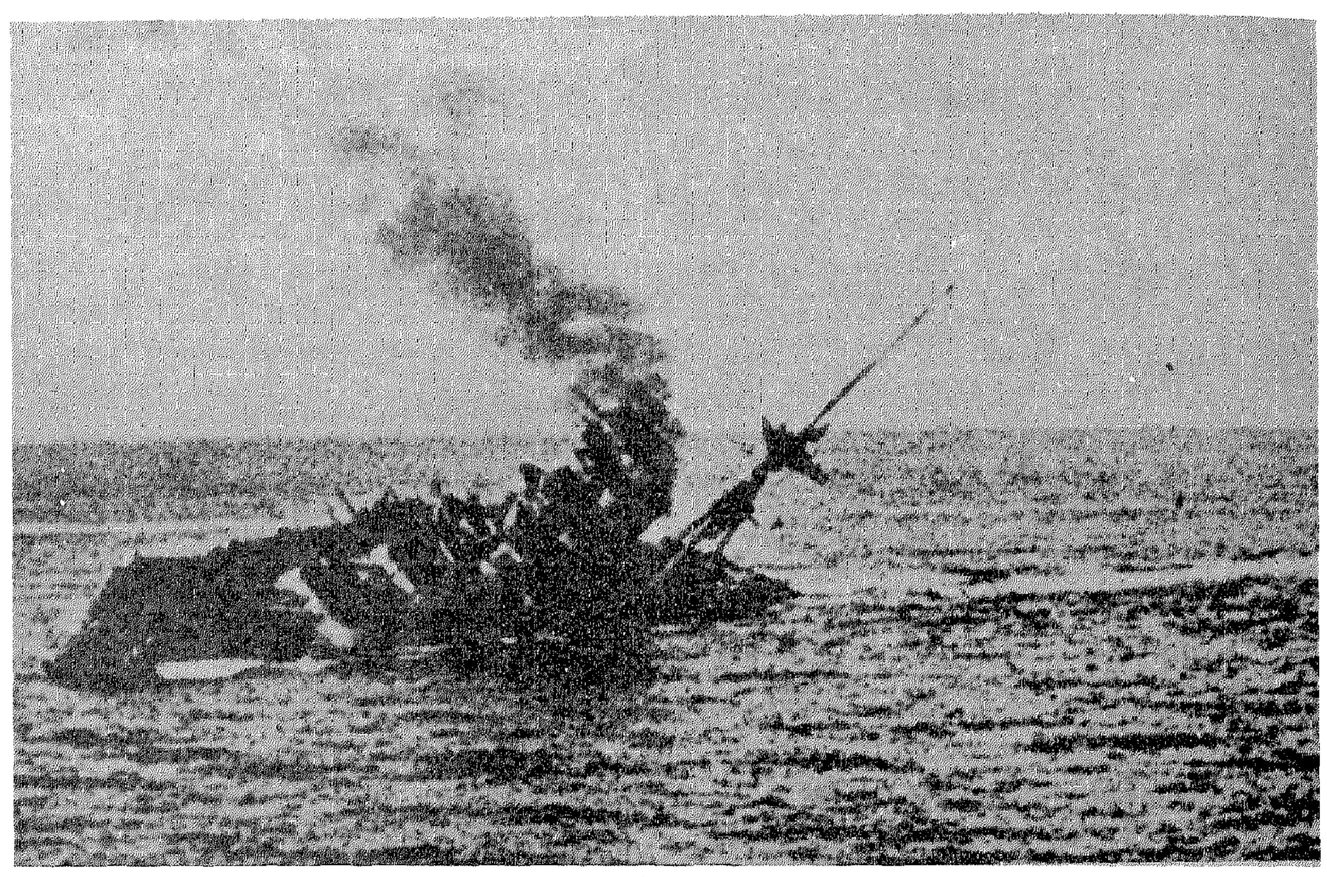
وكانت إسبانيا حينئذٍ تعج بالأجانب من جميع الأنواع ومنهم الغرقى أو الذين اجتازوا الحدود بصورة غير مشروعة ولم يكن فيها معسكرات تكفي لتوقيف كل هؤلاء، فكانت السلطات تكتفي بحجزهم مدة من الزمن ثم تتركهم بعد أن يتدخل قناصلهم واستطاع لذلك القنصل الايطالي في جبل طارق أن يستعيد الموقوفين من رجاله ويعيدهم إلى إيطاليا.

البطولة لا تغني دائماً

في ١٥ أيلول إستأنف الايطاليون أعمالهم، فانطلق ثلاثة من السباحين من «فيلا كارميلا» ووضعوا قنبلة تحت إحدى البواخر فانفجرت وغرقت في هذه المرة. واستطاع أحد الرجال الرجوع إلى «أولتيرا» أما الآخران فقد اضطرا للقيام برحلة لا تكاد تصدق عبر إسبانيا ثم توجها إلى برشلونة على ظهر سفينة تجارية.

وفي «الجزيرة» كان «فيسينتيني» منكبا على أعواد الطوربيدات البشرية وهو يمني النفس بنسف إحدى البواخر الحربية الكبيرة. ولم يكد يأتي الخامس من كانون أول عام ١٩٤٢ حتى رست في مرفأ جبل طارق كل من المدرعة «نلسون» وطراد القتال «رينون» وحاملتي الطائرات «فوريوس» و «فور ميدابل» وبضع بواخر أخرى للحراسة وبدأ رجال «أولتيرا» يتابعون حركات هذه البواخر بمناظيرهم وكان لديهم ثلاثة من الطوربيدات البشرية فقط، فقرر فيسينتيني أن يهاجم «نلسون» وحاملتي الطائرات.

وفي الساعة ٢٣ غادر «فيسينتيني» والغطاس «ماجرو» «أولتيرا» على أول طوربيد



احدى السفن المنسوفة.

وفي منتصف الليل انطلق الطوربيد الثاني وعليه المرشح«مانيسكو» والغطاس «فاريني» وبعد قليل انطلق الطوربيد الثالث وعليه الملازم «تشيلا» والغطاس «ليون» ولكن سرعان ما أصاب الطربيد الثالث عطب منعه من متابعة سيره حتى الساعة الواحدة وأربعين دقيقة.

كان البريطانيون يقظين أكثر من العادة. وحوالي الساعة الثانية والنصف شاهد أحد زوارق المراقبة شيئاً غير عادي بالقرب من شبكة المدخل ولم يكن هذا إلا «فيسينتيني» الذي كان يحاول اختراق الشبكة، فأعطيت إشارة الخطر وأسرعت جميع الأنوار الكشافة للعمل، وهبت زوارق المراقبة تمخر عباب المرفأ وأرجاء المضيق وتطلق عدداً كبيراً من الرمانات، فعمد «مانيسكو» الذي كان حينئذٍ على بعد مئات الأمتار من المدخل إلى الظهور جهرة على سطح المياه ليجتذب جميع اهتمام العدو ويتيح لفيسينتيني الفرصة كي يمر. وانقضت بضعة زوارق نحو «مانيسكو» فغطس ثانية لكن الطوربيد تعطل بفعل الانفجارات وتوقف عن السير فأسرع «مانيسكو» و «فاريني» إلى تفجيره والتجأ إلى سفينة للنقل كانت بجوارهما.

أما «تشيلا» فقد فوجىء بالخطر وهو في منتصف المسافة بين الجزيرة وجبل طارق وهاجمته زوارق المراقبة بالرمانات، وقذف الانفجار برفيقه «ليون» الذي اختفى نهائياً، وعاد «تشيلا» وحده إلى «أولتيرا».

أروع مغامرات التجسس في جبل طارق

لم يعرف شيء ثابت عن «فيسينتيني» و «مارجو» غير أن جثتيهما قد وجدتا بعد بضعة أيام داخل مرفأ جبل طارق (مما يحمل على الظن أنهما نجحا في عبور المضيق) فدفنتا باحتفال عسكري يليق ببطولتهما.

وبموت فيسينتيني انتهت حياة بطل من أعظم أبطال سلاح (M.A.S.) العاشر بعد

أن ترك في «أولتيرا» دفتر مذكرات يومية تحتفظ به البحرية الايطالية بفخار واعتزاز.

وهكذا انتهت البعثة الباسلة بفشل تام لكن رجال سرب «الدب الأكبر» لم يفقدوا بسالتهم رغم موت قائدهم بل تابعوا الكفاح.

أخذوا بثأر رئيسهم

أعيد تنظيم السرب وأرسل إليه من إيطاليا قائد جديد هو الرئيس البحري «نوتاري» وهو يشبه «فيسينتيني» بمواهبه ومزاياه، وأرسلت طوربيدات جديدة وصلت على شكل أجزاء منفصلة، وانقضى زمن طويل حتى انتهى جمعها وإعدادها في مطلع ايار ١٩٤٣ دون إثارة شكوك رجال الجمرك والبوليس الاسباني.

وكانت حالة إيطاليا وإلمانيا حينئذٍ قد تدهورت إلى حدٍ كبير، واستسلم أحسن جيش في إيطاليا بقيادة الجنرال «ميس» واضطرت البحرية الايطالية إلى التزام خطة الدفاع ولم يبق لديها ما تهاجم به إلا عدد قليل من الغواصات.

وفي ٨ ايار ١٩٤٣ سنحت ظروف ملائمة للقيام بالغارة، فقد رست كثير من البواخر التجارية الحليفة في حوض «الجزيرة» وكانت أحوال الطقس والرؤية حسنة، وهبت عاصفة عرقلت مراقبة زوارق الحماية، واشتدت أصوات الأمواج فشوشت السماع الميكروفوني.

وفي الساعة الثانية والعشرين والنصف مساء إنطلقت من «أولتيرا» ثلاثة طوربيدات بشرية. ولم يحاول الرئيس «نوتاري» أن يدخل مرفأ جبل طارق فقد كانت تجربة كانون الأول لا تزال ماثلة في ذهنه. واعترضت التيارات سبيل المهاجمين الذين بذلوا جهوداً كبيرة حتى استطاعوا أن يثبتوا قنابلهم تحت الأهداف المرسومة وقفلوا راجعين إلى «أولتيرا» وفي الصباح سمعوا أصوات ثلاثة إنفجارات أودت بثلاث بواخر إلى قاع المياه، فعم الفرح رجال «أولتيرا» لأنهم نجحوا دون أية خسائر ولأنهم أخذوا بثأر فيسينتيني الذي نال اعجابهم جميعا. وترك الايطاليون ملابس الغطس على الشاطىء ليوهموا ان المهاجمين من الرجال الضفادع.

آخر مأثرة قبيل الاستسلام

تعتبر الأسابيع التي تلت ذلك من أكبر المآسي في تاريخ إيطاليا. ففي ١٠ تموز اجتاح الحلفاء صقليا ولم تستطع القيادة العليا الايطالية استخدام الأسطول في الدفاع لبعد قاعدته وإمكان تعرضه لخطر طيران وبحرية العدو وهما أقوى بكثير، بل اكتفت باستخدام الغواصات التي تكبدت خسائر فادحة في سبيل المحافظة على الشرف العسكري. وفي ١٩ تموز قابل «موسوليني» «هتلر» في «فلتر» وطلب إليه إرسال النجدات، فلم يلق منه إلا النصائح والملامة، وعاد إلى «روما» يائساً محطما. وفي ١٦ تموز قذفت «ميلان» و «بولونيا» بالقنابل ففر أهلهما في جو من الفوضى والاضطراب. وفي ٢٥ تموز عزل الملك «موسوليني». وألف المارشال «بادوليو» حكومة جديدة قررت متابعة الحرب إلى جانب الالمان ولكن الشعب وكبار القواد العسكريين كانوا يريدون السلام بعد أن تأكدوا أنهم يخوضون حرباً لا فائدة منها.

ومع ذلك كله فقد ظل رجال «أولتيرا» يكافحون حتى النهاية. وفي ٤ آب انطلقت من «أولتيرا» ثلاثة طوربيدات أغرقت سفينتين وعطبت ثالثة، ورجع الرجال إلى سفينتهم ما عدا واحداً فقط علم فيما بعد أن زورقاً بريطانيا التقطه وهو على آخر نفس، وكان قد ظل بضع ساعات مختفياً خلف سفينة حليفة للنقل محاولاً بذلك أن يؤخر أسره حتى لا يعرقل نجاح المشروع.

وفي ٨ أيلول استسلمت إيطاليا واستولت الحكومة البريطانية على الباخرة «أولتيرا» وحينئذٍ فقط علم القنصل البريطاني أن هذه السفينة البالية التي كان يتأملها كل يوم تحت نوافذه كانت تعمل كقاعدة مخيفة للأعمال السرية. ◘

كرومويل [١٥٩٩ - ١٦٥٨]

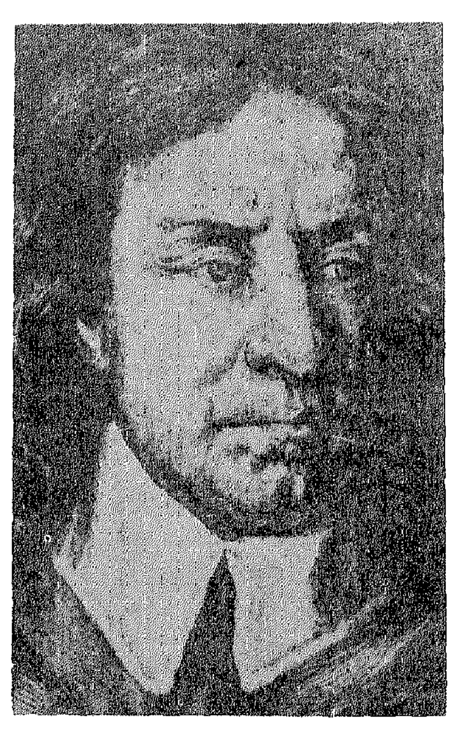
هو الزعيم السياسي العسكري أوليفر كرومويل، الذي قاد القوى البرلمانية إلى النصر في الحرب الأهلية في انجلترا، وهو الرجل المسؤول عن إرساء الديموقراطية البرلمانية على أنها شكل الحكم في انجلترا.



ولد كرومويل سنة ١٥٩٩ في هنتنجتون بانجلترا. وعندما كان شاباً كانت انجلترا ممزقة بالخلافات الدينية، ويحكمها ملك أراد أن يكون حاكما مطلقا، وكان كرومويل من أبناء الريف وكان شديد التدين، وفي سنة ١٦٢٨ انتخب عضواً بالبرلمان. وبقي فترة قصيرة، لأن الملك تشارلز الأول قرر حل البرلمان. وأن يحكم البلاد حكماً مطلقاً، ولم يشأ الملك أن يعيد البرلمان إلا في سنة ١٦٤٠ عندما إحتاج إلى مال لكي يشن حرباً ضد اسكتلندا، ولكن هذا البرلمان الجديد الذي كان كرومويل عضوا فيه، طالب الملك بألا يحكم البلاد حكما دكتاتوريا، ولكن الملك يريد أن ينفرد بالسلطة، فنشبت الحرب بين القوى المؤيدة للملك والقوى التي تساند البرلمان والشرعية الدستورية.

واختار كرومويل أن يقف إلى جوار البرلمان ضد الملك، وعاد إلى قريته وشكل فيلقا من الفرسان ليحارب الملك. وخلال أربع سنوات من القتال ظهرت براعته في القيادة العسكرية والسياسية، ولعب كرومويل الدور الرئيسي في موقعتين شهيرتين.. إحداهما في مارستون (٤ يوليو سنة ١٦٤٤) والثانية موقعة ناسبي (١٤ يونيو ١٦٤٥) وانتهت الحرب في سنة ١٦٤٦ ووقع الملك تشارلز الأول أسيراً، وأصبح كرومويل أنجح زعيم برلماني في إنجلترا.

ولكن السلام لم يتحقق، فسرعان ما تمزق البرلمان نفسه معسكرات وأحزابا متصارعة، ولذلك رفض الملك أن يوافق على أية تسوية أو يذعن لما تقدم به كرومويل، وفي مدى سنة



عادت الحرب من جديد، وهرب الملك تشارلز الأول وحاول أن يجمع قواه، وقد أسفرت هذه الحرب عن إعدام الملك سنة ١٦٤٩ واستبعاد العناصر المعتدلة من البرلمان.

وأصبحت بريطانيا جمهورية يحكمها مجلس دولة على رأسه كومويل، ولكن سرعان ما تجمعت القوى المساندة للملكية في أيرلندا واسكتلندا، ووقفوا وراء ابن الملك تشارلز الأول، وكان من نتيجة ذلك.. أن قامت جيوش كرومويل بهزم كل هذه الجيوش في أيرلندا واسكتلندا. وهزم الملكيون هزيمة كاملة، وانتهت هذه الحروب المتوالية في سنة ١٦٥٢.

وبنهاية الحروب أتيحت الفرصة أمام كرومويل لإقامة الحكومة. ولكن بقيت أمامه مشكلة، هي مشكلة الشكل الدستوري للحكومة

التي يتخيلها، ولم تحل هذه المشكلة في حياة كرومويل، وعلى الرغم من النصر الذي حققه كرومويل، فإنه لم يستطع أن يحل النزاعات التي قامت بين مؤيديه على شكل الحكومة أو على الدستور، لأن هذه النزاعات قد اصطدمت بالمذاهب الدينية التي باعدت بين البروتستانت، وبين البروتستانت والكاثوليك.

وقد تشكل البرلمان، بسبب الخلافات العنيفة، ثلاث مرات، وقام كرومويل بحل البرلمان في كل مرة، واتخذ البرلمان دستورين، ولكن لم يفلح في تطبيق واحد منهما، وحكم كرومويل بمساندة من الجيش. وكان دكتاتورا عسكريا. وكان حرصه المستمر على بناء الديمقراطية، ورفضه أن يكون ملكا، دليلاً على أنه لا يريد أن يكون حاكما منفردا، إنما هو يريد حكما دستوريا.

ومن ١٦٥٣ حتى ١٦٥٨ كان كرومويل يحمل لقب اللورد حامي الدولة، وحكم انجلترا واسكتلندا وإيرلندا، واستطاع كرمويل خلال هذه السنوات الخمس أن يقيم نوعا من الحكم والإدارة المعتدلة، وقام بتعديل كثير من القوانين، كما كان مسؤولاً عن نشر التعليم بعد تعديل برامجه، وكان يؤمن بالتسامح الديني، وقد سمح لليهود أن يعودوا إلى إنجلترا وأن يمارسوا طقوسهم الدينية، فقد طردهم الملك إدوار الأول قبل ذلك بثلاثة قرون!

وكانت له سياسة خارجية ناجحة، وتوفي في لندن سنة ١٦٥٨ بعد إصابته بالملاريا.

وقد خلفه في الحكم ابنه الأكبر ريتشارد كرومويل، ولكن لفترة قصيرة، وفي سنة ١٦٦٠ أعيد الملك تشارلز الثاني إلى العرش. وأخرج الملك رفات كرومويل وألقى بها في الزبالة، ولكن معركة الحكم المطلق للملك قد انتهت إلى غير عودة، وقد أدرك تشارلز الثاني ذلك بوضوح، فلم يحاول أن يتحدى البرلمان أو يتخطاه.

وعندما حاول من بعده الملك الثاني أن يكون حاكما مطلقا، أسقطه البرلمان في انقلاب هادىء سنة ١٦٨٨، والنتيجة هي بالضبط ما كان يريده كرومويل: ملكية دستورية يلتزم فيها الملك بالبرلمان وبالتسامح الديني.

وفي القرون الثلاثة الماضية لم يكف الباحثون عن إعادة الحكم في قضية الزعيم كرومويل، فاختلف النقاد في تقدير أهميته التاريخية، بعضهم قالوا: منافق وكذاب، فبينما كان يريد أن يجعل البرلمان هو الحاكم الفعلي للبلاد، جاء هو واستخدم الجيش لحكم البلاد وحل البرلمان!

وآخرون يؤكدون أنه كان مخلصا في احترامه للبرلمان، ولكن الظروف هي التي أرغمته كثيراً على العدول عن ذلك، ثم إنه رفض العرش، وقد ظل معتدلاً متوازنا.

كيف نزن هذا الرجل؟..

من المؤكد أنه كان قائدا عسكريا لامعا، استطاع هزيمة الجيوش الملكية في الحرب الأهلية الانجليزية، وكانت انتصارات كرومويل هي انتصارات للحكم الدستوري في انجلترا.

ويجب أن ننظر إلى هذا الحدث الجليل على أنه ما كان يمكن أن يحدث في أوروبا، لأي سبب، فقد كانت أوروبا في القرن السابع عشر متجهة إلى الحكم المطلق، ولذلك كانت انتصار الديمقراطية في بريطانيا ضد التيار الأوروبي كله، وأصبح هذا الذي حدث في انجلترا نموذجاً ومثلاً يقتدى به في حركة «التنوير» في فرنسا وفي الثورة الفرنسية أيضاً، وقاعدة لقيام الحكومات الديمقراطية في أوروبا الغربية، ومن المؤكد أن الذي حدث في انجلترا كان له أثره الهائل في ديمقراطية الولايات المتحدة الأمريكية وفي المستعمرات الانجليزية مثل كندا وأستراليا، وعلى الرغم من أن انجلترا تمثل جزءا ضئيلاً من العالم فإن موجة الديمقراطية قد اتجهت إلى مساحات أوسع.

وكان من الممكن أن يجيء كرومويل في مرتبة أعلى من ذلك في قائمة الخالدين.. لولا أن إرساء الديمقراطية في انجلترا يرجع الفضل فيه إلى فيلسوف اسمه جون لوك، ولذلك من الصعب أن نعرف بالضبط نصيب رجل الأعمال كرومويل ورجل الفكر جون لوك، وكان من نتيجة الجو الفكري الذي أشاعه جون لوك أن تظهر مواقف جريئة كالتي اتخذها كرومويل، وإذا لم يعش كرومويل في انجلترا، فإن المعارك البرلمانية في بريطانيا كانت ستفتقد مقاتلاً شجاعا وقائدا مخلصا.

■

تاريخ الطوابع

تاريخ طوابع الخليج العربي

ميشال اسطفان

في العدد السابق تحدثنا عن تاريخ طوابع الكويت والبحرين حتى إصدارات سنة ١٩٥٢. وهنا نكمل ما عقب ذلك من إصدارات البحرين.

ففي سنة ١٩٥٣ وحتى ٣١ كانون الأول/ديسمبر سنة ١٩٦٥، كانت إصدارات البحرين بادارة البريد البريطاني كالآتي:

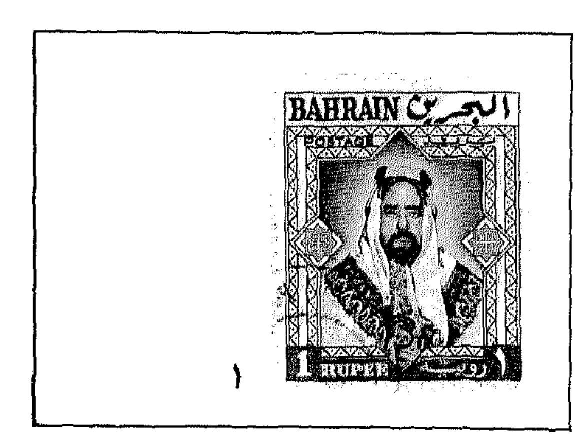
٣حزيران/يونيو سنة ١٩٥٣ مجموعة تذكارية لمناسبة تتويج الملكة اليزابت الانكليزية مؤلفة من ٤ طوابع من فئة ٢½ و١٢,٤ آنة وروبية واحدة.

٢٣ أيلول/سبتمبر سنة ١٩٥٥ صدرت ثلاثة طوابع موشحة ٢و٥و١٠ روبية صورة الملكة اليزابت، وقد جرى التوشيح ثلاث مرات في مطابع مختلفة أحدثت تغييرات طفيفة، جعل بعضاً منها مرتفع الثمن الآن.

أما آخر مجموعة بالآنة، فقد صدرت بتاريخ١٩٥٦مؤلفة من خمسة طوابع فقط من فئة ١/٢ آنة إلى روبية واحدة. وظهر خطأ في فئة الروبية وهو تكرار التوشيح وأصبح قيمة هذا الطابع اليوم ١٠٠ جنيه إسترليني.

وفي أول نيسان/إبريل سنة ١٩٥٧ إلى ٢٤أيار/مايو سنة ١٩٦٠، صدرت أول مجموعة بالعملة الجديدة مؤلفة من ٢١٢ طابعا من فئة نيابيزة واحدة إلى ٧٥ نيابيزة.

وفي أول آب/أغسطس سنة ١٩٥٧، صدرت مجموعة تذكارية لمناسبة اليوبيل العالمي للكشاف مؤلفة من ثلاثة طوابع من فئة ١٥ و٢٥ و٧٥ نيابيزة، موشحة على الطوابع الانكليزية للمناسبة ذاتها.

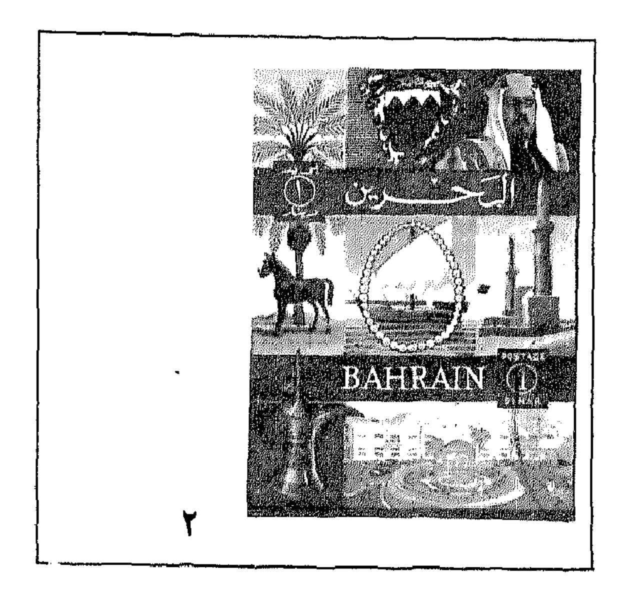


١

وفي أول تموز/يوليو سنة ١٩٦٠، صدرت أول مجموعة تحمل صورة حاكم البلاد الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة، يحيط بها إطار جميل، مؤلفة من ١١ طابعا من فئة ٥ و١٥ و٢٠ و٣٠ و٤٠ و٥٠ و٧٥ نيابيزة وروبية واحدة و٢ و٥ و١٠ روبيات، (صورة١).

وفي ٢٢ شباط/فبراير سنة ١٩٦٤، صدرت مجموعة أخرى تحمل صورة الشيخ سلمان على الفئات الصغيرة السبعة لغاية ٧٥ نيابيزة، ومطار المحرّق لفئتي الروبية والروبيتان، والميناء لفئتي الخمس والعشر روبيات، وكلها عليها صورة الشيخ سلمان في اليمين الأعلى للطابع.

وهناك مجموعة من ثلاثة طوابع صدرت سنة ١٩٥٣ من فئة ١/٢ و١ و ١½ آنة ومجموعة أخرى من ثلاثة طوابع سنة ١٩٥٧ من فئة ٣و٦ و٩ نيابيزة، ومجموعة ثالثة من ستة طوابع صدرت سنة ١٩٦١ من فئة٥ إلى ٤٠ نيابيزة، كانت كلها تحمل صورة الشيخ سلمان،



٢

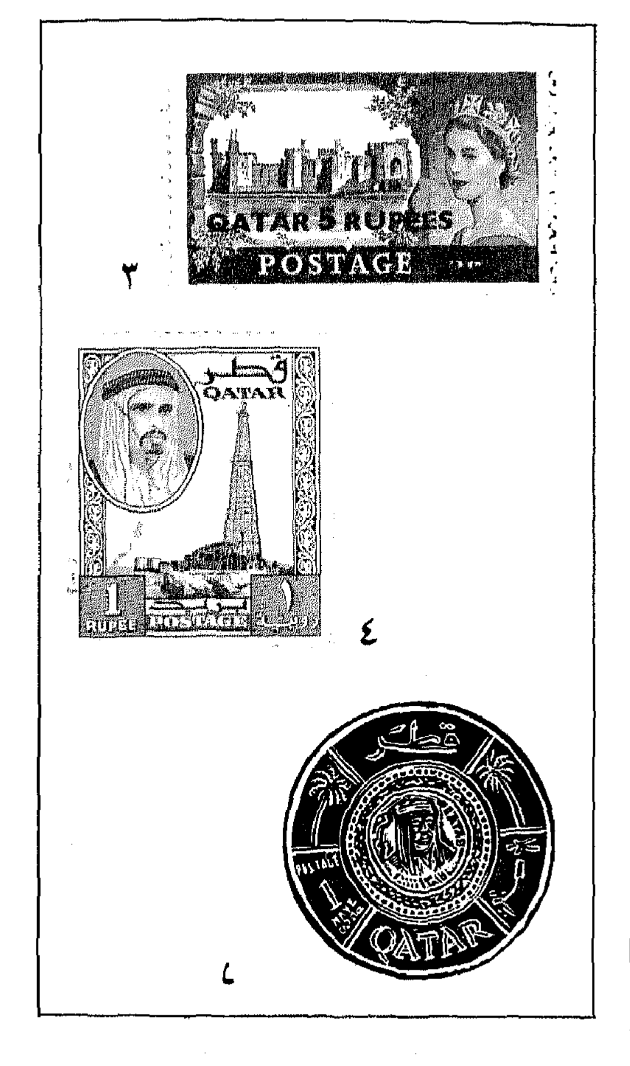
وكانت مخصصة للبريد الداخلي في البحرين، لكنها استعملت فيما بعد للبريد الخارجي أيضاً.

وبتاريخ أول كانون الثاني/يناير سنة ١٩٦٦ انتقلت الخدمات البريدية إلى دائرة البريد البحرانية، وأصدرت مجموعة جميلة مؤلفة من ١٢ طابعاً من ٥فلوس إلى دينار واحد بالعملة الجديدة وبأربعة أحجام مختلفة، (صورة نموذج واحد رقم٢).

ثم تتابعت الاصدارات العادية والتذكارية للمناسبات الوطنية والعالمية وكلها رسمت وطبعت باتقان وروعة وبحسب الفن الحديث.

تاريخ طوابع قطر

بدأ مكتب بريد قطر أعماله باستعمال طوابع البحرين منذ شهر أيار/مايو سنة ١٩٥٠، إذ نشاهد تلك الطوابع الموشحة «البحرين» مختومة في الدوحة وأم سعيد ودخان لغاية سنة ١٩٥٧. ثم أصدرت إدارة البريد البريطانية في أول نيسان/إبريل سنة ١٩٥٧، مجموعة من ١٢ طابعاً من طوابع الملكة اليزابت الانكليزية، موشحة (QATAR) والفئة في أسفل الطابع، من فئة نيابيزة واحدة إلى روبية واحدة. وفي التاريخ ذاته أصدرت ثلاثة طوابع من فئة٢ و٥ و١٠ روبيات، (صورة٣)، إرتفعت أثمانها اليوم نسبياً، إنما أعيد طبع هذه الفئات الثلاث بتاريخ ١٨ أيلول/سبتمبر سنة ١٩٥٩ في مطبعة مختلفة أظهرت تغييراً طفيفاً بحروفها وكانت كمياتها



٣ ٤ ٤

محدودة مما جعل ثمنها اليوم يزيد على ٤٠ جنيها إسترلينياً.

وفي أول آب/أغسطس سنة ١٩٥٧ صدرت مجموعة تذكارية من ثلاثة طوابع لمناسبة اليوبيل العالمي للكشاف موشحة على المجموعة الانكليزية للمناسبة ذاتها.

وآخر مجموعة موشحة على طوابع الملكة اليزابت، صدرت سنة ١٩٦٠، مؤلفة من ٧طوابع من٣ إلى ٤٠ نيابيزة تبعتها أول مجموعة تحمل صورة الشيخ أحمد بن علي آل ثاني، مؤلفة من ١١ طابعا من فئة٥ نيابيزة إلى ١٠روبيات، (صورة٤). وكانت هذه آخر مجموعة أصدرتها إدارة البريد البريطانية، إذ تسلمت دائرة بريد قطر الخدمات البريدية بتاريخ ٢٣ أيار/مايو سنة ١٩٦٣.

وفي سنة ١٩٦٤، صدرت مجموعتان تذكاريتان لذكرى وفاة الرئيس الأميركي الراحل

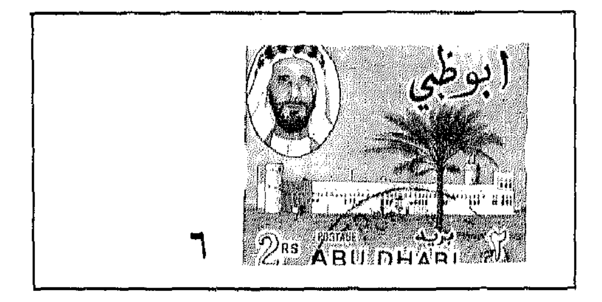
جون كندي ولذكرى الألعاب الأولمبية العالمية، كل منها مؤلفة من خمس فئات، وكانت كميتها محدودة فأصبحت قيمة كل مجموعة منهما يزيد على ١٠ جنيهات إسترلينية.

ثم تتابعت الاصدارات العادية والتذكارية للمناسبات الوطنية والعالمية ليومنا هذا. وقد طبعت في المطابع الأوروبية الحديثة وبالألوان الزاهية البراقة، وقد جعلت إحداها لذكرى مؤتمر النقد للخليج، وكانت على شكل دائري ومن ضمن ألوانها الفضي والذهبي، ودائرة داخلية بشكل قطعة نقدية تحمل صورة علم البلاد، (صورة٥).

تاريخ طوابع أبو ظبي.

بدأ البريد في أبو ظبي بادارة البريد البريطاني واستعمل فيه الطوابع المختلفة الموشحة لحساب الوكالة البريطانية لشرق الجزيرة العربية المخصصة للكويت والبحرين ومسقط، إبتداء من ٣٠ آذار/مارس سنة ١٩٦٣، ولا تميز الطوابع المذكورة إلا بالختم الذي يحمل إسم أبو ظبي وجزيرة داس.

وفي ٣٠ آذار/مارس سنة ١٩٦٤، صدرت أول مجموعة خاصة بأبو ظبي والتي تحمل صورة الشيخ شخبوط بن سلطان، والغزال العربي وقصر الشيخ وجملين بقرب ساري البترول، (صورة٦).



٦

أما المجموعة الثانية فكانت من ثلاثة طوابع تحمل كل منها صورة يد مغلفة بالجلد والصقر الذي يستخدمونه للصيد، وقد صدرت بتاريخ ٣٠ آذار/مارس سنة ١٩٦٥.

وبمناسبة تغيير العملة المحلية إلى الفلس والدرهم، فقد وشحت مؤسسة الطباعة والنشر العربية في البحرين، مجموعة الشيخ شخبوط الأولى بالعملة الجديدة، من فئة ٥فلوس إلى درهم واحد، وصدرت للاستعمال بتاريخ أول تشرين الأول/أكتوبر سنة ١٩٦٦.

وفي ٣١ كانون الأول/ديسمبر سنة ١٩٦٦، إنتهت خدمات الادارة البريطانية للبريد. وفي أول كانون الثاني/يناير سنة ١٩٦٧، تسلمت دائرة البريد المحلية خدمات البريد، وأصدرت مجموعة من ١٢ طابعاً من فئة ٥فلوس إلى درهم واحد، تحمل الأربعة طوابع الأولى صورة العلم، والأربعة طوابع التالية تحمل صورة الأمير زايد ابن سلطان آل نهيان، وكل من الأربعة طوابع الأخيرة تحمل صورة الأمير عن اليمين، والغزال العربي، والصقر، وقصر الأمير على الطابعين الأخيرين.

ثم تتابعت الاصدارات العادية والتذكارية للمناسبات الوطنية والعالمية، ومن ضمنها مجموعة من طابعين لذكرى وفاة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، صدرت سنة ١٩٧١، ومجموعة من ثلاثة طوابع تحمل صورة قبة الصخرة المشرفة في القدس.

وبمناسبة اتحاد الامارات العربية صدرت مجموعة سنة ١٩٧٢ مؤلفة من ١١ طابعاً، موشحة في أعلى الطابع «دولة الامارات العربية المتحدة» وفي أسفله (UAE)أي (Unite Arab Emirates) وكانت هذه آخر مجموعة خاصة بالبلد.

تاريخ طوابع دبي.

بدأ مكتب بريد دبي أعماله سنة ١٩٠٩ بادارة البريد الهندي، وكان يستعمل الطوابع الهندية كما هي، أي بدون توشيح. ومن شهر تشرين الأول/أكتوبر سنة ١٩٤٧ وحتى آذار/مارس سنة ١٩٤٨، إنتقل إلى إدارة البريد الباكستاني، وكانت الطوابع الباكستانية تستعمل آنذاك بدون توشيح أيضاً. وأخيراً تسلمت الخدمات البريدية في دبي، الادارة البريطانية للبريد، منذ أول نيسان/إبريل سنة١٩٤٨،وكانت تستعمل طوابع الوكالة البريطانية لشرق الجزيرة العربية، المخصصة للكويت والبحرين ومسقط.

وفي ٧كانون الثاني/يناير سنة ١٩٦١، أصدرت الوكالة مجموعة خاصة باسم (Trucial states) أي الامارات المتصالحة، وهي المؤلفة



من: أبو ظبي، دبي، الشارقة مع ملحقتها خورفكان، عجمان مع ملحقتها المنامة، أم القيوين، رأس الخيمة والفجيرة. ولكن هذه المجموعة استعملت في دبي فقط، وهي مؤلفة من ١١ طابعا من فئة ٥نيابيزة إلى ١٠ روبيات، (صورة٧).

وفي ١٤ حزيران/يونيو سنة ١٩٦٣، إنتقلت الخدمات البريدية إلى إدارة البريد المحلية في دبي. وفي ١٥ حزيران/يونيو سنة ١٩٦٣، صدرت ثلاث مجموعات للبريد العادي من فئة نيابيزة واحدة إلى ١٠ روبيات للبريد، وللبريد الجوي من فئة ٢٠ نيابيزة إلى روبية واحدة، وللأجور المستحقة من فئة نيابيزة واحدة إلى ٣٥ نيابيزة، فمجموعة البريد مؤلفة من ١٧ طابعا تحمل صورة أحياء البحر المختلفة وصورة لأربع قلاع قديمة، والفئة الأخيرة تحمل صورة حاكم البلاد الشيخ راشد بن سعيد المكتوم. والمجموعة الجوية مؤلفة من ٨طوابع، أربعة منها تحمل صورة الصقر العربي، والأربعة الأخرى صورة جسر محلي وفوقه نسر طائر. ومجموعة الأجور المستحقة مؤلفة من ٩طوابع تحمل صور لثلاث أصداف بحرية مختلفة، (صورة نموذج واحد ٨).

تاريخ طوابع دولة الامارات العربية المتحدة.

في أول كانون الثاني/يناير سنة ١٩٧٣، أصدرت دولة الامارات العربية المتحدة المؤلفة من سبع إمارات الخليج المعروفة، أول مجموعة خاصة بها تحمل إسم الدولة، مؤلفة من ١٢ طابعا من فئة ٥فلوس إلى ١٠دراهم بالصور التالية:

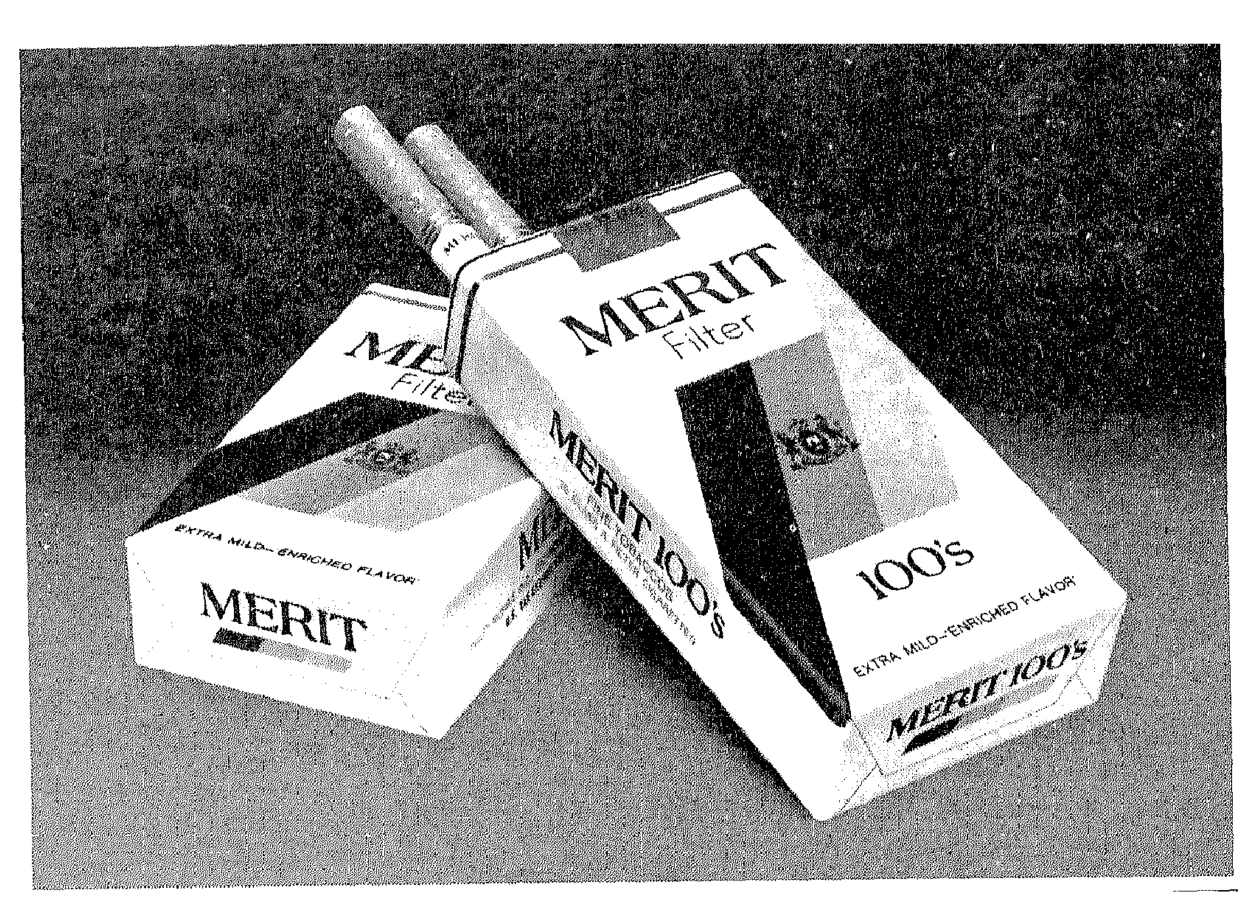
فئة ٥و١٠ف خريطة جنوب الخليج العربي مع علم الاتحاد، ١٥و٣٥ف الشعار الوطني، ٦٥ف جسر المقتى في أبو ظبي، ٧٥ف منظر عام لخورفكان التابع للشارقة، درهم واحد برج الساعة في دبي، ١¼ درهم قلعة بثنى في الفجيرة، ٢درهم قلعة الفلج في أم القيوين، ٣دراهم خور خوير في رأس الخيمة، ٥دراهم قصر الحاكم في عجمان و١٠ دراهم الشيخ زايد ابن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة (صورة٩).

ثم تتابعت الاصدارات العادية والتذكارية للمناسبات الوطنية والعالمية، بكثير من الدقة والاتقان. ان الامارات الأخرى: الشارقة وملحقتها خورفكان، وعجمان وملحقتها المنامة وأم القيوين ورأس الخيمة والفجيرة. فهذه الامارات قبل دخولها في دولة الامارات العربية المتحدة، كانت قد لزمت طباعة وتسويق طوابعها إلى مؤسسات تجارية شرقية وغربية، فأصدرت العديد من المجموعات لكل منها حتى ١٩٧٢.

إن وضع هذه المجموعات ليس ثابتا حتى الآن، بالرغم من استعمالها في البريد المحلي لكل إمارة آنذاك، وذلك بسبب تنكر الدوائر الرسمية لها في كل من هذه الامارات.

فاتحاد البريد العربي عندما امتنع من ذكرها في مجلده الخاص المصور لطوابع البلاد العربية، عزا امتناعه إلى رغبة الامارات نفسها صاحبة العلاقة.

وفي كل حال، سوف نكتب عنها بكل تفصيل في مناسبة خاصة أخرى، عندما نحصل على تصريحات رسمية من الامارات صاحبة الشأن. ■


MERIT
Filter
MERIT 100's
100's
EXTRA MILD—ENRICHED FLAVOR
MERIT 100's
EXTRA MILD—ENRICHED FLAVOR
MERIT



استجابة لرغبة المجلة في تعريف العرب بتاريخهم، عبر دراسات علمية ومسؤولة، واستجابة لدعوتها الأساتذة والمؤرخين وطلاب الدراسات العليا لنشر موجز عن رسائلهم الجامعية، فقد وصلنا من الدكتور عبد الحليم عويس موجزان، الأول بعنوان «دولة بني حمّاد في الجزائر»، رسالته للماجستير، والثانية بعنوان «ابن حزم الاندلسي مؤرخاً» رسالته للدكتوراه. ونحن في فتحنا هذا الباب نتمنى ان نزيد من اطلاع قرائنا على نتاج باحثينا الشباب مؤملين سد ثغرة في مكتبتنا العربية وفهارسها المعتمدة، لما يفيد الجميع.

دولة بني حماد في الجزائر

د/ عبد الحليم عويس

ماجستير في التاريخ الاسلامي / جامعة القاهرة / كلية دار العلوم سنة ١٩٧٣



كان رحيل المعزّ لدين الله الفاطمي إلى مصر سنة ٣٦١هـ، واستخلافه (بلكين ابن زيرى) الصنهاجي والياً على المغرب الأوسط (الجزائر) وإفريقية (تونس) إيذاناً باستقلال البربر بحكم أنفسهم لأول مرة — في العهد الاسلامي — وإيذانا بسيادة صنهاجة — إحد القبائل البربرية الكبرى — على هذا الجزء الكبير من المغرب العربي، ولم يمض نصف قرن حتى كان أحد أبناء بلكين (حماد بن بلكين ابن زيرى) ينفرد بمعظم أرض الجزائر الحديثة، ويكوّن فيها دولة مستقلة يحكمها هو وأولاده من بعده، عرفت باسم الدولة الحمادية... وقد عاشت هذه الدولة ما يقرب من قرن ونصف القرن، وبرزت، منذ عهد أميرها الخامس الناصر بن علناس بن حماد (٤٥٤ — ٤٨١هـ) كدولة قوية متحضرة ذات علاقات خارجية متعددة، وأنشطة اقتصادية وعمرانية وفكرية واسعة. وقد ساعدها على ذلك سياستها الأقرب إلى الحكمة في مواجهة زحف القبائل العربية (٤٤٢هـ) تلك التي أطلق سيولها الخليفة المستنصر الفاطمي (٤٢٧ — ٤٨٧هـ) فأغرقت بني زيرى في تونس، وكادت تبلغ الجزائر، لولا حكمة الناصر الحمادي، وخلفائه... فكانت آثار الزحف الهلالي على الجزائر أقل بكثير من آثارها على تونس. وقد بقيت دولة الحماديين قوية مرهوبة في المغرب العربي إلى أيام آخر أمرائها «يحي بن العزيز الحمادي» (٥١٥ — ٥٤٧هـ) فكان انصرافه عن شؤون الدولة، وسياسته تجاه أبناء عمومته الزيريين، وسلوكه الشخصي من أبرز أسباب سقوط الدولة على يد عبد المؤمن بن علي الموحدي سنة (٥٤٧هـ). (١١٥٢م). وقد قسمت الدراسة إلى تمهيد وثلاثة أبواب:

وفي التمهيد:

عرضت لصورة العالم الاسلامي خلال عصر بروز الدولة، مركزا على الظواهر الكبرى التي مهدت لتفكك الخلافات الاسلامية الكبرى إلى وحدات سياسية مستقلة ثم تحدثت عن البربر، ومواطن قبائلهم، وخصائصهم. ثم أوجزت المرحلة التاريخية التي مرت بها الجزائر منذ الفتح الاسلامي، إلى أن وصلت الى الفترة التي أتيح للبربر فيها حكم أنفسهم بقيام دولة بني زيرى.

وفي الباب الأول: درست مرحلة تأسيس الدولة وانشقاقها عن دولة بني زيري وقد انقسم هذا الباب إلى فصلين:

الفصل الأول: وفيه درست المرحلة التاريخية التي قدّم فيها حماد – مؤسس الدولة – خدمات كثيرة لبني زيرى، حتى ظفر بتنازل باديس بن المنصور – الأمير الزيري – عن حكم جزء كبير من أرض الجزائر الحالية. ثم درستُ مرحلة الصراع – بينهما – حين تراجع باديس عن تنازله حتى اعترف المعز بن باديس سنة ٤٠٨هـ باستقلال حماد، داخل إطار بني زيري، على الجزء نفسه – تقريبا – الذي كان باديس قد تنازل عنه.

وفي الفصل الثاني: درستُ الحدود الجغرافية للدولة في مراحلها المختلفة، وربطت ذلك بعواصم الدولة التي مثل كل منها مرحلة تاريخية وجغرافية ذات ملامح خاصة، وهذه العواصم هي: أشير، وقلعة بني حماد، وبجاية. وقد ختمت الباب بتقييم لهذا الدور الأساسي بالنسبة للدولة ومؤسسها «حماد بن بلكين».

أما الباب الثاني: فقد درست فيه «التاريخ السياسي للدولة»، منذ استقل بها حماد، الى حين سقوطها سنة ٥٤٧هـ (١١٥٢م) على يد الموحدين.

وقسمت هذا الباب إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: وفيه تحدثت عن الأمراء التسعة الذين حكموا الدولة، ضمن بحث مراحل التطور السياسي المختلفة للدولة، بادئا بمرحلة الاستقلال المشوب بالاضطراب، إلى مرحلة الاستقرار النسبي، ثم مرحلة وقوف الدولة على حافة السقوط.

وفي الفصل الثاني: تحدثت عن علاقات الدولة بالدول المعاصرة لها: كالزيريين والفاطميين والزناتيين وبني خراسان والمرابطين والأندلس والمسيحيين في إيطاليا.

وفي الفصل الثالث: درست سقوط الدولة ومعاركها مع الموحدين، واستسلام آخر أمرائها، وعوامل سقوط الدولة.

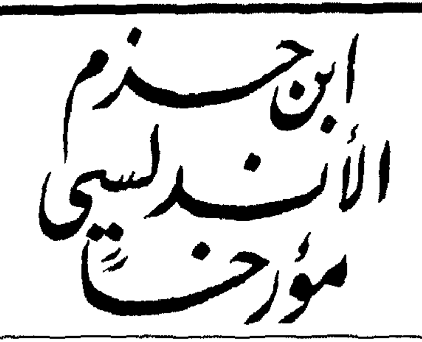
وفي الباب الثالث: درستُ حضارة الدولة ونظمها، وقد انقسم هذا الباب إلى فصول أربعة:

الفصل الأول: وفيه درست النظام السياسي والاداري والمالي للدولة.

الفصل الثاني: وقد درست فيه الحياة الاقتصادية للمجتمع الحمادي، ومصادر الثروة، والمستوى الاقتصادي للمجتمع والدولة.

الفصل الثالث: وقمت فيه بدراسة خصائص الحياة الاجتماعية للمجتمع الحمادي والظواهر الاجتماعية المختلفة.

الفصل الرابع: وقد أفردت هذا الفصل لدراسة الحياة الثقافية للدولة، فتناولت فيه مكونات الثقافة الحمادية، ونظم التعليم، والمذاهب الفقهية، والنشاط العلمي في مجال العلوم النقلية والعقلية. ثم ختمت هذا الباب بتلخيص لأثر الحماديين في الحضارة الاسلامية والانسانية. ◘



د. عبد الحليم عويس

دكتوراه في التاريخ الاسلامي.

جامعة القاهرة

كلية دار العلوم سنة ١٩٧٧

اشرف عليها: د. احمد شلبي
د. ابراهيم العدوي و د. علي الخربوطلي

توطئة:



كان الجانب التاريخي في فكر أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤ – ٤٥٦هـ) واحداً من جوانب عبقريته الموسوعية والأساسية، التي تعرض للاهمال والاخفاء، بتأثير عدة عوامل أبرزها اشتهاره بالأصول والفقه والملل والنحل، وحدة

أسلوبه في نقد معارضيه، واتجاهه المذهبي الظاهري الذي لم يلق رواجاً في العالم الاسلامي، وفي الأندلس بخاصة.

ومع هذا الإهمال للجانب التاريخي في فكر ابن حزم، فان جمهرة دارسي فكره، فضلا عن تلامذته المباشرين، قد اعترفوا له بالبروز في هذا الجانب، لدرجة أن تلميذه أبا عبد الله الحميدي صاحب جذوة المقتبس، قد اقتبس منه في كتابه السابق اقتباسات توشك أن تطغى على شخصية الحميدي. ولدرجة أن العلامة عبد الرحمن بن خلدون يعتبره أمام النسابين والعلماء، ويعتمد عليه في مواطن كثيرة، سواء في النسب أو غيره من أبواب الدراسة التاريخية.

أما المحدثون فقد اعترف منهم ببروزه في هذا الجانب كثيرون أبرزهم المؤرخ محمد عبد الله عنان الذي اعتبر ابن حزم مؤرخا من «طراز نادر» والدكتور زكريا ابراهيم، والأستاذ عبد السلام هارون، والدكتور شوقي ضيف، والأستاذ سعيد الأفغاني، والدكتور ممدوح حقي، والدكتور احسان عباس... وغيرهم كثيرون بهرهم هذا الجانب في فكر ابن حزم، على الرغم من أنه لم يعرف به، ولم يدرس دراسة كافية.

محتويات الرسالة:

قد عالجت هذه الرسالة الجانب التاريخي عند ابن حزم الأندلسي في ثلاثة أبواب وخاتمة.

– وقد انقسم الباب الأول الى ثلاثة فصول، يتناول الأول منها «قرطبة» في عصر ابن حزم من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كاشفا عن تطور هذه الأوضاع خلال الربع الأخير من القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس للهجرة.

– ويتناول الفصل الثاني من هذا الباب

– حياة ابن حزم: أسرته ونشأته، ومولده، والقصر الذي عاش فيه بالزهراء، وتربيته الأولى والنكبات التي تعرض لها عائليا وسياسيا، وشيوخه، والوظائف التي شغلها، ورحلاته، ومعاصريه، وأخلاقه، ووفاته في قريته (منت ليشم) بالغرب الأندلسي.

– أما الفصل الثالث فيعرض لمنهج ابن حزم الفكري متحدثا عن ظاهريته وأسبابها ومجالات تطبيق ابن حزم لها، وجهوده في مجال الفكر الديني، وفي اللغة والأدب والفلسفة كما يقدم هذا الفصل قائمة بكتب ابن حزم، المخطوطة والمطبوعة، أو المفقودة التي صحت نسبتها إليه والمعالم الأساسية المستخلصة من هذا الانتاج.

ويعالج الباب الثاني من هذه الرسالة «الجانب التاريخي عند ابن حزم» وذلك في ثلاثة فصول، يتحدث الأول منها عن بعض قضايا الفكر التاريخي عنده، كمدلول التاريخ، وأقسامه، وفائدته، ومكانته بين العلوم والعوامل المؤثرة في حركة التاريخ كما تستخلص من فكر ابن حزم.

– أما الفصل الثاني فيعالج «منهج البحث التاريخي عند ابن حزم» مستهلاً ذلك بتوطئة عن مصادر ثقافته التاريخية سواء منها ما كان غير مباشر أو مباشرا. ثم يعرج على معالم منهج بحثه التاريخي كتطبيقه «الظاهرية» على التاريخ، واحتكامه الى «العقل» واستحداثه أصول «منهج النقد التاريخي» الذي أخذه عنه ابن خلدون بعد ذلك، «واحتفائه بالاحصاءات والغرائب» وجرأته على اطلاق «الأحكام العامة» ونصيبه من «الموضوعية العلمية».

وينتهي هذا الفصل بالحديث عن مدرسة ابن حزم التاريخية من ناحيتي ملامحها وخطوطها العامة، والتلاميذ الذين نهجوا نهجها بعد ذلك.

ويعالج الفصل الثالث من هذا الباب ما يتصل «باتجاهات البحث التاريخي عند ابن حزم» كجهوده في التراجم والطبقات، والأنساب والسيرة الذاتية، والتاريخ بالطريقة الموضوعية التي يندرج تحتها تاريخه للسيرة النبوية، وعصر الراشدين، والدولتين الأموية والعباسية في المشرق، والتاريخ الأندلسي الى عصره.

ويختتم هذا الباب بالحديث عن «أثر فكر ابن حزم في دولة الموحدين بالمغرب العربي».

أما الباب الثالث – والأخير – فقد ضم أربعة فصول تناول الأول منها آراء ابن حزم في بعض قضايا الفكر السياسي الاسلامي، كرأيه في شروط الحاكم، وواجباته، وامكانية عزله، ورأيه في

الخوارج وفي المفاضلة بين الصحابة وما يترتب على ذلك من قضايا سياسية.

كما تناول الفصل الثاني بعض آرائه في الفكر الاقتصادي، كاشفا بواعث اتجاهاته في هذا المجال واضافاته لهذا الجانب من الحضارة الاسلامية.

وقد تناول الفصل الثالث آراء ابن حزم في بعض قضايا الفكر الاجتماعي فعرض لمعالم رؤيته الاجتماعية وآرائه في التكافل الاجتماعي، وفي المرأة واتجاهاته التربوية.

أما الفصل الرابع فقد عرض لجهود ابن حزم في «الملل والنحل» مبينا دوره في أحياء علم مقارنة الأديان على أصول نقدية، ومنهجه في تناول الأديان، وثنية ويهودية ونصرانية، وكذلك منهجه في تناول قضايا الفرق الاسلامية، من سنة وخوارج ومعتزلة وشيعة أو غيرهم من الفرق التي خرجت عن دائرة الاسلام.

وقد انتهى البحث بخاتمة عن أثر فكر ابن حزم في (الحضارة الاسلامية) سواء في اتجاهات التجديد في الفكر الاسلامي أو في مجموعة المهتمين بابن حزم منذ ظهر وإلى عصرنا هذا.

كما تناولت هذه الخاتمة أثره في الحضارة الانسانية، وذلك من خلال النظريات التي قدمها في المعرفة وفي الحب العذري، وفي النقد التاريخي والعقلي للكتب المقدسة، ورأيه في كروية الأرض، وفي الجزء الذي يتجزأ الى ما لا نهاية.

إضافات الرسالة:

وقد قدمت هذه الرسالة بعض الاضافات الى الفكر الحضاري الاسلامي أبرزها:

إ

عالج البحث ظاهرية ابن حزم وأسبابها التي تتلخص في أنها كانت رد فعل للمذهبية المتعصبة الموغلة في البعد عن الكتاب والسنة. وهذه الظاهرية - كما بين البحث - كانت اتجاها مذهبيا، وليست حركة فكرية ضد الباطنية، كما ذهب الى ذلك البعض.

ثانياً:

كشف هذا البحث عن أن ظاهرية ابن حزم كانت اتجاها فكريا «منهجياً» طبقه ابن حزم على ألوان الحياة الفكرية المختلفة، ومنها اللغة والأدب والفلسفة والملل والنحل والتاريخ. ولم تكن الظاهرية عند ابن حزم قاصرة على مجال الفقه وحده.

ثالثاً:

وقد قدم هذا البحث قائمة بما عرف لابن حزم من كتب ورسائل لعلها أكبر قائمة عرفت حتى اليوم، كما سجل المعالم الكبرى التي تنتظم انتاج ابن حزم العلمي.

رابعاً:

قدم هذا البحث - بعض قضايا الفكر التاريخي عند ابن حزم ومن هذه القضايا مدلول التاريخ عنده وأقسامه، وفائدته، ومكانته بين العلوم، والعوامل المؤثرة في حركة التاريخ كما يراها ابن حزم.

خامساً:

كما قدم هذا البحث معالم المنهج التاريخي عند ابن حزم من تطبيق للظاهرية على التاريخ، ومن اعطاء للعقل دوراً في معالجة القضايا التاريخية، ومن تطبيق لأصول النقد التاريخي على الحقائق، ومن احتفاء بالاحصاءات والغرائب والأحكام القاطعة... كما قوم التزام ابن حزم بالموضوعية في تاريخة.

سادساً:

كشف هذا البحث عن قضية خطيرة، هي أن منهج النقد التاريخي القائم على أساس العقل والمنطق، وهو المنهج الذي عرف به ابن خلدون ، وذاع به صيته، انما سبقه اليه ابن حزم، وأن ابن خلدون قد أخذ عن ابن حزم أبعادا كثيرة من أبعاد منهجه في النقد التاريخي، بل انه أخذ عنه «أمثلته» أيضا. وقد قدم البحث نماذج «في المنهج والأمثلة» للتشابه بين المؤرخين الكبيرين.

سابعاً:

كشف هذا البحث عن معالم مدرسة تاريخية أندلسية ظهرت في عصر الفتنة الأندلسية، وكان من أقطاب هذه المدرسة ابن حزم وابن حيان وابن عبد البر وتبعهم تلاميذتهم: الحميدي وابن بسام وغيرهما.

وكانت هذه المدرسة تؤمن بالأندلسية وطنا، وبالأموية اتجاها سياسيا، وتتخذ من دراستها للتاريخ درعا تنقد به أوضاع الأندلس

المختلة، وتدعو الى اعادة مجد الأندلس.

ثامناً:

قدم هذا البحث جهود ابن حزم في مجال الدراسة التاريخية - لأول مرة - فعرض دراساته في التراجم والطبقات والأنساب والسيرة الذاتية، كما تناول مجالات دراساته في التراجم والطبقات والأنساب والسيرة الذاتية، كما تناول مجالات دراساته التاريخية الموضوعية، سواء في عصر السيرة النبوية، أو عصر الراشدين، أو الشرق الاسلامي الى عصره، أو التاريخ الأندلسي، ولاسيما عصر الفتنة والطوائف.

تاسعاً:

كشف هذا البحث عن أثر فكر ابن حزم في المغرب العربي وذلك في عصر الموحدين.

عاشراً:

قدم هذا البحث بعض آراء ابن حزم في الفكر السياسي الاسلامي، وبخاصة اراءه في الخلافة وما يتصل بها.

حادي عشر:

قدم هذا البحث بعض آراء ابن حزم في الفكر الاقتصادي الاسلامي وكشف عن تجديده في بعض الآراء، وانتماء هذه الآراء - مع تطورها - الى الفكر الاسلامي.

ثاني عشر:

قدم هذا البحث بعض آراء ابن حزم في الفكر الاجتماعي الاسلامي، فكشف عن خطوط عامة تنتظم نظراته الاجتماعية وكشف عن آرائه في التكافل الاجتماعي، وعن مكانة المرأة عنده، وعن آرائه التربوية.

ثالث عشر:

وضع هذا البحث ابن حزم في مكانه من علم مقارنة الأديان، وقدم أبرز جهوده في هذا العلم، سواء في الملل وثنية أو يهودية أو نصرانية، أو في الفرق الاسلامية المختلفة.

رابع عشر:

كشف هذا البحث - لأول مرة - عن تأثير ابن حزم في الحضارة الاسلامية كيفا، وعن طريق تأثيره في العقل الاسلامي ومناهج التجديد، وكما، عن طريق تلامذته والمشتغلين به الذين تتابعوا عبر العصور الى يومنا هذا وأثروا حركة الفكر الاسلامي.

خامس عشر:

وكشف هذا البحث عن أثر ابن حزم في الحضارة الانسانية عن طريق النظريات التي اشتهر بها، وعبرت الى أوروبا، كما أثبت البحث، ومنها نظريته في المعرفة، ونظريته في نقد الكتب المقدسة على أساس الدراسة النقدية والتاريخية المقارنة، ونظريته في الحب العذري التي أثرت في شعر «التروبادور» وغيره، ونظريته في كروية الأرض، وفي الجزء الذي لا يتجزأ أبدا وإلى ما لا نهاية. الى غيرها من نواحي الابداع التي عبرت إلى أوروبا، وظهرت بصماتها في الفكر الأوروبي. ◘



في القيادة...

● عندما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز دعا اليه سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة.
فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء - فعد الخلافة بلاء - فاشيروا عليّ.
فقال له سالم: إن أردت النجاة من عذاب الله فصُم الدنيا وليكن افطارك منها الموت.
وقال محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المؤمنين عندك أباً وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ولداً، فوقّر أباك واكرم أخاك وتحنّن على ولدك.
وقال له رجاء: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم متّ اذا شئت.

قلعة الشقيف قلعة صمود وتحدّ

يشهد الجنوب اللبناني منذ سنوات معارك عنيفة مع العدو الصهيوني سببت تهجير قرى بكاملها مثل بلدة الخيام والعيشية وحانين وارنون عدا القرى الأخرى التي تتعرض يومياً للقصف.

كان الجنوب خارجاً عن نطاق جبل لبنان قبل الانتداب الفرنسي قرر أهاليه الانضمام إلى سورية في مؤتمر وادي الحجير الذي انعقد في ٢٤ نيسان سنة ١٩٢٠ ولكن فرنسا ضمته بالقوة لدولة لبنان الكبير في ١٨ أيار ١٩٢٠ وبعد الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين ضمت إسرائيل عدة مزارع وقرى لبنانية منها المالكية وهونين وصلحة وابل القمح والمطلة والمنارة عدا الأراضي التي يملكها أهالي القرى الحدودية وأصبحت ضمن الأراضي الاسرائيلية.

ويعرف الجنوب اللبناني بجبل عامل وببلاد بشارة وكانت تقسم زمن الحكومات الاقطاعية الى قسمين: بلاد بشارة الجنوبية وبلاد بشارة الشمالية ويفصل بينهما نهر الليطاني ولا يزال القسم الجنوبي يعرف ببلاد بشارة وكان يتألف من أربع قطاعات: مقاطعة تبنين ومقاطعة هونين ومقاطعة قانا ومقاطعة معركة، أما في القسم الشمالي فلا تزال تعرف كل مقاطعة باسمها الخاص وهي: الشقيف والشومر والتفاح وجزين وتبلغ مساحة جبل عامل ثلاثة آلاف كيلو متر مربع يحده شمالا نهر الأولي وجنوبا الجليل الأعلى في فلسطين المحتلة وغربا البحر المتوسط وشرقا البقاع الغربي وجبل حرمون وأقرب نقطة بين نهر الليطاني والحدود الفلسطينية المحتلة هي عند سفح الجبل الذي تقع عليه قلعة الشقيف وهناك يغير إتجاهه نحو الغرب.

موقعهـــا:



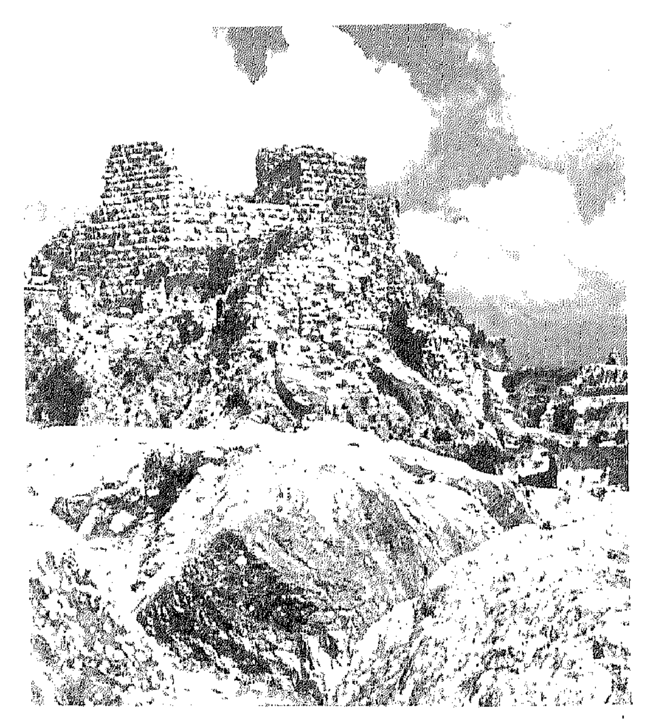
تقع قلعة الشقيف على أعلى مرتفع في بلاد الشقيف، إذ ترتفع نحو ٧٠٠م تقريبا عن سطح البحر وهي تبعد عن بلدة النبطية قرابة ٧كلم في الشرق الجنوبي منها. يصعد إليها عبر طريق معبدة، من قرية أرنون المسماة باسمها، شقتها الدولة من بلدة كفرتبنيت حتى القلعة في عهد وزارة رياض الصلح. تطل من الشرق على قلعة بانياس وسهل مرجعيون وبحيرة طبريا وجبل حرمون وأعالي الجولان ومن الناحية الشمالية تطل على جبل الريحان وقلعة نيحا أو شقيف تيرون واقليم التفاح وقلعة جبيع وبلاد الشوف ومن الناحية الغربية على منطقة النبطية واقليم الشومر ومن الجنوب والجنوب الغربي على قلاع تبنين وهونين ومارون وبرج قلوية.

أهميتها التاريخية:

إن قلعة الشقيف هي اختزال بليغ لتاريخ المنطقة بل هي مكثف للتاريخ العربي كله ويذكر فيليب حتي عن تاريخ القلعة: «أقيمت عندما حرص الصليبيون على أن يسيطروا على المضايق الاستراتيجية التي تربط الشاطىء الذي كان في حوزتهم بالمناطق الداخلية وأقاموا إلى جانب القلاع والحصون الساحلية سلسلة أخرى من القلاع على المرتفعات أو عند سفوح الجبال الغربية المشرفة على الساحل ولا شك أن أروعها كان قلعة الشقيف[١]». وهي بمثابة حارس يقوم على حراسة الممر الجنوبي الذي يربط الشاطىء صيدا وصور بالبقاع فدمشق كما تقوم قلعة حصن الأكراد على حراسة الممر الشمالي الذي يربط شاطىء طرابلس بسهول حمص وحماه. وأكثر الحصون والقلاع التي أقامها الصليبيون لم تكن سوى ترميمات أو إعادة بناء حصون وقلاع أقامها من سبقهم من الدول المتعاقبة وهذه القلاع ذاتها رممها المماليك وأعادوا بناءها في عصر تال، ذلك بأن مواقعها الاستراتيجية الممتازة تسترعي انتباه العسكريين [٢] ولا تزال حتى الآن ومنها قلعة الشقيف وخاصة في عصرنا الحاضر والظروف الصعبة التي يمر بها الجنوب، ولا بد لمن يمتلك الساحل الممتد من عكا إلى بيروت جنوباً وشمالاً وما يحاذيهما من الأعمال مضطر بحكم الدفاع عن بيضتها إلى امتلاك تلك القلعة المنيعة وتحصينها[٣].

تاريخها:

إن الملك فولك هو الذي بنى قلعة الشقيف عام ١١٣٥م على موقع كان الرومان قد أقاموا عليه حصنا وكانت تابعة لأعمال وادي التيم قبل الاحتلال الصليبي لها وأصبحت، بعد الاستيلاء الصليبي تابعة لأعمال صيدا، قاعدة جبل عامل عام ١١٧٢م/٥٨٦هـ وأعجزت هذه القلعة بما اجتمع فيها من خصائص التحصين الطبيعي والعمراني صلاح الدين وبقيت ممتنعة عليه عاما ولم تجنح إلى التسليم إلا بعد أن فقدت حاميتها الازواد والعتاد عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م



وأعيدت القلعة للصليبيين باتفاق عقده معهم اسماعيل ملك دمشق بتسليمها لهم على أن يكونوا ظهيراً له على ابن أخيه الصالح أيوب سنة ٦٣٨هـ. أما في العهدين الصلاحي والصليبي فكانت تابعة لصيدا وفي عام ١٢٦٠م اشتراها الفرسان الهيكليون مع صيدا من صاحبها جوليان وبقيت بيد الفرسان الهيكليين إلى عام ١٢٦٨م/٦٦٧هـ وهو العام الذي استولى فيه عليها الظاهر بيبرس فكان أول من جعلها دار نيابة وبنى فيها جامعاً في أعلاها تهدم في القصف الاسرائيلي الذي تعرضت له في ١٩ آب ١٩٨٠. وبنى حماما خارج القلعة من الناحية الغربيةوبرجا وبقيت حتى سنة ١٤٠٠م/٨٠٣هـ ملجأ للهاربين[٤]. وفي عهد المماليك كانت تابعة لصفد مع قلاع تبنين وهونين ومدينة صور وكان الزعماء العامليون في أكثر الأوقات مؤيدين لنائب صفد في السلم والحرب.

روى الرحالة الانكليزي جورج ساندس في السنة ١٦١٠ ميلادية أن الأمير فخر الدين أخذها خدعة من صاحبها وحصنها تحصيناً قويا وجعلها مخبأ لخزنته[٥]. حاصرها الحافظ وقتا طويلا فلم يستطع الاستيلاء عليها فكانت أمنع من عقاب الجو فتبعت في عهد فخر الدين لأعمال صيدا وبيروت وجعلت مركز محافظة، فكانت مرة في محافظة حسين الطويل الذي

أرسل ناسا من السكمان ومن خدمه الذين يخدمونه لينهبوا من بلاد صيدا قرايا وينهبوا العرب المعتادين بالنزول في الحولة[٦]، ومرة أخرى في اقطاع الشيخ يزبك العماد وثالثة هي وشقيف تيرون تحت محافظة قائد خمسين سكبانيا من قبل الدولة العثمانية وتوفي فيها الشيخ جنبلاط جد العائلة الجنبلاطية في لبنان الذي أرسله الأمير فخر الدين للمحافظة عليها مع أربعين من الفرسان[٧]، وفي سنة ١٦٦٠م كانت تابعة لولاية صيدا التي كانت تضم جانبا كبيراً من بلاد الشام البحرية بيروت وصيدا وصور وعكا وحيفا الى جانب المقاطعات لأمير جبل الدروز ومقاطعات جبل عامل وبلاد صفد والجليل وقيصرية في الوسط[٨].

وكان أصحاب القلاع والحصون كالذين منهم تولوا على قلاع الصليبيين في سوريا وأخذوها منهم من بعدهم وفرضوا من هذه القلاع سلطتهم على ما جاورها من البلاد[٩]، ولم يسمح المقاطعجية للباشا بالتدخل في شؤونهم الداخلية وإلا تمردوا في حصونهم وجبالهم التي كانوا يعيشون فيها بحرّية في ظل قوانين اقطاعية وكان مقاطعجية جبل عامل يرجعون بأمورهم الى شيخ مشايخ المتاولة ومنذ ما كانت تتسع سلطة الشيخ ظاهر العمر الزيداني وأعوانه مشايخ جبل عامل[١٠] وفي سنة ١١٦٩هـ في شهر رمضان ضربت بلاد الشقيف ومسك الشيخ عيسى فارس في قلعة الشقيف[١١] وهو من الأمراء الاقطاعيين العامليين ومن الأسرة الصعبية. استولى على القلعة الجزار سنة ١٧٨٠م بعدما هزم امير بلاد بشارة الشيخ ناصيف النصار وكان في القلعة الشيخ حيدر الفارس وبمقتل ناصيف النصار في معركة يارون في الجنوب انتهت الحكومة الاقطاعية الأولى والحكومة الاقطاعية الثانية بدأت من سنة ١٨٠٤م حتى ١٨٣٢ إذ ضم ابراهيم باشا البلاد إلى الأمير بشير الشهابي، وأما الحكومة الاقطاعية الثالثة فقد بدأت سنة ١٨٤١م حتى سنة ١٨٦٥ ومعها زال الحكم الاقطاعي عن جبل عامل[١٢]، وفي عهد الأمراء العامليين في القرن الثامن عشر كانت قاعدة الاتحاد العاملي الاقطاعي المؤلف من تبنين وهونين وساحل معركة وساحل قانا ومرجعيون والشقيف وجباع الحلاوه واقليم الشومر وحاكم الاتحاد من آل الصغير، زارها في عهد الجزار فولته الفرنسي وكان من زوارها السائح كيران في النصف الأول من القرن التاسع عشر وفي عهد الانتداب الفرنسي كانت المركز الأساسي لعصابة أدهم جنجر الذي كان ينتمي الى عائلة الدرويش الاقطاعية المعروفة في تاريخ الجنوب هذه العائلة من الأسر الصعبية التي منها آل الفضل في النبطية وكانت عصابته تضم العشرات من الرجال وميدان عملها في منطقة الشقيف[١٣] وقد نظفتها مصلحة النافعة في أوائل عهد الاستقلال وأصلحتها بعض الاصلاح من الجهة الجنوبية وأصبحت مقصدا للزوار والسائحين وأثناء الحرب التي دارت رحاها في الجنوب في السنوات الأربعة الأخيرة لم تسلم من قصف الطيران وخاصة الـ أف ١٥ والـ أف ١٦ في آذار ١٩٧٨ و١٩ آب ١٩٨٠ عدا عن المدفعية الثقيلة والصواريخ من أثر ذلك تهدم الجزء العلوي وبعض الجدران في الجبهة الغربية.

منعتها الطبيعية والعمرانية:

قلعة الشقيف ذلك الحصن المنيع (Beaufort) أو الحصن الجميل وأرنون التي تنسب اليها القلعة معناها الجرذون وهي تقع على سفح الجبل الذي تقع عليه القلعة، انها مبنية على صخر في الجبل وضع أساسها عليه حفر فيه أمكنة كثيرة وبنيت حيطانها فوق حيطان تلك الأمكنة فمكان القلعة محفور كله في الصخر والقول بأن لها طريقا الى النهر من شرقيها في نفق تحت الأرض ليس بصحيح. نعم لها باب صغير في تلك الجهة يسمى باب السر[١٤] وباب السر موجود في الجهة الشمالية الشرقية وليس في الجهة الشرقية كما قال العلامة الأمين في خططه وأما النفق في الجهة الشرقية الذي يصل إلى نهر الليطاني وينكره العلامة الأمين والشيخ سليمان ظاهر في تاريخ قلعة الشقيف أنه موجود فعلاً. وحدثني والدي أنه مشى فيه أكثر من مئة متر ويؤكده أكثر سكان القرى المجاورة (يحمر وأرنون) مدخلها الأساسي من الجنوب وشكلها

مثلث الزوايا وقياسها ١٦٠م طولا و١٠٠ عرضا تقريبا ويستطيع المرء الصعود اليها من الناحية الغربية ويحميها وادي نهر الليطاني الشديد الانحدار على مهوى سحيق يسمى المزحلق وفي الناحية الجنوبية منها يوجد آثار قرية دارسة تعود الى العهد الصليبي لأن الآبار المنحوتة في الصخر قرب هذه القرية تشبه الآبار الموجودة في الجهة الغربية من القلعة ويوجد جنوبي هذه القرية معصرتا عنب وشرقي القرية برج الظاهرية التابع للقلعة ويحيط بالقلعة خندق يبلغ عرضه نحو عشرين مترا وداخل هذا الخندق يوجد آثار لتجميع المياه والظاهر أن الصليبيين بنوا أكثر الجهة الشرقية منها ويرى في الوسط كنيسة لاتينية ذات سقف مؤلف من قناطر متقاطعة وبابها الصغير يدخل منه إلى الدار الداخلية وهناك آثار أبنية يظن أنها كانت اصطبلات أقامها الصليبيون[١٥] وهي تنقسم الى قسمين قسم منخفض يحده من الجهة الشرقية عقاب الليطاني وهي بعيدة المهوى صعبة المرتقى وقسم مرتفع مبني على قمة الصخر الملساء العليا ولا تزال أبراج من القديم تميل عمودياً الى الأودية المحدقة بها وفي القلعة أبهاء وحوانيت وغرف متلاصقة يفصل بينها ممر مسقوف بعقود والقسم المرتفع الممتد الى الجهة الغربية يظهر منه من الجهة الجنوبية بقايا برجين جميلين مستديرين والجهة الغربية عبارة عن جدار عال متناه في الغلظ ركائزه السفلى قائمة على الصخر منضدة من حجارة ضخمة غالبها منحوت أما أعاليها أنها فحديثة البناء وفيها درج منحوت في الصخر يصل بعضها ببعض ونحت في احجارها الكبيرة صورة مظلة وقبعة وعلى الباب العلوي من الناحية الجنوبية صورة طائر وفي الجهة الجنوبية خارج القلعة يوجد بقعة فسيحة من الأرض يظن أنها كانت ميدانا للعساكر وفي الجهة الشمالية خارجها يوجد بركة كبيرة جيدة البناء.

لقد اعتمد الصليبيون على أسلوب دفاعي يحفظ للقلعة مكانتها ببناء عدة أبراج كانت تدق ناقوس الخطر فيما لو تحرك الأعداء لمهاجمتها فبنوا بشكل مثلث برجا في سهل الميدنة يسمى برج الميدنة وبرجا في كفرصير، وهذان البرجان يشكلان قاعدة المثلث وبرجا بالقرب من قرية كفروه وهو قمة المثلث بحيث تكون قلعة الشقيف مواجهة لهذه الأبراج وكل تحرك معاد يحمل الأبراج على التحرك وإعطاء الاشارة اللازمة للقلعة بالتحرك للدفاع عن نفسها ولمهاجمة الأعداء[١٦] أن موقعها وتحصينها يجعلاها من أهم القلاع والحصون في لبنان ومن أدق المواقع العسكرية خطورة. ◘

هوامش البحث:

(١) مجلة العربي الكويتية - العدد ٢٤٥ نيسان ١٩٧٩، ص٧٣.
(٢) للبحث عن تاريخنا في لبنان - علي الزين - طبعة أولى ١٩٧٣ - ص١٨٤.
(٣) تاريخ قلعة الشقيف - سليمان ظاهر المكتبة العصرية - صيدا وبيروت، ص١٣.
(٤) تاريخ قلعة الشقيف (ص٣٨ - ٣٩ - ٤١).
(٥) للبحث عن تاريخنا في لبنان، ص٢٠٧، هامش رقم ٣، وص٢٢٩.
(٦) المصدر نفسه، ص٢٥٩.
(٧) خطط جبل عامل، السيد محسن الأمين، الجزء الأول، الطبعة الأولى ١٩٦١، ص٢٤٧.
(٨) مجلة تاريخ العرب والعالم العدد ١٧، آذار ١٩٨٠، ص٤٣.
(٩) مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد ١٥، كانون الثاني ١٩٨٠، ص٢٧.
(١٠) مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد ١٧، ص٤٤.
(١١) للبحث عن تاريخنا في لبنان، ص٤٨٢، عن يوميات الركيني.
(١٢) مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد الثالث، تموز ١٩٨٠، ص١٠٣.
(١٣) مؤتمر وادي الحجير وآثاره، اعداد منذر جابر، رسالة لم تنشر، أعدت لنيل شهادة الكفاءة في التاريخ، بيروت ١٩٧٣، ص٢٥.
(١٤) خطط جبل عامل، ص٢٤٦.
(١٥) تاريخ قلعة الشقيف، ص١٥.
(١٦) الآثار الصليبية في جبل عامل، إعداد رضا السيد حسن، دراسة أعدت لنيل شهادة الكفاءة ١٩٧٨، بيروت ص٧٣.

النظام القضائي في الأندلس - نشوؤه

القضاء لغة إنقطاع الشيء وتمامه. يقال «قضى الحاكم» إذا فصل في الحكم، و«قضى دينه» أي قطع ما لغريمه قِبَلهُ بالاداء؛ و«قضيت الشيء» احكمت عملهُ؛ ومنه قوله تعالى «إذا قضى أمراً» أي أحكمه وأنفذهُ.

أما القضاء اصطلاحاً، فهو منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للنزاع.

إن الاهتمام بتحقيق العدالة ورفع الحيف والظلم هو الأساس الذي قام عليه القضاء عند قديم الأمم وحديثها، والعرب كغيرهم من الأمم عرفوا القضاء وأصوله، وكان لطبيعتهم التي أثرت فيها البيئة الصحراوية والتي غرست في نفوسهم الميل إلى الحرية والإنطلاق وعدم قبول الظلم أثر في ذلك فعلى الرغم من عدم وجود سلطة تشريعية وقضائية رسمية للعرب قبل الإسلام تسن لهم القوانين وتعمل على تطبيقها، إلا إنه كانت هناك الاعراف والتقاليد التي يتمسك بها العربي ولا يستطيع الخروج عليها، وكان من جملة هذه الأعراف الاحتكام عند قيام الخصومات إلى العرافينَ والكهان والأشخاص الذين أعترفَ لهم برجاحة العقل والحكمة. وكانت أحكام هؤلاء القضاة غير ملزمة التنفيذ إلا بالقدر الذي يلتزم المتخاصمون بتنفيذ الحكم طواعية، وهذا هو الأغلب.

وهكذا وجدت نواة القضاء عند العرب قبل الإسلام، فكان ان جاء الاسلام عميقاً فرسخ مبادىء المساواة واشاعة العدل وإحقاق الحق ونصرة المظلوم. فكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول قاض حكم بين الناس وكانت أحكامه نافذة بحكم الشريعة الإسلامية. ولما انتشر الإسلام وتوسعت رقعة الدولة الإسلامية شهد القضاء تطوراً سريعاً وملموساً كبقية الأنظمة السياسية والإدارية الأخرى، مما يدل على شيئين هامين: أولهما تطور وتعقد المجتمع الإسلامي مما أدى بالضرورة إلى نمو مؤسساته ومرافقه المختلفة ومنها القضاء، وثانيهما قدرة العقل العربي على الابداع ومواجهة التحديات الحضارية التي جابهت المجتمع الإسلامي ووضع الحلول لكل مشكلة، لهذا نرى توسع مهمة القضاء وتعدد وظائفه، بحسب الظرف الزماني والمكاني ابتداء من عهد الرسول (ص) وانتهاء بالفترات الإسلامية المختلفة.

أما في الأندلس التي انتقل إليها العرب بعد الفتح سنة ٩٢هـ ٧١١م/ونقلوا معهم نظمهم السياسية والإدارية التي سرعان ما نمت وتوسعت وتعقدت، وأخذت صبغة المجتمع الجديد، فإن النظام القضائي كان له مركز ممتاز وأهمية خاصة. فلم يبلغ القضاء من علو المكانة في بلد مثلما بلغهُ في الأندلس، وهذا راجع إلى المكانة الممتازة التي احتلّها رجال الدين من علماء وفقهاء وقضاة في نفسية المجتمع الأندلسي مما مهد لهؤلاء التأثير في الأحداث العامة في المجتمع ومنها السياسة، وفي التاريخ الأندلسي أحداث كثيرة لعب فيها الفقهاء والقضاة دوراً واسعاً وكبيراً كما حصل عند قيام ثورة الربض سنة (٢٠٢هـ/٨١٧م) ضد الحكم بن هشام الربضي والتي كانت بزعامة وتحريض الفقهاء. وفي زمن الخلافة كان هناك ثلاث شخصيات لا يقطع برأي في الشؤون المهمة دون استشارتها وهذه الشخصيات هي قائد الجيش في مدينة سرقسطة حاضرة الثغر الأعلى وذلك لأهمية موقعها باعتبارها ثغر الأندلس ومعقلها الأعظم؛ وقاضي

قرطبة حاضرة الخلافة ومركز العلماء، وذلك لأن الذي يرتفع إلى هذه الرتبة كان لا بد أن تتوافر فيه صفات الرقة وصفاء النفس ورسوخ المعارف والحكمة، وثالث الشخصيات قائد اسطول مدينة المرية لأن هذه المدينة كانت تضم دار الصناعة الرئيسية في الأندلس.

كان الأمير أو الخليفة في الأندلس هو الرئيس الأعلى للقضاء لتعلق هذه الوظيفة بالدين، كان هذا اسمياً، ولكن فعلياً كان الأمير أو الخليفة يعين قاضياً للقضاة كان يطلق عليه في بداية الفتح العربي للأندلس اسم قاضي الجند وهذا اللقب كان يطلق بشكل خاص على قاضي مدينة قرطبة على اعتبار ان المسلمين الذين فتحوا الأندلس يعتبرون جنداً مجاهدين، وكثيراً ما كان قاضي قرطبة ينوب عن الأمير في الحكم والقضاء في العاصمة عند خروجه للجهاد ثم أخذ يطلق على قاضي مدينة قرطبة قاضي القضاة أو قاضي الجماعة الذي كانت سلطته تخص مدينة قرطبة وحدها وينوب عنه قضاة آخرين في كل مدينة أندلسية يطلق على الواحد منهم «مُسددُ خاصة» وكثيراً ما كان يختار قاضي القضاة في قرطبة من أحد قضاة المدن الأندلسية.

وهذا يختلف عن مركز قاضي القضاة في الدولة العباسية الذي كانت سلطاته أوسع وأشمل، فهو رئيس الهيئة العليا للقضاء، ويكون بمثابة وزير العدل المسؤول عن القضاء والقضاة في الدولة الإسلامية برمتها.

وضع فقهاء المالكية وهو المذهب السائد في الأندلس شروطاً قاسية فيمن يتولى القضاء منها الإسلام والبلوغ وسلامة العقل وحواس السمع والبصر واللسان إضافة إلى النزاهة والاستعانة والتبحر في العلم والفقه، كما اشترط بعضهم أن يكون عربياً خالصاً، ولكن لم يطبق هذا الشرط في الواقع، فطالما تقلد القضاء رجال من الموالي والمولدين والبربر مثل القاضي يحيى بن يحيى الليثي الذي كان من أصل بربري وغيره كثير.

وكما يشار إلى الخليفة عمر بن الخطاب بأنه أول من سنَّ للقضاة دستوراً يسيرون على هديه في الأحكام وذلك عندما أرسل كتابه إلى أبي موسى الأشعري قاضيه على البصرة، والذي وضع له فيه القواعد التي اصبحت فيما بعد دستوراً عاماً للقضاة يستنبطون منه الأحكام، كذلك يشار في الأندلس إلى كتاب القاضي مهدي ابن مسلم على انه أصل من الأصول للعهد في القضاء. كان مهدي بن مسلم قد تولى القضاء في مدينة قرطبة في زمن والي الأندلس عقبه بن الحجاج السلولي (١١٦ - ١٢١ أو ١٢٣هـ) الذي يصفه الخشبي «بأنه صاحب جهاد ورباط وذا نجدة وبأس» وكان عقبة قد عرف ان مهدي ابن مسلم من أهل العلم والدين والورع فعمل على استخلافه في قرطبة وتوليته القضاء فيها. ولما كان مهدي بن مسلم مشهوراً بالبلاغة والبيان فقد طلب عقبة من كتابه عهد التولية بنفسه على لسان عقبة. وقد أجاد مهدي في كتابه ذلك العهد، فلم يترك فيه شاردة ولا واردة في واجبات القاضي إلا وذكرها، لهذا أصبح كتابه هذا بمثابة دستور للقضاة يرجع إليه الولاة والخلفاء فيما بعد عند توليتهم لقضاتهم.

وهذا الكتاب في مضمونه يشابه الأصول الواردة في نص كتاب عمر بن الخطاب الموجه إلى قاضيه أبي موسى الأشعري الذي أصبح دستوراً للقضاء بشكل عام كما أشرنا.

قرر مهدي بن مسلم في كتابه قواعد قضائية عديدة منها:

١ - وجوب مراعاة القاضي خوف الله وتقواه وايثار طاعته في السر والقلق.

٢ - أن يتخذ القاضي كتاب الله وسنة نبيه دستوراً ونبراساً له في كل قضيه يتعرض لها.

٣ - إن سبب اختيار القاضي لمهمة القضاء، التي تعد من أشرف المهمات هو النظر في مصالح الناس ورعاية حقوقهم، لذلك وجب عليه محاسبة نفسه في يومه وغده، وأن لا يطلب الثواب إلا من عند الله.

٤ - وعلى القاضي أن يواسي بين الخصوم بنظره واستفهامه ولطفه ولحظه واستماعه، وأن يفهم من كل واحد حجته وما يدلي به، وخاصة ممن لا يستطيع التعبير عن حجته بلغة واضحة، فمن واجب القاضي التحفظ والتيقظ لمعرفة الحق، ولا يَغرنهُ الكلام المنمق، فقد يكون بعض الخصوم ابلغ في منطقهِ واسرع في بلوغ المطلب والطف حيلة واحضر جواباً مما

يؤدي إلى كسبه قضية لا حق له فيها.

٥ - وكما يجب على القاضي التدقق في إختيار معاونيه ومشاوريه من أهل العلم والدين والاستقامة والأمانة لأن هؤلاء يكونون منسوبين إليه بأفعالهم.

٦ - وعلى القاضي أن يديم الجلوس والقصود لمن استرعاة الله أمره وقلده شأنه واسند الحكم له عليه، وعلى هذا فيجب أن يكون صبوراً جلداً متحملاً لعثرات الناس.

٧ - وعلى القاضي سماع شهادة الشهود على حقها وصدقها ويستقصيها حتى لأن يبقى عليه بشيء منها. ويكثر البحث والفحص، ولا يتعجل بإمضاء حكم حتى يصل إلى الحق والصواب.

٨ - وعلى القاضي زيادة المشورة من معاونيه ومن أهل العلم والدين والورع.

وبهذا أصبح كتاب مهدي بن مسلم الأساس الذي سار عليه القضاة في الأندلس في الفترات التالية مع إدخال الإضافات والتعديلات تبعاً لما يستجد من الحاجات في كل عصر من العصور.

وظهر قضاة أفذاذ لعل من أشهرهم قاضي القضاة في عهد الخليفة الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) المنذر بن سعيد البلوطي.

□

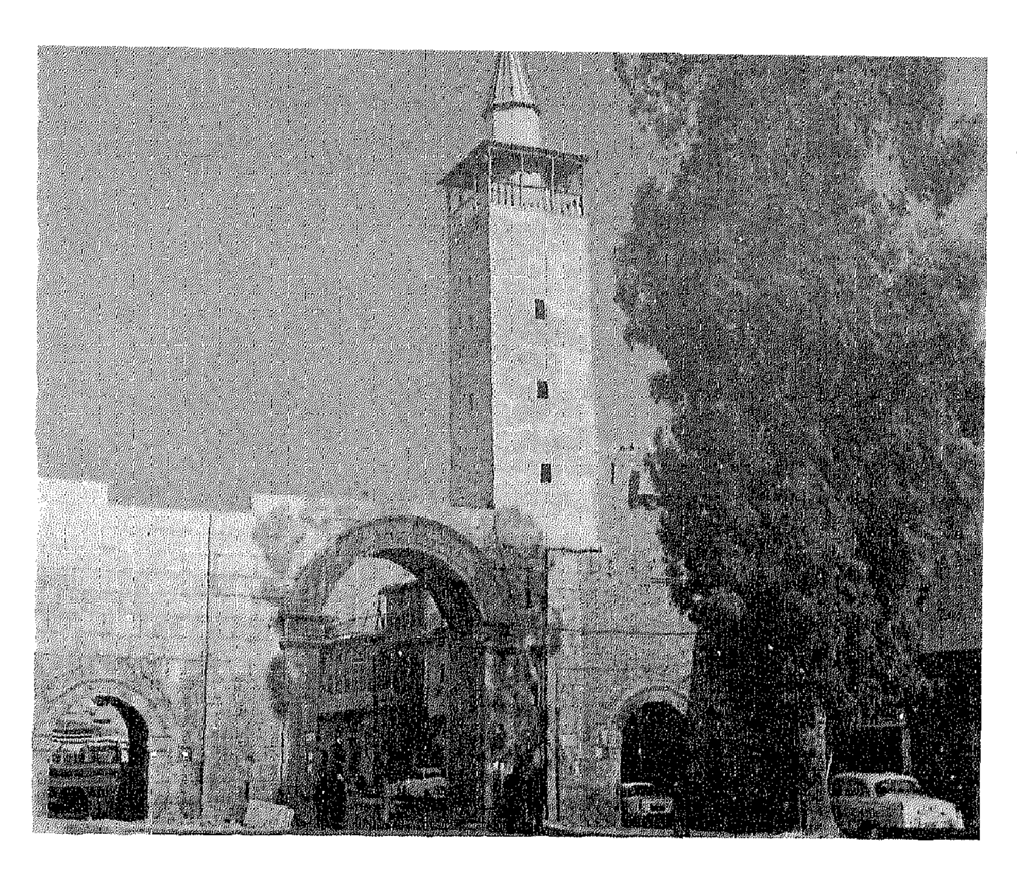
محمد عبد العزيز عثمان
مدرس ثانوية الحكمة

المراجع والمصادر:

١ - تاريخ قضاة الأندلس، المسمى «المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتى». أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي - بيروت - بدون تاريخ.
٢ - قضاة قرطبة - الخشني - أبي عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني - القاهرة ١٩٦٦.
٣ - نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب - المقري أحمد بن محمد - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - بيروت بدون تاريخ.
٤ - النظم الإسلامية. د. حسن إبراهيم حسن ود. علي إبراهيم حسن - ط ٣ - القاهرة ١٩٦٢.
٥ - النظم السياسية في الأندلس - خطة القضاء - د. عبد العزيز سالم - دائرة معارف الشعب - كتاب الشعب العدد ٦٤ - القاهرة ١٩٥٩.
٦ - تاريخ مدينة المرية الإسلامية - قاعدة اسطول الأندلس - د. السيد عبد العزيز سالم - بيروت ١٩٦٩.
٧ - القضاء عند العرب - خير الله طلفاح - بغداد، ١٩٧٢.
٨ - فجر الأندلس - حسين مؤنس - القاهرة ١٩٥٩.

دمشق

عمد الأقدمون الذين سكنوا دمشق أن يحصنوها من عوارض الزمن ومن رجال البدو وسكان الجبال الغزاة ومن القوات البشرية. ومن أجل هذا جعلوا لدمشق لها أبواباً لتكون لها الحماية الواقية ومن داخل هذه الأبواب الأسواق التجارية وكافة متطلبات الحياة. هذا وقد جعلوا لها ثمانية أبواب - أربعة منها من جهة الشمال، وباب من الجنوب، وباب من الشرق، إلى جانب أبواب أخرى صغيرة، وقد زال معظم هذه الأبواب. ويقال أن هذه الأبواب القديمة صورت عليها الكواكب، فعلق على الباب الشرقي صورة الشمس، وعلى باب توما صورة الزهرة، وعلى باب الجابية صورة المشتري، وعلى باب الصغير صورة المريخ، وعلى باب كيسان صورة زحل، وعلى باب الجينيق صورة القمر. وإن حكماء اليونان قد وضعو على



الباب الشرقي - دمشق

باب الجابية صورة انسان مطرق الرأس كالمفكر، ومن أعماله أنه إذا دخل عدو يريد بدمشق أو لأهلها سوءا يصرخ هذا الانسان فيعلم به خدمة الباب فيقتلوه. وفي عهد السلطان نور الدين بنيت منائر على الأبواب القديمة، وجعل لكل باب باشورة (أي سوق) فيها الحوانيت مملوءة بالبضائع فاذا حصنت المدينة وقفلت الأبواب يبقى داخل كل باب مدينة بداخله من مساجد وحماميم وغيره.

أسماء أبواب دمشق التاريخية:

الباب الشرقي: يقع في الجهة الشرقية من دمشق وسمي بذلك نسبة لموقعه، وهو مبني في أوائل القرن الثالث الروماني في زمن (سبتيم سيفرو كاراكلا). دخل منه خالد بن الوليد عندما فتح دمشق ودخل منه أيضا عبد الله ابن علي العباسي يوم سقوط الأمويين، كما دخل منه نور الدين لما سقطت دمشق بيده. وقد جدده نور الدين في سنة ٥٥٩هـ - ١١٦٤م. وكان أمام هذا الباب هيكل روماني بقي حتى سنة ٦٠٢هـ. ثم طمست اثاره، ووراء هذا الباب مسجد صغير وفوقه مئذنة فازيل المسجد لتوسعة الطريق وبقية المئذنة حتى هذا التاريخ. ويبلغ ارتفاع الباب الصغير ٢٩٢ سنتيم وعرضه ٢٨٨سم.

باب توما: يقع في الجهة الشمالية من دمشق القديم قيل أنه ينتسب الى حكيم من حكماء الروم اسمه (توما) هذا كما ورد في بعض الكتب العربية (توماء) وقيل أنه ينسب الى قرية كانت ظاهر دمشق اسمها توما) ، وكانت عليه كنيسة حولت الى مسجد. وأن الباب هو باب روماني ارتفاعه ٤٣٨ سم وعرضه ٣٢٢ سم. قيل أن عمرو بن العاص نزل عليه يوم فتح دمشق، وقيل يزيد بن أبي سفيان، وقد جدد بناءه الملك الناصر داوود سنة ٦٢٥هـ - ١٢٢٨م. ثم رممه تنكز سنة ٧٣٤هـ في أيام السلطان محمد قلاوون. كان بجانبه مسجد وفوقه مئذنة فازيل المسجد لتوسيع الطريق. ثم هدمت المئذنة.

باب السلام: يقع في الجبهة الشمالية من دمشق. ارتفاعه ٤١٤ سم وعرضه ٢٩٨سم وكان يدعى (باب السلامة) وسمي بذلك تفاؤلا لأن القتال من ناحيته كان غير ممكن لما تحيط به من أشجار وأنهار، وقيل سمي بذلك لأنه داخلي من دمشق ولقب بالسلام لأنهم يدخلون منه للسلام على الخلفاء الأمويين كما سمي أيضا (باب الشريف) لأن أحدثه نور الدين الزنكي وجدده الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل سنة ٦٤١هـ.

وهو يعد أجمل أبواب مدينة دمشق.

الباب الصغير: يقع في الجهة الجنوبية من دمشق وسمي (باب الشاغور) لأنه أصغر أبواب دمشق وهو روماني قديم وقد نزل عليه يزيد بن أبي سفيان في حصار دمشق، كما دخل منه تيمورنك سنة ٨٠٢هـ وقام بتجديده أيضا نور الدين الزنكي، ثم الملك المعظم عيسى الأيوبي سنة ٦٢٣هـ ١٢٢٦م. وارتفاعه ٢٧٣ سم وعرضه ٢٥٠ سم. وقيل أنه كان يسمى (بباب الجابية الصغير) فحذفت مع مرور الزمن اسم الجابية وبقي على اسمه الحالي (باب الصغير).

باب الجابية : يقع في الجهة الغربية من دمشق وهو باب روماني أعيد بناؤه في أيام نور الدين الزنكي سنة ٤٦٠هـ، ثم جدده الملك داوود بن عيسى بن العادل الأيوبي، وهو ينسب الى قرية الجابية، وكان يمتد من هذا الباب أبواب ثلاثة ومنهم الباب الصغير ويقع بجوازه قبر السيدة جابية.

باب الفرج: يقع في الجهة الشمالية من دمشق وهو بين العصرونية والمناخلية، وكان يسمى (باب البوابجية) والآن يعرف (بباب المناخلية) أحدثه نور الدين الزنكي، واطلق عليه اسم (باب الفرج) لما وجد الناس على أيدي نور الدين الفرج والاستقرار وصار الناس يتفاءلون بالخير. وجدد في أيام سيف الدين أبي بكر بن أيوب سنة ٦٨٩هـ ويبلغ ارتفاعه ٣٨١ سم وعرضه ٣٠٥ سم، والخارجي باب ضخم مستطيل جدد بناؤه في القرن الخامس عشر. وهو يقوم على نهر بردى، وتمت عمارته سنة ٧٣٦هـ في عهد المماليك وكان إلى جانبه (مسجد باب الفرج) وقد سمي المسجد على اسم الباب.

باب العمارة: يقع في الجهة الشمالية من دمشق في سوق العمارة الممتد الى الجامع الأموي اسمه القديم (باب الفراديس) نسبة الى محلة كانت خارج البلد تسمى (الفراديس) وقيل (باب الكراديس) من تكوم الجثث قربه. وذكر أن الفراديس بلغة الروم أي (البساتين) ومن كثرة البساتين والفواكه التي كانت تحيط بهذه المنطقة كما تدل الكتابة التي تعلوا الباب. وان بناءه كان في سنة ٩٣٩هـ. في أيام الملك الصالح اسماعيل. ويبلغ ارتفاع الباب ٤٣١ سم وعرضه ٣٥٠ سم.

باب كيسان: يقع في الجهة الجنوبية من دمشق، ينسب إلى (كيسان) مولى معاوية بن أبي سفيان لنزوله عليه. وقيل نسبة لكيسان مولى بشر بن عمارة بن حسان الكلبي، وقد ألغاه نور الدين الزنكي. ثم فتح سنة ٧٦٥هـ. وسمي (الباب القبلي) وكان على مقربة منه مسجد جدد بناءه سيف الدين مثكلي بغا نائب الشام كما أقيم عند مدخله سنة ١٩٣٩م. كنيسة القديس بولس اتخذ الباب مدخلا للكنيسة فاختفى منظره وكان النصاري يسمونه (باب بولس) لأن بولس الرسول دلى من نافذة فوق الباب يوم اضطهاده.

باب النصر: يقع في الجهة الغربية من دمشق عند مدخل سوق الحميدية، وقد أزيل سنة ١٢٨١هـ ١٨٦٣م. عندما بنى سوق الحمدية في عهد الوالي التركي (شرواني باشا) وكان يعرف باسم باب السرايا وباب الجنان، وباب السعادة، وسمي بباب الجنان لما كان يحيط به من الجنائن والبساتين.

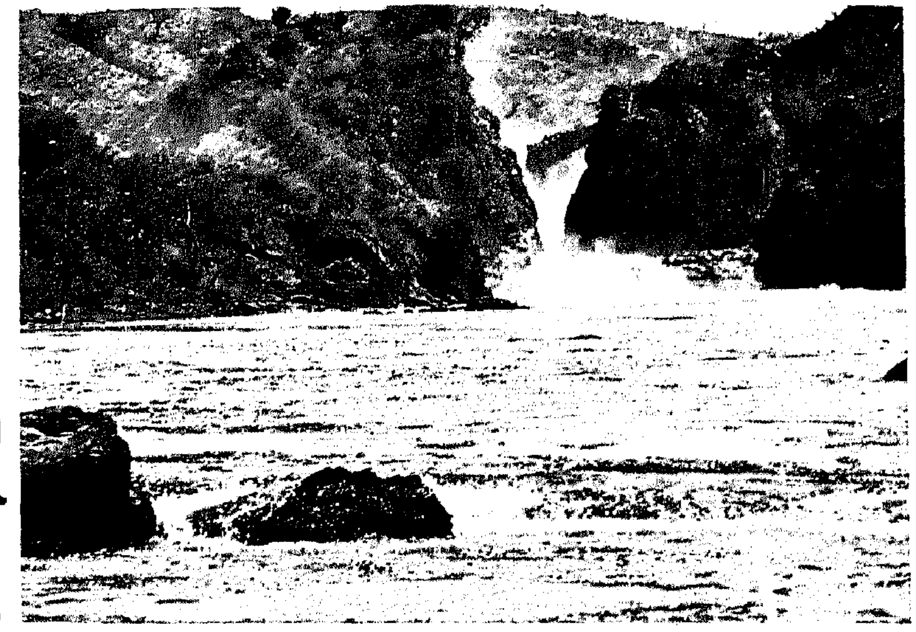
باب الجنيق: كان يقع هذا الباب في محلة بين باب السلام وباب توما (الذي تسمى الفرابين). وكان فيها كنيسة حولت الى مسجد، واستحال المسجد الى دور وقد سد الباب ولكن لا تزال آثاره ظاهرة في السور. وقيل ينسب الى حكيم رومي اسمه (الجنيق).

باب السر: أحدثه الأتراك وهو يفتح الى القلعة، وكان الحكام الأتراك ينزلون منه ويخرجون سراً ويمر الخارج منه على جسر من الخشب ومن تحته الخندق المحيط بالقلعة.

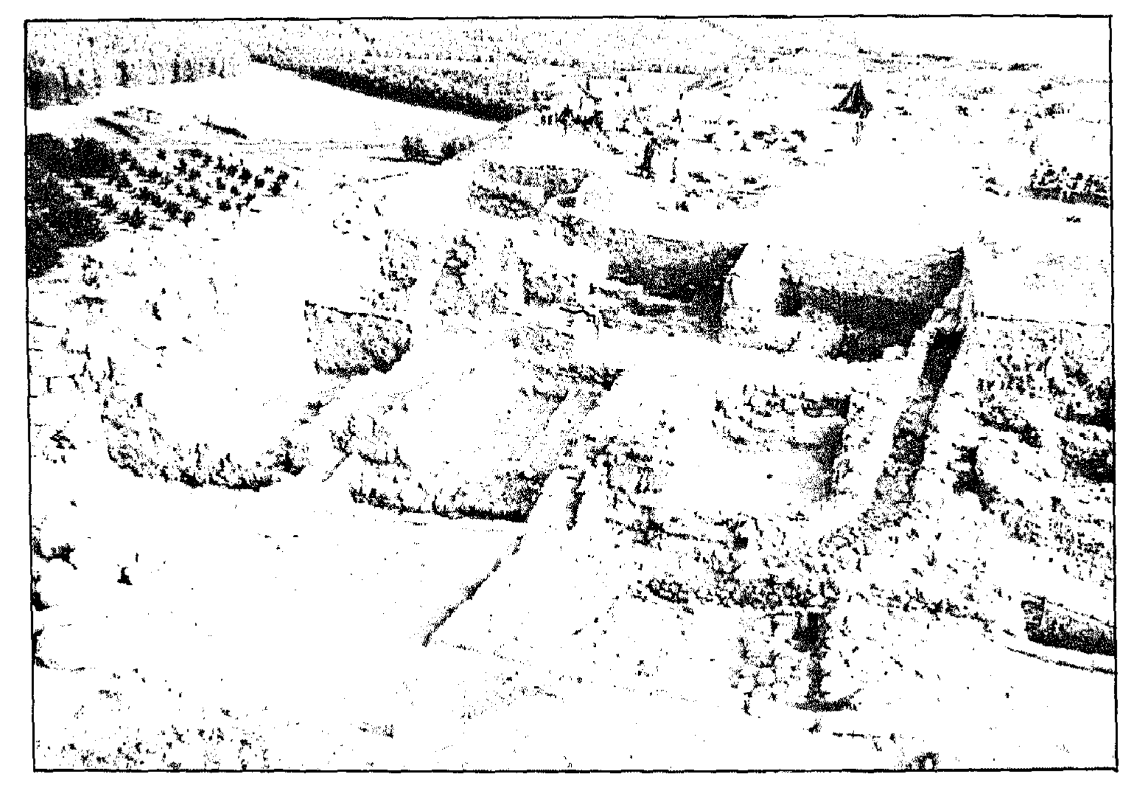
باب الحديد: هذا الباب خاص بالقلعة ويفتح اليها واصطنع هذا الباب في آخر أيام دولة ابن قلاوون ومن خصائص هذا الباب كان يفتح لمن يولى نيابة دمشق يصلي عند هذا الباب ركعتين ويقف الجند وأرباب الوظائف والأتراك في منازلهم حسب وظائفهم ودرجاتهم متمنطقين السلاح إلى أن يفرغ النائب من صلاته ودعائه. ويركب في موكب وتكون وجوه المدينة في خدمته إلى أن ينزل بدار العدل التي أنشأها نور الدين الزنكي.

محمد الفاكياني

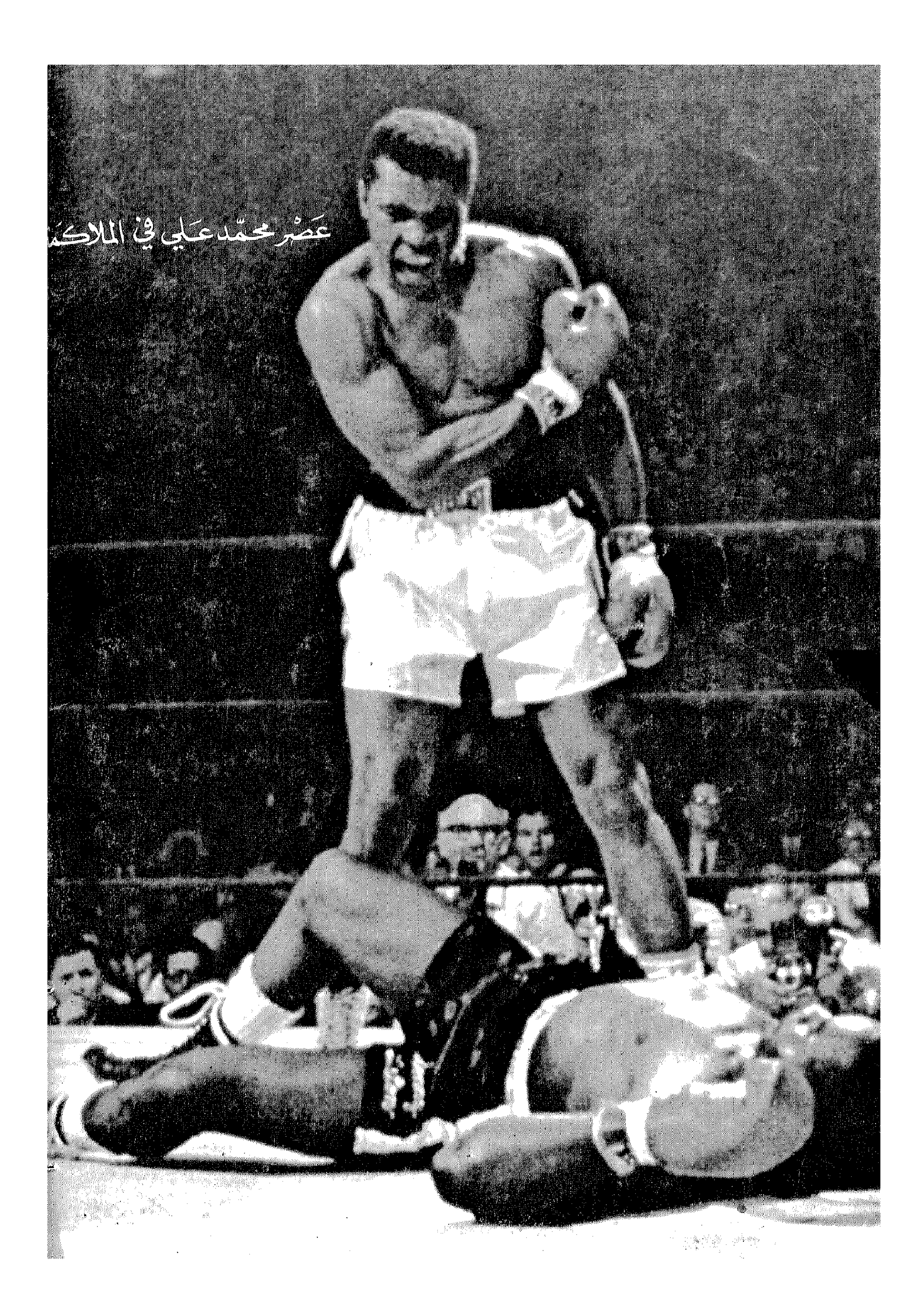
في العدد المقبل



النيل من
جبال القمر
إلى أقدام
كليوبترا



حفريات تل الدوير مدنية فلسطين


عَصْر محمّد عَلي في الملاكمَ